

سيزيمون دي بوفلور
الفيلاسوفية الوجودية المسيحية

الجنس الآخر

ترجمة من العربية
لجنة من أساتذة الجامعة

مقدمة

ترددت طويلا قبل ان اقدم على تأليف كتاب حول المرأة ، صحيح ان الموضوع مثير ، خاصة بالنسبة الى النساء ، الا انه ليس بالجديد .

وعلى كل حال ، هل هناك مشكلة ، وما هي ؟ بل هناك نساء ! يقال لنا : «الانوثة في خطر» وبحوثنا قائلين : «كن نساء ... ألقين نساء» . فكأننا كئنا كأننا انساني مؤثت ليس امرأة بالضرورة بل ينبغي له ان يساهم بهذا الواقع الخفي الذي هو الانوثة . وهل تتكفل الميضايات بافرار الانوثة ام ان هذه تكمن في نساء افلاطونية ؟

في عهد القديس توماس كانت المرأة تبدو كجوهرة تحدد خصائصه كما تحدد خصائص ومزايا نبات الخشخاش . الا ان هذا المذهب الفكري فقد من غورده لان العلوم البيولوجية والاجتماعية لم تعد تهر بوجود جوهرة جامدة ثابت تحدد نماذج معينة كالمرأة واليهودي والزنوجي .

ان موقفه التحدي الذي تحفه النساء الاميريكيات اثبت ان شعور الانوثة يطغى طبعين . والحقيقة انه يكفي القاء نظرة للتأكد من ان الانسانية تنقسم الى فئتين تتمايزان باللباس والوجه والجسم والابتسامة والثنية والاعتنام والشاغل تايذا واضحا ، وقد تكون هذه الفوارق سطحية وسائرة الى الزوال . انما الاكيد انها موجودة في الوقت الحالي بكل وضوح .

إذا كانت الانوثة وحدها لا تكفي لتعريف المرأة ، ورفضنا أيضا أن نصرها بفهوم «المرأة الخالدة» وبالتالي إذا كنا ، نسلم ولو بصورة مؤقتة ، أن هناك نساء على الأرض ، فطينا حينئذ أن نتساءل ما هي المرأة ؟

إن الرجل يعتبر جسده كما لو كان كائنا مستقلا يتصل مع العالم اتصالا حرا خاضعا لإرادته هو ... بينما يعتبر جسم المرأة حائلا بالقيود التي تعوق حركة صاحبته . ألم يغل افلاطون : «الأنثى هي التي بسبب نقص في الصفات» ؟

إن الانساية في عرف الرجل هي ، مذكر فهو يعتبر نفسه يمثل الجنس الانساني الحقيقي ... أما المرأة فهي في عرفه تمثل الجنس «الآخر» . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو :

كيف يمكن بعد الجنس فقط من فرض نفسه كجوهر وحيد ، متكرا وجود كل نسبة تربطه بالجنس الآخر ، معرفة إياه بأنه الآخر الصرف . ومن أين أتى للمرأة هذا الرضوح ؟

هناك حالات أخرى ربما تمكن فئة من التحكم بفئة أخرى خلال فترة من الزمن . كان هذا الامتياز فاجبا في الغالب عن تمايز العدد فتفرض الأكثرية قانونها على الأقلية واضطهدها . إلا أن النساء لسن أقلية ، فضلا عن أن هذا التسلط له بداية تاريخية معروفة . فمثلا لم يكن هناك يروياتاريا مضطهدة على حين كان هناك دائما نساء . انهن نساء يتكويمن الفيزيولوجي . ومهما اوقفنا في التاريخ القديم لدى النساء ملحقات بالرجال . هذه التبعية ليست نتيجة حادث تاريخي وليست بالأمر

الطاريء ، ما يجعل من المرأة الجنس الآخر بصورة مطلقة .

ان نضال المرأة لم يكن قط الا تضالا ورمزيا . ولم تنز الا بما لولاد
الرجل التنازل عنه . لم تأخذ شيئا ابدا بل تسلمت ما أعطي اليها .

لا نستطيع المرأة حتى في العلم ازالة الذكور . فالعلاقة التي تربطها
بسطوحها لا مثيل لها . ذلك ان اقسام الجنس هو في الواقع شيء
عضوي محسوس وليس مرحلة من تاريخ البشر . ان ما يعبر المرأة
بصورة اساسية هو كونها الجنس الآخر ضمن وحدة ذات حدين
متلازمين .

قد يخيل اليها ان هذه العلاقة المتبادلة قد ساعدت على تحرير المرأة ،
والحقيقة ان العالجة البيولوجية التي تجعل الذكر مقيدا بالانش لم تحرر
المرأة اجتماعيا . واذ كان الحاج الحاجة متساويا عند الطرفين فانه يتدخل
دائما في صالح المظتهدين ضد المظتهدين .

الى جات ميل المرء الى تأكيد نفسه كشخص ، هناك ميل الى
العروب من حريته وتحويل نفسه الى غرض او الى متاع . ان هذه
الطريق ، طريق وخيبة ، لأن المرء السلمي العائش في الضياع يصبح
فريسة لارادة الآخرين ، عاجزا عن الفناء ذاته ، معروفا من كل القسم .
ولكنها طريق سهلة لانها تجنب المرء الحيرة والمسؤولية . لذلك يقبى
الرجل الذي يجعل من المرأة والجنس الآخر استعدادا عبقا من جانبها
يساعده في مهمته .

هكذا لا تطلب المرأة لنفسها صفة الشخص الذي يؤكد ذاته ، لانها
معرومة من الوسائل للموسمة ، ولانها تحس بالعلاقة الضرورية التي

تربطها بالرجل دون ان تعتبرها علاقة متبادلة ، ولانها تقع غالباً بصورة
«جنس آخر» .

حينئذ يتبادر الى الذهن السؤال التالي : كيف ابتدأت هذه القصة
كلها ؟ من المفهوم ان يتحول ازدواج الجنس (كأي ازدواج) الى نزاع .
ومن المفهوم انه اذا نجح احد الطرفين في فرض تفوقه فان هذا التفوق
يسيل الى تأكيد نفسه تأكيداً مطلقاً . ولكن ينبغي لنا ان نتسرح لماذا كان
الرجل هو الراجح في البداية ؟ لماذا كان هذا العالم دائماً تابعاً للرجال ،
ولماذا لم تأخذ الانثى في التبدل الا في هذه الايام فقط ؟ وهل هذا
التبدل شيء حسن ؟ وهل سيقسم العالم تقسيماً عادلاً بين الرجال
والنساء ؟

هذه الاسئلة ليست بالجديدة ، وقد اقيمت لهوية عديدة . الا ان
مجرد اعتبار المرأة «الجنس الآخر» يخرج كل التبريرات التي يقدمها
الرجال لانها كانت مستوحاة من مصالحهم .

قال احد انصار المرأة المعصومين : «كل ما كتب عن المرأة من قبل
الرجال يجب ان يثير الشبهات لانهم خصوم وحكام في الوقت ذاته .
وقد سخروا اللاهوت والفلسفة والقوانين لخدمة مصالحهم» .

وفي القرن الثامن عشر فقط اخذ بعض الرجال المشبهين حقاً
بالديمقراطية يراهمون المسألة بصورة موضوعية .

ان الفكرة العجيبة تعاول ان تبقى المرأة في المكان التي تخصصه لها
وتستقي الحجج من الوضع الذي خلقت هذه الفكرة نفسها ، وهذا يذكرنا
بقول (برادشيو) في الزواج : «ان الأميركي الابيض يحبط بالزنجي الى

مستوى ماسح الاحذية ليستج من ذلك ان الرجل ليس صالحا سوى لمسح الاحذية . نعم ان النساء هن غالبا في يومنا هذا اقل مكانة من الرجال بمعنى ان وضعهن لا يفسح لهن الا مجالات أضيق . والمساواة هي ان تعرف ايضا اذا كانت هذه الحال ستدوم ؟

لا شك في ان كثيرين من الرجال يتنون ذلك وكلهم لم يلق السلاح بعد . فالبرجوازية ما زالت ترمي في تحرير المرأة خطرا يهدد مفاهيمها العقلية ومبادئها . وبعض الرجال يخشون منافسة المرأة ، والمصالح الاقتصادية ليست وحدها في الميدان ، لأن من محاسن وضع المضطهدين ان يستطيع يقرن نفسه من طينة اخرى . فكان اسهل على الكاتب الفرنسي (موترولان) ان يحسب نفسه بطلا وهو يقارن نفسه مع نساء (اختارهن هو نفسه) . من ان يقارن نفسه وهو يأخذ دوره كرجل ، مع بقية الرجال : مع العلم ان بعض النساء لقنه في القيام بهذا الدور . وها هو ذا (كلود نوريك) يكتب بخصوص النساء «نحن نصغي بلا مبالاة مهذبة لادكي النساء ونحن نعلم جيدا ان فكرها يعكس بصورة متباينة الموضوع الافكار التي تصدر عنا نحن معشر الرجال» . على كل حال ان المرأة التي يتحدث عنها لا تعكس افكاره لانه معروف بنسوب فكره ولعله يحتاج الى ان يعكس هو نفسه افكار كبار الفلاسفة وهو يتحدث . ان المساواة النسائية استعالت الى نزاع وخضام نتيجة لوقاحة الرجال . والانسان حين يتخاضم يلقه ملكة المعاكسة . واذا اردنا حقا ان نسلط النور على المساواة فينبغي لنا ان نطرح كل المفاهيم المهمة كالتسوية والمساواة والتفص وان نتطرق من جديد .

لكن كيف نطرح المساواة ان ؟ بل من نحن حتى نطرحها ؟ فالرجال

هم خصوم وحكام . والنساء ايضا هن كذلك ، فإين نجد ملاكا يقوم
بالهمة ؟ اني اعلم مع ذلك ان بعض النساء هن احسن من يستطيع
توضيح وضع المرأة فقد حظيت نساء كثيرات في يومنا هذا بالتمتع
بنزاي الكائن الانساني مما يجعلهن غير مفرضات ، والواقع ان عدم
التحيز هذا يشكل حاجة بالنسبة الى النساء ونحن النساء نعرف غيرا
من الرجال عالم المرأة لاننا مرتبطات الجذور به ، ونحن اقدر على ادراك
ما معنى ان يكون الكائن الانساني والمرأة .

ان المسألة التالية هي بالنسبة اليها كيفية الاعمية : اي تأثير في حياتنا
نجم عن كوننا نساء ؟ ما هي الامكانيات التي اعطيت اليها والتي تمتعت
عنا ؟ اي مصدر يمكن لآخواتنا الصغيرات انتقاره وفي اي اتجاه يجب
توجيههن ؟

ما يلت نظر ان مجموع الكتابات النسائية مضمرة في هذه الايام
يجهد للتوضيح هو اكثر من الرغبة في اللطافة . وهكذا يجب ان يعتبر
هذا الكتاب محاولة من مجموع المحاولات لتوضيح الامور .

الا انه من المستحيل ، دون شك ، البحث في اي مشكلة نسائية
بصورة مجردة عن التحيز فان طريقة وضع الاسئلة ، ووجهات النظر
التيبارة ، تفرض مجسوة متباينة من المصالح .

وبدل ان نحاول اغناء المبادئ ، المفترضة بدرجات متباينة الوضوح ،
يجدر بنا ان نبدأ بوضعها وارسالها . اتنا بذلك لا نجد القسنا مضطرين
الى توضيح نواباتنا في كل صفحة وما قصدنا من كلمات امثال : اعلى ،
اقل ، احسن ، اسوأ ، تطور ، تهقر .

نحن نعتقد ان الصالح العام غير موجود الا اذا كان هذا الصالح
يعني الصالح الخاص للمواطنين . ولا نعكم على المؤسسات والنظم
الا من خلال الامكانيات المتوفرة للتيسرة للأفراد . على اننا لا نلطف
بين مفهوم الصالح الخاص ومفهوم السعادة . هذه نقطة اخرى تعرض
سيئنا غالبا ، ليست النساء التواني يؤلفن الحریم اسعد من النساء
العصريات المتمتعات بحق الانتخاب ؟ اننا ، لذلك لن نعتد ابدا على
مفهوم السعادة بل سنتبنى وجهة نظر الاخلاق الوجودية .

كل شخص يعمل على تأكيد نفسه تأكيدا فعليا ملموسا من خلال
التسريع والاهداف ، ولا يحقق حريته الا بارتقاء مستمر ونظام مضطرد
نحو مستويات اخرى . ولا يمكن تبرير الوجود الحالي الا بالتفتح
نحو مستقبل مهد السبيل تمهيدا مطلقا ، وكلما تحول الارتقاء الى
وجود سار الوجود نحو الانحطاط . ان هذا الانحدار يشكل خطية
اخلاقية اذا ما رضي به المرء . اما اذا فرض عليه فرضا اصبح ذلك
اضطهادا . وفي كلا الحالتين يكمن الشر المطلق . اجل ان كل فرد رائد
تبرير وجوده لانه يحس بهذا الوجود كحاجة لا متناهية الى التنامي .

والمرأة تعرف بانها كائن انساني وحرية مستقلة . وهي تكتشف
نفسها وتصطفي ذاتها في عالم حرس الرجال فيه ان تلعب دور الجنس
آخرة دور الغرض والمنافع .

ان مأساة المرأة تكمن في هذا النزاع القائم بين المطلب الاساسي لكل
شخص ينصب نفسه دائما في مقام الجوهر وبين متطلبات وضع يجعل
منها لا جوهر . فكيف يمكن اذن ، للكائن الانساني ، في ظروف مثل

ظروف المرأة ، ان يستكمل ذاته ، وما هي الطرق المتوقعة امامه ، ايها لا تؤدي الى نتيجة ، اي ظروف تعد من حرية المرأة وهل في الامكان تجاوزها ، هذه اسئلة اساسية سنبدل جهداً آملياً نرفيئها . وانما اذ اهتم بإمكانيات الشخص ، لا تحدد هذه الامكانيات بتعاير السعادة بل بتعاير الحرية .

سكوتة دينا بروفاندر

القسم الأول

تصوير المرأة

الفصل الاول

معطيات علم الحياة

•

يقول هوام المبارت السطة : ما هي المرأة ؟ هذا شيء بسيط • انها رحم ومبيض ، انها اثنى وهذه الكلمة تكفي لتعريفها • ويطوك الرجل كلمة «اثنى» كما لو كانت اعادة ، ومع ذلك فهو لا يحس بأي خجل من حيوانيته ، بل يبدو ، على العكس لغيره اذا قيل عنه : «انه ذكر» • وليست كلمة «اثنى» مستحقة لانها تربط المرأة بالطبيعة وانما لانها تقيدها بحدود جنسها • ولئن كان هذا الجنس يبدو للرجل اعلا للاحتقار فنرجع ذلك الى اضطراب الخصومة التي تخلقها المرأة في نفسه ، الا انه يريد ان يرى في علم الحياة تبريرا لهذا الاحساس •

اذا اردنا الابتعاد عن الافتكار للمادة فان هناك سؤالين ينتصبان امامنا :

١ - ماذا تمثل الاثنى في مملكة الحيوان ؟

٢ - اي نوع خاص من الاثنى يتحقق في المرأة ؟

* * *

الذكر والاثنى هما نموذجان من الاشخاص يتمايزان نوعيا بالتعاون

في سبيل التكاثر ، ولا يمكن تعريفهما الا بالترابط . بيد انه يجب ان نلاحظ اولاً ان مدلول القسام الانواع الى جنسين ليس واضحاً . ففي عالم الحيوان نجد ان في وحيدات الخلية كالأحياء تنفصل عملية التكاثر عن العملية الجنسية انفصالاً تاماً . كما ان منها ما يتكاثر بالانقسام .

ان القسام النوع الى جنسين قد اعتبر مفروفاً منه من قبل اكثر الفلاسفة الا ان هذه الفلاسفة لم تتمكن من تحجيره . اما بخصوص دور كل من الجنسين فهناك اختلاف في الآراء . كانت هذه الآراء في البداية غالية من كل اساس علمي ولا تعكس سوى تصورات اجتماعية . فخلال زمن طويل اعتقد الناس ان الاب ليس له اي دور في عملية الحمل . وان روح الجنود تدخل الى بطن الام بصورة بذرة حية . وحين حل النظام الابوي اخذ الذكر يتسك بذريته . ولما لم يكن بالإمكان افعال كل دور للام في التوالد فقد اعتبر انها تحبل وتنفذ البفرة الحية التي يقدفها الاب فقط . وحتى لما تم اكتشاف دور البويضة الايجابي فقد حاول الرجال ان يقابلوا بين عقاله وسكون البويضة ونشاط وحيوية الحيويين المنوي . الا ان هناك اتجاهاً جديداً معاكساً يحاول ان يثبت ان دور الذكر لا يتعدى دور المؤثر الفيزيائي الكيميائي .

اما طرح جانباً كل معتقد سابق للتجربة وكل نظرية عشوائية . وآمل استخلاص المفزى من فحص الواقع الملوس . وحينئذ قد يتكشف لنا مضمون كلمة «اشي» .

ليست فانيما عرض فلسفة في الحياة ولنا نريد التسرع في اتخاذ موقف في النزاع القائم بين المذهبين : الغائي والآلي . ودون ان نتخذ

أي قرار بخصوص العلاقة بين الحياة والشعور ، يمكننا ان نؤكد ان وراء كل وظيفة مشروعا وهدفا .

تعاون الاعضاء المذكرة والمؤنثة ، لدى اغلب الانواع ، في سبيل التوالد . وهناك تياران خاضعان : يقول الاول بسلبية الانثى ، والحقيقة ان الحرارة الحية تنبثق من التقاء الخليتين المولدين . اما التيار الثاني فيناقض الاول ، رغم تعاضدهما معا اكثر الاحيان ، ويقول بان دوام النوع تؤمنه الانثى اما المبدأ الذكر فليس له سوى ظهور انجباري ، وعارض . والحقيقة ان الرشم يخلد بذرة الاب وبذرة الام وينقلهما الى الذرية بصورة ذكر احيانا وسورة انثى احيانا اخرى . ان الخليتين المذكرة والمؤنثة المولدين تتحدان معا وتذوب فريدهما في عطية التنازع .

بلغ الشطط في بعضهم اهم استتجوا من وضع البويضة مكان المرأة في البيت . فقد اوحى (الفريد فوييه) بإمكان تعريف المرأة كلها اعتبارا من البويضة ، وتعريف الرجل اعتبارا من الحيوان المنوي .

ان العضوين المذكر والمؤنث اللذين يتوزعان بصورة متساوية في الجنسين ويتطوران تطورا متائلا اعتبارا من جذور واحدة ، يدوان متناظرين تمام التناظر بعد انتهاء تكوينهما . وكلاهما يشيز بوجود غدد منتجة للخلايا المولدة ، وفي الحالة الساكنة يبدو الذكر والانثى متكاملين ولا يمكن ادراك فريدهما الخاصة الا من الناحية الوظيفية .

ان التكاثر في الاشكال العليا من الحياة يصبح اتجا لاعضاء متساوية ، وبأخذ وجهها مزدوجا : يحافظ على بقاء النوع ويخلق مخلوقات جديدة : هذه الناحية التجديدية تؤكد بتأكيد الفردية . وعند الحيوانات

الثدية ، تأخذ الحياة اشكالا أكثر تعقيدا وفردية وحينئذ يتحقق الاتصال الى جنسين بصورة نهائية . على ان المرأة رغم مساهمتها مساهمة ايجابية في التوالد ، تنقل البذرة من الرجل الذي يضعها .

ان هذه المعطيات البيولوجية ذات أهمية كبرى فهل تلعب في تاريخ المرأة دورا اوليا وتشكل عنصرنا اساسيا في وضعها . ونظرا الى ان الجسم هورمونية تمكننا من العالم فان هذا العالم يعرض لنا بصورة تختلف باختلاف هذا التمكن ولئن استعرضنا المعطيات البيولوجية فلانها احد المفاتيح التي تسمح لنا بفهم المرأة لكننا نرفض الفكرة القائلة بان المعطيات البيولوجية هي التي تقرر مسيرها نهائيا . فهذه المعطيات لا تكفي لتحديد التباين بين الجنسين ولا تفسر لماذا تعتبر المرأة والجنس الأخرى كما لا تحكم عليها بان تعالظ الى الابد على هذا الدور الثانوي .

وعم بعضهم ان الفيزيولوجيا وحدها تسمح بالاجابة على الاسئلة التالية : هل للتجاح الفردي حظ واحد عن الجنسين ؟ اني الجنسين يلعب الدور الأهم في النوع ؟

فلنبتصمون بنظرية الموازنة النفسية - الفيزيولوجية حاولوا القيام بمقارنات رياضية بين الاعضاء المذكرة والمؤنثة متطلبين ان هذه المقاييس تسمح بتعيين القدرات الوظيفية ، اما نعرض طرح كل فكرة من هذا النوع ؟ لان هذه نظريات تهدمت نهائيا . كما نطرح كل فكرة تقول بوجود تسلسل طبيعي للقيم لان كل هذه النظريات التي تزج بين مذاهب طبيعية غامضة مزوجة باعتبارات خرافية وجمالية هي نوع من

الإنسان .

لا يمكننا ان نقارن بين الانثى والذكر في النوع البشري الا من الزاوية الانسانية . ولا يعرف الانسان الا بانه كائن غير معطى وانه يصنع نفسه بنفسه ويقرر ما هو عليه . وكما قال (ميرلو بونتي) ليس الانسان نوعا طبيعيا بل هو فكرة تاريخية . والمرأة ليست واقعا لازما بل هي ضرورة ، لذلك ينبغي مقارنتها مع الرجل في ضرورتها ، اي ينبغي تحديد امكانياتها : ان ما يعيب كثيرا من المناظرات ، انها تريد ان تقرر المرأة على ما كانت عليه او ما هي عليه الآن . ولكننا اذا وجهنا رأيا يوصف بأنه تجاوز على الحقيقة فليس بإمكاننا ان نعلق الحساب .

ما دعنا تبنا الزاوية الانسانية التي تعرف الجسم اعتبارا من الوجود فان البيولوجيا تصبح علما تجريديا ، وحين نأخذ احدي المعطيات الفيزيولوجية (النقص العضلي مثلا) مغزى ما فان هذا المغزى يبدو لنا حالا مرتبطا بكل معناه . ويجب الرجوع الى قرائن وجودية واقتصادية ومعنوية كيما يعرف مفهوم «الضعف» تعريفا ملبوسا . وعلى ضوء البيولوجيا فقط لا يمكن القول باولية احد الجنسين على اساس الدور الذي يلعبه في تحديد النوع .

واخيرا ، ليس المجتمع نوعا من الانواع . ففي المجتمع يحقق النوع نفسه كوجود ويجاوز ذاته نحو العالم والمستقبل . وان اخلاق المجتمع لا تستخرج من البيولوجيا . والاشخاص ليسوا متروكين لطبيعتهم ، بل يخضعون لطبيعة ثانية هي العرف والتي تنعكس فيها رغبات ومخاوف تعبر عن وضعهم البشري . ولا يتولد لدى الشخص الشعور بذاته

ويستكمل نفسه ، بصفته جسما فقط ، وانما بصفته جسما خاضعا
للمعتقدات والقوانين . وهو لا يقيم نفسه الا باسم بعض القيم ، ومرة
اخرى تؤكد ، ان الفيزيولوجيا عاجزة عن تأسيس القيم ، بل ، بالمعكس ،
ان المعطيات الفيزيولوجية تكتسب القيم التي يضفيها الكائن عليها .
فاذا حال الاحترام تجاه المرأة دون استعمال الشدة ضدها ، فان افضلية
الرجل العضلية مثلا تفقد سلطتها .

هكذا ينبغي لنا ان نقرأ المعطيات البيولوجية على ضوء مجموعة
العوامل البشرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية والنفسية . ان خضوع
المرأة لواحد النوع وحدود امكانياتها الفردية هي وقائع بالغة الاهمية .
فجسم المرأة هو احد العناصر الاساسية من وضعها في هذا العالم . الا
انه لا يكفي وحده لتعريفها . اذ ليس له من واقع وجودي الا عن
طريق الشعور ومن خلال فعلها ضمن المجتمع .

ليس بوسع البيولوجيا الاجابة على السؤال الذي يشغل بالنا : لماذا
تكون المرأة « الجنس الآخر » ؟

ينبغي لنا ان نعرف ما فعلته الانسانية بالاش البشرية .

الفصل الثاني

وجبة نظر علم التحليل النفسي

•

على حين يزو (فرويد) تطور الحياة الانسانية الى الحرية فقط فان (آدلر) الذي اتفق عليه ، يأخذ بعين الاعتبار الشخصية الكلية ، بينما يرى (فرويد) ان السلوك يسبغونه بنجم عن الرغبة ، اي البحث عن القذة فان (آدلر) يرى ان الانسان يضع نصب عينه بعض الاهداف ويوضح (آدلر) للذكاء مجالاً وسياً بحيث لا يكتسب العامل الجنسي عنده في الغالب سوى قيمة رمزية .

بالنسبة الى آدلر ، تعود الامة الانسانية في ثلاث لحظات : في كل فرد تكمن «ارادة القوة» الا انها تكون مصحوبة «بمركب نقص» . ان هذا النزاع يدفعه الى الهروب من تجربة الواقع خشية ان لا يسكن من التغلب عليه ، فيترك الشخص مسافة بينه وبين المجتمع . اما لدى المرأة فيتخذ «مركب النقص» شكل الرفض المضجل لانوثتها : اذن ليس حرمانها من عضو الذكر كما يظن فرويد هو الذي يحدث مركب النقص عند المرأة بل مجموع الوضع . وان الفتاة الصغيرة لا تفقد العضو الا على اعتبار انه رمز للامتميازات المنوحة للمسيان . ان المكان الذي يحتله الاب في الاسرة والافضلية العامة للذكور والتربية ... كل شيء

يوجد فيها فكرة فوق الذكور . وفيما بعد يؤكد وضع المرأة تحت الرجل خلال عملية الجماع ادلائها من جديد . الا انها بفضل الامومة تجد في طفلها ما يعيد التوازن ويكسبها نوعا من الاستقلال .

يرفض اصحاب مدرسة التحليل النفسي رفضا تاما فكرة «الاستقاء» و مفهوم القية المرتبط بها . هذا هو الشحنة الداخلي لهذه المدرسة . وما ان فرويد يفصل بين الدوافع واللواتح وبين الاستقاء الوجودي ، فانه يشغل في تفسير منشأها ويعتبرها كمنطيات .

لا شك في ان الحرية الجنسية تلعب في حياة الانسان دورا بالغا حتى يمكننا القول انها تغفل في حياته كلها . ان الكائن للوجود هو جسم ذو جنس . والشئ كان الجسم والحرية الجنسية يشكلاان تعبرا محسوسا للوجود فلا يمكننا اكتشاف مغزاها الا اعتبارا من هذا الوجود .

يعتبر اصحاب مدرسة التحليل النفسي الحقيقة الاولى للانسان علاقته مع جسده الخاص وجسم امثاله ضمن المجتمع ، الا ان الانسان يتم اعتماده اساسا بالعالم الطبيعي واللعب وغير ذلك ويدعي الالتقاء المحسوس بالوجود من خلال العالم كله وبكل الوسائل الممكنة .

لا يكفي القول ان المرأة هي التي ولا يمكن ايضا تعريفها على اساس الشعور الذي يملكها بانوثتها . انها تشعر بانوثتها ضمن مجتمع هي احد اعضائه . ان لغة التحليل النفسي ذاتها باستبطانها كل الحياة النفسية، نوعي وان مأساة الفرد تجري ضمن ذاته : هذا ما تفرضه كلمات : عقد ، ميول ... لكن الحياة علاقة بالعالم ، وان الفرد يحدد نفسه بما يصطفيه

لنفسه . ويشيخ لنا ان ثلثت صوب العالم نجد العنول للإسئلة التي
تشغلنا . وان مفرحة التحليل النفسي تشغل بصورة خاصة في ان تفسر
لماذا تكون المرأة «الجنس الأخر» . لذلك ترفض طريقة التحليل النفسي
مع اعترافنا ان بعض ملاحظاتها ذات نفع .

زد الى ذلك اننا نثير بصورة اخرى مسألة المصير النسوي . فنضع
المرأة في عالم من القيم ونظن ان عليها ان تصطفي بين تأكيد رغبة الارتقاء
والمجاورة وبين اعتبارها كغرض ومتاع .

نحن نعتقد ان المرأة تختار بين دورها كغرض ، كغرفة آخرة ، وبين
مطلبها في الحرية .

وهي تعرف بالنسبة اليها ككائن انساني يبحث عن القيم ضمن عالم
من القيم ، ضمن عالم لا يد من معرفة تكوينه الاقتصادي والاجتماعي .
لذلك نحن ندرس المرأة من زاوية وجودية من خلال وضعها الكلي .

الفصل الثالث

وجهة نظر المادة التاريخية

لم تبرز نظرية المادة التاريخية طائفت ذات أهمية بالغة .
فالإنسانية ليست نوعا حيوانيا بل هي واقع تاريخي . ولا يتأثر المجتمع
بالطبيعة تأثرا سلبيا بل يحاول التمكن منها . هذا التمكن ليس عملية
شخصية شخصية وإنما يجري بصورة موضوعية . لذلك لا يمكن أبدا
اعتبار المرأة فقط ككيان عضوي ذوي جنس . والمعطيات البيولوجية
التي تكتسب أهمية هي التي تأخذ قيمة محسوسة ضمن العمل . وإن
شعور المرأة بذاتها لا تحدده فريزتها الجنسية وحدها ، وإنما يعكس
وضعا يتعلق بالتكوين الاقتصادي للمجتمع ، هذا التكوين الذي يعبر
عن درجة تطور الإنسانية التي .

وأما إن الصفتين الأساسيتين اللتين تميزان المرأة من الناحية البيولوجية
هنا : أولا أن تسكنها من العالم اضيق نطاقا من تلك الرجل له . ثانيا
أنها أكثر خضوعا لمستلزمات النوع . إلا أن هذه الوقائع تكتسب قيمة
مختلفة بحسب الحالة الاقتصادية الاجتماعية . ففي تاريخ الإنسانية ،
لا يتحدد التمكن من العالم بالجسم الجرد أبدا لأن الآلة التي تلعب دور
الواسطة تضاعف من قدرة الإنسان . قد تكون المرأة عاجزة عن تعريك

أداة ثقيلة فيبدو عجزها واضحاً بالنسبة إلى الرجل . إلا أن التطور الفني قد يلغي الفارق العضلي الذي يميز الرجل عن المرأة وتصبح معادلة له في العمل .

إن (الجلز) يسرد تاريخ المرأة في كتابه «أصل الأسرة» ويظهر أن تاريخ المرأة مرتبط ارتباطاً أساسياً بتاريخ التنكيك .

ففي العصر الحجري ، لما كانت الأرض مضافاً بين أفراد القبيلة كانت قوة المرأة كافية للعمل في البساتين ، فكان هناك تقسيم متساو للأعمال بين الرجل والمرأة . الرجل يسطاد والمرأة تبقى في المنزل حيث تقوم ببعض الأعمال الإنتاجية كالنسيج والبستنة وغيرها . وبالتالي كان لها دور كبير في الحياة الاقتصادية .

ولما اكتشفت المعادن وابتدع المزارع واتسع نطاق الاستثمار الزراعي والردائم صعوبته ظهرت الملكية الفردية . فصار بإمكان الرجل أن يصبح سيداً للعبيد والأرض وأصبح أيضاً مالِكاً للمرأة .

ذلك هو «الانكسار التاريخي الكبير للجنس النسائي» . وأنه ليفسر بالتوراة التي طرأت على تقسيم العمل نتيجة لاختراع وسائل جديدة . إن العمل المنزلي الذي كان يفرض للمرأة استقلالها في السابق ، صار يفرض سيطرة الرجل ، لأن العمل المنزلي لم تعد له سوى قيمة ثانوية جداً أمام عمل الرجل المنتج . حينئذ حل الحق الأبوي محل هذه الأم . وظهرت الأسرة الأبوية القائمة على الملكية الفردية . في مثل هذه العائلة أصبحت المرأة مضطهدة . أما الرجل المتربح على عرش السيادة فإباح لنفسه التقلب مع الهوى والتسري بالإناء

تتقدم المرأة بالحياة . هذه وسيلة المقاومة الوحيدة ضد عبوديتها المنزلية ، وما الاضطهاد الاجتماعي الذي يحقق بها الا نتيجة استعبادها الاقتصادي .
دولا يمكن للمرأة ان تحرر الا حينما تستطيع الاسهام الى حد بعيد في الانتاج ولا يستدعيها العمل المنزلي الا بصورة طفيفة . وهذا لم يصبح ممكنا الا ضمن مجتمعات الصناعة الكبرى الحديثة التي لا تفتح المجال لعمل المرأة بحسب بل تتطلبه بصورة ملحقة .

ان مقاومة وتعطلات النظرية الابوية الرأسالية هي التي تحول دون تحقيق المساواة في كثير من البلاد . وحينما يعمل المجتمع الاشتراكي في العالم كله فلن يكون هناك رجال ونساء بل عمال متساوون فيما بينهم .
لا شك في ان تحليل (انجلز) يشكل خطوة الى الامام ، الا انه يعمل كثيرا من النقاط المهمة : ان محور التاريخ كله هو الانتقال من نظام المذبح القديم الى الملكية الفردية ، دون ان يقال لنا كيف حدث هذا الانتقال . بل ان انجلز يعترف « باننا لا نعرف شيئا حتى الآن » . فهو لا يجهل تفصيلات التاريخ فقط بل انه لا يرحي بأي تفسير له . كما انه ليس واضحا ان الملكية الفردية ادت حتما الى عبودية المرأة . ان المادية التاريخية تعتبر الاشياء التي ينبغي تفسيرها ، امورا مفروغا منها ، فهي تضع ، دون نقاش ، صلة الصلحة التي تربط الانسان بالملكية ، ولكن ما هو منشأ هذه الصلحة التي منها تتبع المؤسسات الاجتماعية ؟ هكذا تبقى دعوى انجلز ناقصة وتبدو الحقائق التي يكتشفها محتسرة لانه لا يمكن التمسك فيها دون تجاوز المادية التاريخية التي لا يمكنها تقديم الحلول للمسائل التي عينها لانها مسائل تهتم الانسان كله ، وليس مفهوم «انسان الاقتصاد» التجريدي .

من الواضح ، مثلا ان فكرة التطك الفردي لا تكتسب معنى الا اعتبارا من الوضع الاسلي للكائن . وكما نظهر ، يجب اولاً ان يكون في الشخص ميل الى فرض نفسه في فردية الجذرية ، ودرجة الى تأكيد وجوده المستقل المنفصل . ومن المفهوم ان هذا الادعاء يبقى شخصيا ، داخليا ، غير حقيقي ، ما دام المرء محروما من الوسائل العملية الكفيلة بتلبية هذا الادعاء تلبية موضوعية : فنظرا لحرمانه من الآلات الملائمة ، لم يكن يحس في البداية بسلطته على العالم ، وكان يحس بنفسه ضالما في الطبيعة والجماعة ، سلبا مهددا ، تتلاعب به القوى المظلمة ، ولم يكن يعبراً على التفكير في نفسه الا من خلال ذواته في العشيرة .

ان اكتشاف البرونز سمح للانسان باكتشاف نفسه ، في تجربة العمل القاسي والنتج ، كبداية مسيطر على الطبيعة ، فلم يمد يدها يفتشها وسارت له الجراءة امام تغلبه على الصعاب على فهم نفسه كفعالية مستقلة وعلى استكمال فرديته . الا ان هذا الاستكمال لم يكن ليتحقق لو ان الانسان لم يشاء اولاً . ان عظمة العمل لم يلقها شخص سلبى بل ان الانسان بنى نفسه بسيطرته على الارض . ان تأكيد الذات لا يكفي لتفسير الملكية ، ففسي التحدي والنضال والمركة الفردية يحاول اكتساب شعور الارتقاء الى السيادة . وكما يكتسب التحدي شكل الخصومة الاقتصادية ، وكما يطالب الرئيس لم افراد العشيرة ، اعتبارا من ذلك ، باستقلالات فردية ، ينبغي ان يكون في الانسان ميل اولي آخر : فقد سابقا ان الكائن لا ينجح في اكتناء نفسه الا بالتفصيص وهو يبحث عن نفسه خلال العالم تحت صورة اجنية يجعلها صورته وفي نفس الوقت حاول كل واحد امتلاك قطعة ارض ، وادوات عمل ومحاصيل . وقد

وجد الإنسان ذاته في هذه التراتب التابعة له ، لانه ذاب فيها . ولمرك
حينئذ انه أخذ يعطيا نفس الاعمية التي لعباته ، على هذا الضوء يصبح
اعتماد الانسان بملكته رابطة وراحة منهومة .

من المستحيل ايضا ان نستنج اضهاد المرأة هو وليد الملكية الفردية
فهنا ايضا تظهر عدم كفاية وجهة نظر انجلز . فقد فهم جيدا ان ضعف
المرأة العضلي لم يصبح نصا مفسوسا الا في علاقته مع الاموات الحديدية
والبروتزية . الا انه لم ير ان طاقة عليها المحدودة تشكل عبئا مفسوسا
الا من وجهة معينة ، ان الرجل نظرا الى كونه ذا طموح ، يبرز من خلال
كلى آلة جديدة مطالب جديدة . فعين اكتشاف الاموات البروتزية لم
يكف باستثمار البسائير بل اراد استثمار خفول جديدة واسعة ، ولم
تتبع هذه الافادة من البروتز نفسه . ان عجز المرأة جر الى خرابها لان
الرجل استحوذها من خلال سمية الثروة والتوسع الا ان هذا لا يكفي
ايضا لتفسير اضهادها فقد كان مسكنا لتقسيم العمل بين الرجل والمرأة
ان يكون مشاركة ودية . ولو كانت العلاقة الاولية الاسلية للرجل مع
اتباعه علاقة صداقة صرفة لما امكن تفسير اي نوع من الاستعباد . ان
الاستعباد هو نتيجة لبروتز الشعور الانساني الذي يبحث عن تحقيق
سيادته بصورة فعلية . لو لم يكن في المرأة سفة «الجنس الثانوي الأخر»
اسلاما كان في وسع اكتشاف آلة البروتز ان يقود الى اضهاد المرأة .

كما ان انجلز لا يفسر السفة الغامضة لهذا الاضهاد . فقد حاول
ان يعزو التعارض بين الجنسين الى خلاف طبقي . صحيح ان تقسيم
العمل على اساس الجنس والاضهاد الذي ينجم عنه يذكر بتقسيم العمل

في نفس النقاط . إلا انه لا يمكن الخلط بينهما . فلا يوجد أي أساس بيولوجي في التقسيم الطبقي . ذلك لأن العبد يشعر أثناء العمل بالعبء الشديد . والبروليتاريا الشاعرة بوضعها تشكل تهديدا مستمرا وتهدف إلى القضاء على نفسها كطبقة .

إن وضع المرأة مختلف جدا وخاصة بسبب الحياة والمصالح المشتركة التي تربطها بالرجل ، وبسبب المشاركة التي تلتقيها ضمن ذاتها . فلا تتخطى نفسها عن ثورة ولا يمكن لها أن تقضي على نفسها كجنس ، بل تطالب فقط بالقضاء على بعض النتائج المرتبطة بالجنس .

والخطر من ذلك أيضا ، انه لا يمكننا اعتبار المرأة كعامة فقط دون أن نكون مفرضين . إن وظيفتها في التوالد مهمة مثل طاقتها الإنتاجية سواء في الاقتصاد الاجتماعي أو في الحياة الفردية وهناك فترات يجدي فيها أفكار الفردية أكثر من العمل بالمرح .

إن الأخلاق الاشتراكية حقا ، أي الأخلاق التي تبحث عن العدالة دون أن تقضي على الفردية ، ستجد نفسها في مأزق أمام المسائل التي يثيرها وضع المرأة . فالمرأة لا تحتر في العملية الجنسية وفي الامومة زما وقوة بل قيما جوهرية . وعبث تعاول للفردية المادية الضلالية تجعل الفردية الجنسية واعتبارها كأمية . فلا يمكن تنظيم الفردية الجنسية بقرارات .

إن الفردية الجنسية لا يمكن حلها بالوضع الاجتماعي لأنها تعبر عن ثورة اللحظة على الزمن والفردية على الجماعة . فإذا ما أردنا توجيهها ، فقد قضى عليها لأنه لا يمكن التصرف بالفردية الحية كما

تصرف بأمانة العاطفة ولا يمكن ترويضها كما ترويض الحرية بالقيود .
لا يمكننا ان نجبر المرأة مباشرة على إعطاء الفرية ، ان كل ما يمكننا
هو ان نحصنها في اوضاع تجعل من الامومة الفرج الوحيد بالنسبة
لها : فالقانون والاعراف نجبرها على الزواج ويمكن منع الوسائل
المستعطفة ضد الحمل كما يمكن منع الطلاق . في احدى الخطب في
الاتحاد السوفياتي طلب الى المرأة ان ترضعها لتستهي زوجها .
لرى من ذلك ان من السهيل اعتبار المرأة قوة مولدة فقط ، انها بالنسبة
الى الرجل شريكة ، ومولدة ، ومناج الشهوة ، انها الطرف الجنسي
لآخره ومن خلالها يبحث الرجل عن ذاته . ومينا نحاول النظم الموجبة
منع التحليل النفسي والاعلان بان المواطنين المنضمين بالخلاس تحت
راية الصناعة لا يعرفون لثاسي الفردية . الحياة الجنسية تجربة لا يتكلف
فيها ما هو عام بنا هو فردي . وبالنسبة الى اشتراكية ديوقراطية تولد
فيها الطبقات لا الافراد يحافظ مسألة المصير الفردي على اهميتها ويبقى
للتمايز بين الجنسين أهمية ايضا لان العلاقة الجنسية التي تربط المرأة
بالرجل ليست مثل العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة والعلاقة التي تربط
المرأة بالطفل ليس لها اي شيه .

لا يمكن ارجاع الصلة التي تربط المرأة بالطفل الى اية صلة اخرى .
ولا تعني المطالبة لها بكل حقوق وكل فرص الكائن الانساني وجوب
الانضاء عن وضعها الخاص . وفي سبيل معرفة هذه الصلة ينبغي تجاوز
المادية التاريخية التي لا ترى في الرجل والمرأة سوى كيانات اقتصادية .

وقد يفسر عالم التحليل النفسي كسل المطالب الاجتماعية للمرأة

كظاهرة «احتجاج رجولي» . وبالعكس ، لا تعبر فرويدا الجنسية ، بالنسبة الى الماركسية ، الا عن وضعها الاقتصادي بصورة متفاوتة التطيد . ان كل هذه التصنيفات عاجزة عن الاحاطة بامراءة فعلية حقيقية . فمراء الناس الفردية وتاريخ الانسانية الاقتصادي ، يوجد اساس وجودي يسمح وحده بنهم هذا الشكل الخاص ، هذه الحياة في وحدانيتها وفرديتها .

ان قبة مدرسة فرويد تنجم عن ان الكائن جسم ، وطريقة اعصابه بنفسه كجسم امام الاجسام الاخرى لتلخص وضعه الوجودي لتلخيصا موضوعيا . كما ان الصحيح في الماركسية هو ان رغبات الكائن الحي تأخذ شكلا محسوسا بحسب الامكانيات المادية التي تعرض له ، خاصة تلك التي يؤمنها تقدم التنكيت . الا انا اذا لم تطفئ اليها مجسوع الواقع الانساني فان العزوة الجنسية والتنكيت وحدهما لا يفسران شيئا . لذلك يبدو لدى فرويد المواضيع التي تفسحها «الانا العلوية» والدفاعات «الانا» كالتباه مسكرة . وفي عرض التحيز لتاريخ الاسرة يبدو اهم الحوادث ولائها تتبع فجأة بحسب امراء صنفه لمانفة .

انا لا ارفض ، في سبيل اکتفاء المرأة ، بعض مساهمات علم الحياة والتحليل النفسي والمادية التاريخية ، الا ان القوة العظيمة والعضو التاسلي والاداة لا يمكن تعريفها الا في عالم من القيم .

التي كانت فيها تكثر فيها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت

القسم الثاني

نظرة تاريخية

وهي من الكتب التي كتبت في التاريخ في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت
تحت يده من بلادها على ما كان في كل الامم والبلدان التي كانت

لقد كان هذا العالم دائما عالم الرجال ، وكل الاسباب المظنة لذلك بدت لنا غير كافية . على اننا نستمكن من ان نفهم كيف تشكل التسلسل والتميز بين الجنسين اذا ما فحصنا معطيات فترة ما قبل التاريخ ، وعلم الاجناس البشرية ، على ضوء الفلسفة الوجودية .

ينا سابقا ان التقاء مجسومتين بشريتين تدفع كل واحدة منهما الى بسط سيادتها على الاخرى . فاذا كان لكلتاهما امكانية ابداء هذا الطلب حصلت بينهما علاقة متبادلة دائمة التوتر سواء في الصداقة او المداورة . فاذا كانت احداهما متميزة تفوقت على الاخرى وعطت على ابدائها مضطهدة .

وطبيعي ان يكون للرجل ارادة التحكم في المرأة ، ولكن ما الامتياز الذي اتاح له تحقيق هذه الارادة ؟

تضارب المعلومات التي يقدمها علماء الاجناس البشرية عن الاشكال البدائية للمجتمع البشري تضاربا كبيرا . ومن الصعب خاصة ان تكون فكرة عن وضع المرأة في الفترة التي سبقت مرحلة الزراعة . ولا يمكننا ان نعرف فيما اذا كان نمو عضلات المرأة وجهازها التنفسي مساويا لنمو عضلات الرجل وجهازه التنفسي . فقد كان يعهد اليها بالاعمال الشاقة ، خاصة انها كانت هي التي تحمل الاحمال ، على حين كان الرجال يقفون طيبي الايدي ليؤمنوا الدفاع عن القافلة . على ان النساء كن في كثير

من الحالات من القوة بحيث كن يساهمن في الحضات الحرية ويبدن
من ضروب الشجاعة والقسوة ما يضاهي الرجال .

بالرغم من ذلك . يحتفل ان الرجال كانوا سابقا كما في الوقت العالي
متميزين ، بالقوة الجنسية . مثل هذا التفوق كان في المصور البدائية
بالغ الاهمية دون شك .

ومهما كان من امر قوة المرأة آنذاك فان والبيات التناسل كانت
تتكون بالنسبة اليها عائقا كبيرا . ويحكى ان النساء الحاربات في القديم
كن يقطنن الداهن ليتخلصن من الامومة . وكن يعطية الي حياة
الحاربين في سبل اقاء شر العدو وضمان معيشتهم ومعيشة اولادهم .
وكان من شأن تكرر الحمل والوضع ان يأخذ اكبر قسط من قوتهم
ووقتهم .

هذا امر له اعيتة العظمى . فبداية الجنس البشري كانت شديدة
المصوبة . وكانت شروط الحياة شاقة على حين كانت المرأة تخلق حاجات
متزايدة بانجابها الاطفال انجابا متواسلا . لئن كانت المرأة ضرورية لبقاء
النوع فانها كانت تظلمه النسل بكثرة وكان على الرجل ان يحقق التوازن
بين تكاثر النسل والانتاج .

لم تكن المرأة ، اذن ، تلعب دور البويضة امام الحيوان الثوي ،
بل كانت تساهم في مجهود الجنس البشري لبقاء فقط ، وبفضل الرجل
كان هذا المجهود يكفل بالنجاح النطفي .

ما دام التوازن بين الانتاج والتناسل كان يتحقق ، ولو كان ذلك
احياء عن طريق قتل الاطفال والتضحيات والحروب فان الرجال والفساد

معا كانوا ضروريين بالنسبة الى بعضهم فيما يتعلق ببقاء الحياة الجماعية . بل يمكننا ان نقترئ ان دور الرجل الحربي والعناني كان تابعا في اوقات النعومة والرخاء لدور المرأة كأم . الا ان الانسانية لم تسمح للنساء باحتلال المقام الاول حتى في اوقات الحاجة القصوى الى التوالد . والسبب في ذلك ان الانسانية ليست نوعا طبيعيا فقط ، وانها لا تتناول الديبومة كنوع ، وان هدفها ليس التوقف والجمود . ان الانسانية تميل الى التجاوز وتنجح الى الارتفاع .

لم تكن الجماعات البدائية قط تهتم بالنسل إذ كانت غير مرتبطة بالأرض ولم يكن لديها فكرة عن الديبومة . ولم يكن أفرادها يعرفون على أنفسهم من خلال ذريتهم بل كان الاطفال يشكلون عينا تقيلا بالنسبة اليهم . لذلك لم تكن المرأة التي تنجب طفلا تعرف الكرامة المرتبطة بالجاب الذرية . الا ان اعبية الطفل ارتفعت فيما بعد . ولكن الانجاب والأوضاع ، على كل حال ، ليسا انواعا من النشاط بل وظائف طبيعية لا تستدعي تخطيط الاهداف وتصميم المشاريع . لذلك لم تكن المرأة تجد في نفسها دائما على تأكيد أعمال لوجودها . بل كانت تتلقى مصيرها البيولوجي تلقيا سلبيا . اما الاعمال المنزلية النشطة بها فتتفق مع اعباء الامومة وتصنف بالرعاية والجمود دون ان تنتج شيئا جديدا . اما الرجل فيختلف في وضعه اختلافا جذريا . انه لا يفتني الجماعة كما تفعل النحل ابي نشاط حيوي بسيط ، بل بالتجوء الى افعال تسو بوضعه الحيواني . هكذا كان الرجل مبدعا منذ البداية . وفي محاولاته الاستحواذ على ثروات العالم كان يضم العالم ضمه اليه . وكان يحس في هذا العمل يمدى سلطته . كان يفتح الاهداف ويبعد المستقبل . وفي عطشه

الانثائي لم يكن يسعى للإبقاء على عالم معين بل كان يفجر الحدود ويرسي قواعد مستقبل جديد معرضا حياته للخطر . فكانت شبت بذلك ان الحياة ليست الهدف الاساسي للانسان بل ينبغي لها ان تخدم غايات اعم من الحياة نفسها . ولا يرضع الانسان عن مستوى الحيوان لانه يعطي الحياة وانما لانه يعظم بحياته .

انما لسك هنا بفتح الفز كة . في مستوى البيولوجيا يقوم النوع بالتوالد الا ان هذا الخلق لا يشكل سوى تكرار للحياة نفسها في صور مختلفة لما الانسان فيجاوز الحياة بتأكيد الوجود وبهذه التجاوزة والتسامي يطلق قينا تكرر على التكرار فينته . ان الذكر الانثائي ، بعكس الحيوان ، ان يحترم النوع بغير وجه العالم فيخلق أدوات جديدة ويبدع ويرسي للمستقبل . وهو حين يؤكد نفسه كسيد يقبى مشاركة واسهاما من المرأة نفسها لانها لها هي ايضا كائن، ولكن فيها التجاوز وهدفها ليس التكرار بل السمو الى مستقبل آخر . وانها تنجد في اعناق نفسها تأكيدا لادعاءات الذكور . ان مصيبتها تكمن في انها نظرت من الناحية البيولوجية لتكرار الحياة على حين ان الحياة في حينها لا تحلل معها اسباب وجودها . المرأة هي ايضا تعرف القيم التي يقوم الذكر بتحقيقها بصورة فعلية ، والحقيقة ان النساء لم يعابهن قيم الرجال بغير اثوية . والرجال الرقبون في ابقاء ميزات الذكور هم الذين خلقوا هذا التقسيم . لقد سحنت لنا النظرة الوجودية ان نهم كيف ادى الوضع البيولوجي والاقتصادي للجماعات البدائية الى تسلط الرجل . فالمرأة أكثر خضوعا من الرجل لمستلزمات النوع . وقد حاولت الانثائية دائما التحرر من مصيرها النوعي ولما اخترعت الاداة اسبغت اداة الحياة

بالنسبة الى الرجل نشاطا وهدفا على حين كانت المرأة تبقى في مرحلة الامومة والحمل مفيدة بجسدها مثل الحيوان . ولما كانت الانسانية تفضل على الحياة بالذات ان يكون لها اسباب للحياة فلان الرجل نصب من نفسه سيدا امام المرأة . وهدفه الانسان ليس ان يتكرر عبر الزمان بل ان يسود على الحاضر ويجهد للمستقبل . ان نشاط الذكور الذي خلق القيم جعل الوجود نفسه كقيمة وفهر قوى الحياة المتخبطة واخضع الطبيعة والمرأة .

ينبغي لنا الآن ان نرى كيف تطعد هذا الوضع وتطور خلال العصور، وما هو المكان الذي خصصته الانسانية لاحد جزئها ، هذا الجزء الذي تعدد ضمن ذاتها «كجنس آخر» ! ما هي حقوقه المسلم بها ؟ وكيف حددها الرجال ؟



كان مصير المرأة ، كما رأينا ، قاسيا جدا في الجماعات الاولية . وكانت النساء احيانا مستثمرات من ناحية التناسل حتى الامياء من قبل سيد مستبد ولا سيما في فترات حاجة الجماعة الى امكانيات المرأة لرد الاخطار الداعية . ومن المؤرخين من يدعي ان تفوق الرجال في مثل هذه الفترات كان اقل بروزا . والحقيقة ان هذا التفوق كان جزءا من العيش غير مقصود . فلم تكن الجهود تبذل للتعويض عن جهدها او لكبح جماحها كما حدث فيما بعد ضمن النظام الابوي . ولم تكن هناك نظم تؤكد عدم التساوي بين الجنسين لان الملكية والوراثة والحقوق كانت مجهولة . اما الدين فكان محايدا والاله المعبود لا جنس له .

وقد استقر الرجال في الأرض وصاروا يعملون في الزراعة ، بدأت
النظم والحقوق بالظهور . فلم يعد الرجل يكتفي بجراحة القوى المادية
بل شرع يعبر عن ذاته من خلال الصورة التي يفرسها على العالم . أخذ
الرجل إذن ينكر في العالم وفي نفسه . في هذه الفترة أخذ التنابر الجنسي
ينعكس في تكوين الجماعة ويكتسب مظهرا خاصا . ففي الجماعات
المتباعدة على الزراعة ، بدأ الرجل يطلع على المرأة ، في اغلب الأحيان ،
سحرا استثنائيا وقيمة خاصة . ويمكن تفسير هذه القيمة بصورة خاصة
بالقيمة الجديدة التي صارت للولد في حضارة تعتمد على الكدح في
الأرض . فالرجال ، إذ يقسمون في الأرض ، يحققون امتلاكهم لها .
وظهرت الملكية الخاصة وهي تتطلب من المالكين ذرية ، حينئذ أصبحت
الأمومة مقدسة ، لم يكن هذا يعني ان المرأة كانت تخص كل الرجال بل
لم يكن للرجال والنساء معا من كيان اجتماعي وديني واقتصادي الا
كجماعة . اما فرديتهم بقيت واقفا بيولوجيا صرفا . ولم يكن للزواج ،
بغض النظر عن أشكاله ، اي قيمة فنية . ولم يكن ينجم عنه اي عبودية
بالنسبة الى المرأة التي كانت تبقى مرتبطة بعشيرتها .

ولئن كانت القبائل الجوارية (البدوية) لا تعرف الا اللحظة الألية
ك مفهوم فإن الجماعة الزراعية استعاضت عن اللحظة بفهوم مرتبط
بالماضي ومطل على المستقبل . واخذت الجماعة تشعر بوحدتها وترغب
في تسيده وجودها الى المستقبل فعرفت نفسها في الامتثال .

الا ان اكثر الانواع البدائية كانت تجهل دور الأب في الانجاب
فالاولاد بالنسبة اليهم ينحطرون من روح الجدود المتمصدة في جسم
المرأة . اما المرأة فضرورية للانجاب لذلك اخذت تلمب دورا اوليا .

وكثيرا ما كان الاولاد يسمعون عشيبة امهم واخذت الملكية الجماعية تنتقل من خلال النساء ، بل ان النظام القائم على الام يتميز بتشبيه المرأة بالارض والربط بينهما . لذا عن طريقها تدوم الحياة .

في هذه المرحلة لم يكن الرجل يشعر بقوته بل يحس بنفسه سلبيا معلقا بالطبيعة التي تهب الموت والحياة . مثل هذه المعتقدات لا تزال سائدة حتى يومنا هذا عند بعض القبائل المتأخرة .

* * *

لا يمس الرجل نفسه ابدا الا اذا وعى هذا «الجنس الآخر» . ولا يكتفه العالم الا من خلال الازدواج الذي ليس له سفة جنسية في البداية . ولما كانت المرأة مختلفة عن الرجل الذي يعتبر نفسه الاصل قالها تصنف في زمرة «الجنس الآخر» . وان ذلك ليزداد وضوحا بازدياد دورها . حينئذ تظهر «الآلهة الالشي» التي تعبد من خلالها فكرة الخصب . هذه الآلهة تصنف بالتقلب والتسوية شأنها في ذلك شأن الطبيعة ، وقد اطلق عليها اسم «عشتار» في بابل و «ايزيس» في مصر وانما كانت هذه المرحلة لم تترك لنا ادبا فان المرحلة الابوية تحفظ في اساطيرها وتحاليلها ذكريات عهد كانت النساء فيه تحتل مكانا عاليا جدا .

هذه الوقائع ادت الى الفراض وجود سيطرة حقيقية للنساء في الازمنة البدائية . وقد عرض هذه الفرضية (باشوفين) ثم اخضعها عن (الجلز) واعتبر الانتقال من عهد سيطرة الام الى السيطرة الابوية «الانكسار التاريخي الكبير للجنس النسائي» . والحقيقة ان هذه الفترة الذمعية من تاريخ المرأة ليست سوى اسطورة .

لذا قلنا ان المرأة كانت «الجنس الأخر» بمعنى ذلك انه لم تكن بين
الجنسين علاقة متبادلة : فالارض والام والآلهة لم تكن شبيهة بالرجل بل
كانت من طينة اخرى ، اما المجتمع فكان دائما مذكرا والسلطة السياسية
كانت دائما في أيدي الرجال .

ان نظام القرابة يحدد العلاقات بين فئتين من الذكور . ولا يرتبط
الوضع العملي للمرأة ، بصورة عقلية ، بهذا النوع من الحقوق او ذلك .
وتذهب المرأة غالبا لتعيش في بيت زوجها وهذا ينتمي لابرار انطوية
الذكر . ولما كانت تعالظ على اولادها بجانبها فعنى ذلك ان التنظيم
الارضى للقبيلة كان مبائنا لعلاقتها الطوطية . ومن الطبيعي ان تكون
العلاقة الاولى اقوى من الثانية .

وفي النظم الانتقالية ، يلاحظ وجود نوعين من الحقوق متساويين !
حقوق دينية وحقوق مستتلة الى شغل الأرض . ولا يعود الاولاد الى
عشيرة الاب ولكن هذه العشيرة هي التي تغذيهم وتربهم . لذلك ينشأ بين
الزوج والمرأة والاموال علاقة سكن مشترك ومصالح مشتركة وحضانة
متبادل . وتكون العلاقات بين هذه العائلة والعشيرة الطوطية معقدة كما
يشهد بذلك اختلاف حقوق الزوج . على ان التوازن بين الوقائع الفيزية
والاقتصادية لم يكن مستقرا وحينما تنجح الفرصة للرجل فانه يؤكد
نفسه كآب . لذلك يسيل كل مجتمع الى شكل ابري حينما يسمح التطور
للرجل بان يشعر بذاته ويفرض ارادته .

كان سحر المرأة في عين الرجال يأتيها منهم الضميم . فهم يركعون
امام ذلك «الجنس الأخر» ويمجدون الآلهة الام . ولكن هذه الآلهة ،
مهما بلغت من القوة ، تبقى وليدة مفاهيم من صنع الرجال .

تبقى المرأة في حالة الجسد ولا تجسد من المجتمع إلا تابعته الساكنة المفلقة على نفسها ، في حين يتابع الرجل احتكار المهام التي تفتح له في المجتمع المجال على الطبيعة وعلى كل الجماعة البشرية .

إن العروب والصيد من شأنها توسيع افق الوجود وتحقيق خطوات إلى الامام نحو العالم ، والذكر وحده يبقى مجسدا لهذا التجاوز والارتقاء . ولكن لم تتوفر له الوسائل ليتسلط تسلطا تاما على الام - الارض ، الا انه يحاول الاتصال عنها والاعتناق التدريجي منها . والامتناع عن الزواج من الاقارب يكتسب منذ القدم بالنسبة للام نفس المعنى أي انه تعبير عن الرغبة في الاتحاد مع التباين المختلف فالخطف وكل مظاهر العنف تأكيد للمطابقة والتباين . اما انخفاض قيمة المرأة فيشكل مرحلة حتمية في تاريخ الانسانية لان المرأة كانت لجسد الافاز المفلقة الكامنة في الطبيعة . فيقتدار ما يتحرر الرجل من الطبيعة يتحرر ايضا من المرأة . والذي سمح للرجل بتزود الارض والتمكن من ذاته هو الانتقال من عصر الحجر إلى عصر البرونز .

يبدو المزارع عاجزا ككل المعجز امام تقلبات الطبيعة . اما الصانع فيستطيع ان يكيف الآلة بحسب رغبته وان يفرض عليها يديه صورة اهدافه ومشاريعه . ان الرجل ، حين يخضع الطبيعة التي تقاومه ، يؤكد ذاته ويشعر بنفسه كإرادة مستقلة ذات سيادة . ويشعل في نفس الوقت كيف يتحمل المسؤولية لان يكيف الآداة برهن إرادته ومهارته . حينئذ تصبح القيم القبيية في القام الثاني ينشأ ترهق المسائل العملية إلى القام الاول . صحيح ان الانسان لم يتحرر نهائيا من الآلهة الا انه يفصلها عنه اذ يبدأ بالاتصال عنها ، ومن خلال العلاقة بين يده النتيجة والسطع

المصنوعة كان الرجل يتوسل بتجربة السببية مما جعل ظهور الحساب
والتنطق مسكنا . وانقلبت بالتالي صورة العالم وأسا على عقب .

كان تأليه المرأة مرتبطا بالزراعة . اما الانسان الذي بدأ يعمل في
الصناعة فقد دشّن عهد امكان الانتصار على الزمن والمكان ، وعهد
الضرورة والاهداف والمشاريع . لم تكن المرأة معبودة من الرجل الا
عبادة خوف فلم تكن عبادته عبادة حب . ولم يكن بوسعها استكمال
ذاته الا بتحررها من صفاتها الالهية . لذلك اتخذ يعتبر المبدأ المذكور
«التذكير» اساس التوبة المبددة والنور والفهم والنظام .

هكذا ظهر بجانب الالهة - الام ، اله ولد او حبيب . كان في البداية
اقل منها ولكنه يشبهها ويشارك معها ويجسد هو ايضا مبدأ الخصب .
ان هذا يدشن ظهور الالهة المزدوجة : في مصر ايزيس وحوروس ، وفي
فينيقيا عشتروت وادونيس . بعد ذلك خلعت الام الكبرى عن عرش
الالهية واسبح الاله الذكر هو الاساس .

لم يكن انتصار نظام امتياز الابوة نتيجة لسدفة طارئة او ثورة
عاصفة . فبذات نشأة الانسانية اتاحت للذكور ميزاتهم البيولوجية ان
يؤكدوا انفسهم كسادة ومدعم وهم لم يتخلوا قط عن هذا الامتياز .
الا انهم تخلوا جزئيا عن وجودهم وقسموه في الطبيعة والمرأة وقسا بعد
استرجعوه . ولما كان محكوما على المرأة ان تكون «الجنس الثانوي
لاخر» فقد حكم عليها ايضا ان لا تمتنع بالسلطة الا بصورة مؤقتة .
وهي لم تستطيع لنفسها ان تكون معبودة او مستعبدة . ومكان المرأة
في المجتمع لم يكن الا المكان الذي خصصه الرجال لها ، ولم تفرس ، في
اي زمن من الازمان ، قانونها الخاص بنفسها .

لم تعرفه الأزمنة البدائية ثورة تضاهي استقبال الانتساب إلى الام
بالانتساب إلى الأب . فقد استحوطت الام نتيجة لذلك ، إلى مرضع
وخادمة اما سلطة الاب فازدادت رسوخا . هو الذي يتمتع بالحقوق
ويورثها من بعده .

ها هو ذا يعلن على لسان ابولون :
« ليست الام هي التي نعلمت ما يسنى طفلها . فهي ليست سوى
مغذية للبيضة الموضوعة في أحشائها . اما الرجل وعده فهو الذي يحنث
الطفل » .

لذلك لم تعد المرأة سوى عيدة ، بعد ما كرست للانجاب والاعمال
الثأوية ، وبعد ان رفعت عنها اهميتها العظيمة وسحرها الغيبي » .
وقد صور الرجال هذا الانتصار كنهاية لصراع عيب . فمثلت
الاساطير الآشورية والافريقية انتصار قوى الرجولة في عالم الطبيعة
والافلاك » .

والحقيقة ان الانتقال إلى الحق الأيوي جرى بصورة بطيئة . ولم
يكن هناك صراع أو ظفر أو انكسار . على ان هذه الاساطير تخفي
مغزى بعيد الدلالة . فالعلاقة مع «الجنس الآخر» اخذت شكل مأساة
فقد أكد الرجل نفسه كمنعص ، ذي كيان حر ، لأن وجود «الآخر»
تهديد وخطر .

لذلك زوى الديانات القديمة ومجموعات القوانين تنظر إلى المرأة
نظرة عباءة لأن هذه الديانات ظهرت وسجلت في عهد انتصار حق الابوة .
من الطبيعي ان يكون الوضع المخصص للمرأة وضع الحاق وتبعية .

وقد يخيل لنا انهم نظروا اليها نظرة حسنة كما ينظرون الى أطفالهم ومواشيهم ولكن مثل هذا الامر لم يحدث اطلاقا . كان الشرعون الذين نظموا اضطهاد المرأة يشعرون تجاهها بالخوف ، لذلك استحال من مقدسة الى دنسة .

فالمرأة اذن ، تعني السلبية العاكسة للنشاط ، والتمدد المهذب للوحدة ، والمادة المقاومة للقاعدة ، والفوضى المناوئة للنظام .

يقول فيثاغورس :

«هناك مبدأ خبير انبثق من النظام والنور والرجل ، ومبدأ شر خلق الفوضى والظلمة والمرأة» .

على ان الشر ضروري للخير ، والمادة للتفكر ، والليل للنهار . والرجل يعلم جيدا انه بحاجة الى المرأة لطيف ، شهواته ويديم وجوده . فلا بد اذن من ضمها الى المجتمع . لذلك تستطيع المرأة ان تظهر من دنسها الاسلي بالخضوع للنظام المشرع من قبل الرجال .

تقول قوانين الديانة المانوية :

«اكتسب المرأة المتزوجة شرها نفس خصائص الزوج كالنهر الذي يضيح في المحيط» .

لما الديانة المسيحية فرغ من بعضها الجسد ، تحترم العذراء والزوجة العفيفة الطيبة .

هكذا بقيت المرأة خاضعة لارادة الرجل حتى اليوم تجعل منها التبعية التامة للرجل مجرد شيء من الاشياء على ان «الجنس الآخر» يبقى مع

ذلك محافظا امام الرجل بسعده الاسلي . فكيف يستطيع الرجل ان
ان يجعل من الزوجة خالعة ورقيقة في نفس الوقت . هذه مسألة حاول
حلها باشكال مختلفة خلال العصور مما احدث تطورا في مصير المرأة .



بما ان المرأة خلعت عن عرشها الالهي بحلول الملكية الفردية فقد كان
مصيرها مرتبطا خلال الزمن بهذه الملكية . وان تاريخها يخلط اختلاطا
بعيدا بتاريخ الميراث . وتصبح اهمية هذا النظام مفهومة اذا تذكرنا ان
المالك يقمص وجوده في الملكية وتمسك بها اكثر من حياته . فهي تجاوز
نطاق الحياة المحدود وتوجد الروح الخالدة .

لذلك يرفض الرجل ان تشاركه المرأة في املاكه واولاده . على انه
ليس يوسع دائما ان يفرض مثل هذه الرغبة فرضا كليا دائما . ولما كان
بالغ القوة في عهد السلطة الابوية فقد خلع عن المرأة كل حقها في الامتلاك
وانتقال الملكية ، ومن المنطقي ان يشكر عليها ذلك . اذ لم تعد المرأة تعار ،
حين الزواج ، من عشيرة الى اخرى ، بل سارت تفصل اتصالا جذريا
عن عشيرتها وتلتحق بعشيرة زوجها اما اولادها فيتبعون امرة الزوج .
لذلك حرمت من الميراث ، وبما انها لا تملك شيئا فانها لا تكتسب صفة
الشخص بل تصبح جزءا من املاك الرجل حتى ان الاب يستطيع قتل
بناته بعد الولادة . واذا قبل بالاقتناء طبعين فانه يعبر عن سخائه . والمرأة
لا تدخل هكذا في المجتمع الا اذا من عليها الرجل بذلك ، ولما كانت
المرأة كالمشاع فقد كان حق الرجل ان يتزوج بقدر ما يشاء، تبعا لامكانياته
الاقتصادية ، كما من حقه ان يعجز المرأة حسب هواه . وعلى العكس

من ذلك ، فانه يطلب من المرأة عفة تامة .

حين تكون الأسرة والملكية الفردية اساسا للمجتمع دون اعتراض
تكون المرأة عديمة المركز . وفي النظم التي تجعل المرأة تحت الرقابة ،
يشير وضع الارامل مشكلة . فقد يشار الى التخلص منها بوضاحتها فوق
قبر زوجها الا انها توضع في الحب الاحيان تحت تصرف ورة الزوج .

الا ان الحق الابوي لم يكن يطبق بصورته المطلقة . فقوانين
سوراني مثلا تهر للمرأة بعض الحقوق . فتأخذ حصة من ارض الاب
وحين تتزوج يقدم لها والدعا بالثة . الا ان خير وضع للمرأة كان في مصر
القديمة . على ان ذلك لم يكن نتيجة للصدقة ، فقد كانت الارض تابعة
للنكح والبنات العليا ، اما الطبقات الدنيا فلم يكن لها الحق في التملك
بل يعق لها التمتع والاستثمار ، ويبقى الاملاك والاراضي موقوفة .
لذلك حافظت المرأة على مقامها كشخص لان الاملاك الفردية لم
موجودة . وفي اليونان كانت العادات قريبة العادات من الشرفية . الا
انهم لم يكونوا يطبقون تعدد الزوجات . كانت المرأة في اينا فاصرة
طيلة حياتها حيث يظل زوجها وصيا عليها والا فانها تقع تحت وصاية
الدولة مشقة في الموظفين الباقين .

كان اضطياد المرأة يرجع الى الرغبة في تغليد الأسرة والمحافظة على
الاملاك فسقذار ما تحرر المرأة من الأسرة تتحرر من التبعية . فذا انكر
المجتمع الملكية الفردية والأسرة بالتالي ، فان حظ المرأة يتحسن تحسنا
كبيرا . ففي مدينة سبارطة الغاضمة لنظام المشاع كانت المرأة معادلة
للرجل تماما . وكانت الفتيات يربين مثل الصبيان .

وقد عرفت الشعوب البدائية بقاء القدس • يروي هيرودوت ان
المرأة في بابل كانت مضطرة ان تستسلم مرة في حياتها ضمن اللبث • ثم
استحال بقاء القدس الي بقاء قانوني حين وجدت طبقة الكهنوت فيه
وسيلة للافتتاح • ففي الجزر اليونانية مثلا :

كانت التوسات يستلمن للقرناء • اما الاموال المحصلة فكانت
تخصص للعبادة اي للكهان وبصورة غير مباشرة لتأمين مصاريفهم •
وقد جعل صولون من البقاء مؤسسة رسمية فكانت الجوازي الاجنبيات
يتبشن ليورهن المهددة اما الأرباح الفائضة فتعود الي الدولة • ثم
انضمت اليهن اليونانيات الفطرات •

ان ارسطو يعبر عن الرأي السائد حين يقول :

«ان المرأة مرأة لنفس فيها • وعليها ان تخدم بيتها كخاتمة لزوجها»
على ان وضعها البسيط لم يكن ليحول دون التعرض بها • يقول
هيوناكس : «لا تعدك المرأة في الحياة الا يومين : يوم الزفاف ويوم
دفنها» •

* * *

في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية
في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية
في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية
في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية
في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية
في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية
في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية
في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية
في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية
في يومين فقط يعيش الزوجان معا في حياتهم الزوجية

^٨ لم يتطور وضع المرأة بصورة متصلة . فالنزوات الكبرى قلبت كل شيء . والحقوق الرومانية نفسها لا كرت بمقاييس جديدة : المسيحية . ثم اتصرت في الصور التالية قوانين البرابرة . لقد قلب الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وتأثر وضع المرأة بهذا الانقلاب . ولا شك في ان الانجيل تضمن نفحة من المحبة دفعت الساكنين والعيبد والنساء الى التسك بالقانون الجديد . وكانت النساء يوم خضوعهن للكنيسة في ايام المسيحية الاولى ، معزولات نسبيا ، وصار بإمكانهن ان يكن شهودات مثل الرجال . ولكنهن لم يستطعن الاسهام في العبادة الا بصيغة ثانوية . ولئن اعتبر الزواج نظاما يتطلب الاخلاص من الطرفين فان المرأة كانت مضطرة الى ان تكون مطهقة العاقا كاملا بالرجل . وقد ارسى القديس بول خاصة مبدأ النطاق المرأة بالرجل استنادا الى العهد القديم والعهد الجديد . وكما تخضع الكنيسة يسوع للتخضع المرأة للزوج .

يقول القديس امبراوز :

وصارت حواء بآدم نمو الخطيئة ولم ينس آدم بحواء نحوها . من قاده المرأة الى الخطيئة من حقه ان يستقبل استبدال الاسياد .
 ولما شرعت الحقوق الدينية بدا الزوج . استجابة للضعف البشري ، فهو لا يتفق مع الكمال المسيحي . واختيارا من غيرفوار السادس ، فرضت العزوبية على النس وجرى التأكيد على طابع المرأة الخطر . لذلك لا تقبل الحقوق الدينية سوى نظام البائنة الذي يجعل المرأة قاصرة

غير حقوق - فلا يحق لها مثلا الشكوى امام العدالة كما لا تقبل شهادتها - وتأثر الإبادة آثارا سببا بآباء الكنيسة فتصرح جوستينيان بمجد المرأة كزوجة وكأم يخلصها لوجاب هاتين المهنتين - ويعود قصورها الى الوضع الذي تعثله في الأسرة وليس الى جنسها -

وفي المناطق التي كانت خاضعة للبرابرة ، كانت التقاليد الجرمانية هي السائدة كانت اعراقهم لحرية ، فلم يكنولوا يعترفون برئيس الا ايام الحروب ، اما في اوقات السلم فكانت الأسرة تشكل مجتمعا مستقلا - وكانت المرأة دائما تحت الوصاية الا انها كانت تشارك مع الرجال اشتراكا وثيقا في حياة الأسرة -

امتدت هذه التقاليد حتى القرون الوسطى - بيد ان (الفراك) كانوا في عهد الاسرتين المروفتجية والكارولانجية يتزوجون بعدة نساء - ولم تكن ثمة حاجة الى الحصول على موافقة المرأة لتزويجها - كما كان الزوج يجرها وفق هواه وكان له عليها حق الموت والحياة وكان يعاملها معاملة الضامة -

كانت المرأة محمية من القانون ولكن على اعتبار انها ملك الرجل وام لاطفاله - اما كمشخص فلم يكن لها اي حق ، واما كأم فكانت تساوي اكثر من الرجل فالمرأة الولود مثلا تساوي ثلاثة رجال احرارا والمرأة العاقر ليس لها اية قيمة -

ولما ازدادت قوة الدولة لم تعد الوصاية على الاطفال والنساء حقا مرتبطا بالأسرة بل حقا عاما ، واحتكر الملك تدريجيا كل السلطات التابعة

للأسرة . على أنه لم يكن من شأن هذا التغيير أن يؤدي إلى تحرير المرأة .

لعمري ما يميز الحقوق في عهد الانقطاع عن التشابك بين حق السيادة وحق الملكية ، بين الحقوق العامة والحقوق الخاصة وهذا ما يفسر قلب وضع المرأة بين الارتفاع والانخفاض في هذا النظام . وترينا كثير من الملامح الشعرية في القرون الوسطى كيف يتصرف الملك أو السيد الاقطاعي في زواج الأرملة واليتيمات . هذه الحضارة الغربية لم تكن تحسن تجاه المرأة إلا بالأجزاء . فالقارس لا يتم بالمرأة بل يفضل عليها حصانه .. وفي الملامح الشعرية ترى النساء يقمن عن بالمبادرة .

ادعى بعضهم ان «الحب الرفيع» الذي ظهر في القرن الثاني عشر في جنوبي فرنسا حسن من وضع المرأة . وكثيرا ما وصف هذا الحب على انه حب افلاطوني . وكان ينس عن وحشية الطباع والعادات الرسمية . وكما يقول انجلز «ان الحب بالمعنى الحديث لهذه الكلمة لم يكن يجري قديما الا خارج نطاق المجتمع الرسمي» . وعلى كل ، ليست الافكار والاشعار هي التي تؤدي الى تحرير المرأة . والاسباب مغالفة تماما تحسن وضعها قليلا في اواخر العهد الاقطاعي . ذلك ان سلطة الملك حين ازدهرت ، رفعت عن النبلاء بعض صلاحياتهم فأخذوا يقررون مثلا امر زواج تابعاتهم .

الا ان العناصر التي كانت تتضافر ضد استقلال المرأة كانت من الكثرة بحيث لم يحدث مطلقا لها الغيت تماما ، صحيح ان ضعف المرأة الجنسي لم يعد يتدخل الا ان تبعية المرأة بقيت مفيدة للمجتمع في حالة

الزواج . لذلك بقيت سلطة الزوج بعد زوال النظام الاقطاعي . وهكذا
شاهد نفس التقلص الذي ما يزال موجودا الى الآن . فالمرأة الأكثر
انحصارا في المنصب أي المرأة المتزوجة هي التي تتمتع بأقل قسط من
الامتيازات . ولئن كان الزوج وصي الزوجة في عهد الاقطاع ، فإن
البورجوازية حافظت ، حين تشكلها ، على نفس القوانين .

في الحقوق الدينية كما في الحقوق الاقطاعية لا تكون المرأة متحررة
لا خارج نطاق الزواج . فالنساء والأرامل لهما نفس امكانية الرجل . اما
إذا تزوجت المرأة صارت تحت وصاية الرجل الذي يستطيع التصرف
بثروتها بمجرد الزواج وليس بالاستئذان الى عقد لأن مصلحة الاملاك
تقتضي ان يكون هناك سيد واحد يسهر على ادارتها . وهكذا يفرض
بالمرأة المتزوجة منذ عهد الاقطاع حتى يومنا هذا ، عبدا ، في سبيل
الملكية الخاصة . وان هذا يظهر بشكل خاص عند الطبقات الغنية ، اما
الفقر المتبادل فيجعل من الزواج علاقة متبادلة .

لم تحرر المرأة بفضل النظام الاقطاعي ولا بفضل الكنيسة ، بل
بالأحرى ابتداء الانتقال من الأسرة الأبوية الى الأسرة الزوجية المشتركة
الصحيحة اعتبارا من الرق .

كان رقيق الأرض لا يتكلم مع زوجاتهم الا حق التمتع المشترك
بالمزول والآلات وادوات المنزل . فلم يكن للرجل إذن أي سبب يدفعه
الى التسلط على زوجته لأنها لا تملك شيئا . وعلى العكس من ذلك ، كانت
علاقات العمل والمصالح التي تربط بينهما ، ترفع للزوجة الى درجة رقيقة .
ولما ألقى الرق على الفقر . فكان يرى ، في بيوت الرقيق والحرفيين ،
الزوجان وهما يعيشان على قدم المساواة . المرأة في مثل هذه الحال لا

يمكن ان تكون لا متاعا ولا عاقبا لان هذا بذخ لا يتاح الا للانبياء .
ففي العمل الحر ، تحصل المرأة على استقلالها العملي لانها تعود الى
احتلال دور اقتصادي واجتماعي .

والحكايات العزلية التي تصور المجتمعات البسيطة في القرون
الوسطى ، مجتمعات الريفين والحرفيين وسفار التجار ، ترى الزوج لا
يشبع بأي امتياز سوى ضرب زوجته التي تعالق قوته بحيلتها ومكرها ،
فيسبح الطرفان متعادلين . في حين ان المرأة الغنية كانت تدفع بالخضوع
لن بطالتها .

وفي القرن السادس عشر جرى صبح القوانين الباقية خلال النظام
الملكي القديم هذه القوانين التي كانت متأثرة بالحقوق الرومانية والتي
نظر الى المرأة نظرة احتقار . فكانت كل الانهادات التي توجه للمرأة
كالعاقبة والضعف قد اتخذت اسما لتبرير نصوص القوانين الموجبة
شد المرأة .

عكسا كان وضع المرأة الفرنسية في النظام الملكي القديم . كانت
تبدو في العمل وفي الامومة كغادمة اكثر من رفيقة . اما الانبياء والقيم
والامثال التي توجد لها المرأة فلا تخصها هي بل تخص الاسرة وبالتالي
الزوج رب الاسرة .

وفي البلاد الأوروبية الاخرى ، لم يكن حظها احسن ، لان مجسوعات
القوانين الأوروبية شطرت اعتبارا من الحقوق الكنائسية والحقوق
الرومانية والحقوق الجرمانية التي كانت جميعها منحقة بحقوق المرأة .
كل البلاد اذن كانت تطبق الملكية الفردية والاسرة وتخضع لمستلزمات

هذه النظم .

كان من نتيجة استعباد المرأة الشريرة في كل هذه البلاد وجود البغاء . لذلك كانت المؤسسات الموسوعات على هامش المجتمع يفسر بدور اساسي فيه . فالمسيحية تزخرين ولكنها ترفض بين كثير لا بد منه . يقول القديس اوغستين :

«احذروا المؤسسات ، تكلموا المجتمع بالاخلاق» .

كان تنظيم المجتمع اذن يجعل من البغاء ضرورة . يقول سونديهاور :

«البغاء من الضحايا البشرية على مذبح الزواج بوحدة» .

وقال احد مؤرخي الاخلاق الاوربية ، له كي :

«البغاء اعلى سودج للفجور ، وانتط حراس للفضيلة» .

البغاء مجبرات مثل اليهود في اانيا النازية ، على ارتداء القواب سيرة تحمل اشارات خاصة .

في مثل هذه الشروط يستحيل على المرأة او من النادر جدا ان تظهر . ففي الطبقات العاملة ، يلقي الاضطهاد الاقتصادي التمييز بين الجنسين الا انه يقضي على كل امل للشخص مهما يكن جنسه . اما عند النبلاء والبرجوازيين فالمرأة مضطهدة كجنس . وبصفتها جنسا آخر ، ليس لها الا وجود طفيلي . ففي محدودة التعليم ويضفي حدوث ظروف استثنائية لتفكر في هدف ملموس تحققه .

قليل ما كان رأي الرجال في القرون الوسطى في صالح المرأة . صحيح ان «الادب الرابع» يشيد بالحب الا ان الادب المتاخر بالاوساط

اليورجوازية كان يهاجم المرأة ويخشى على أن أعدى أعدائها هم رجال الدين .

وقد طالبت كريستين دويزان في القرن العاشر عشر بالسماح للنساء بالتعلم إلا أن وضع المرأة لم يتأثر بالعركة الأدبية لأنه لم يكن هناك أحد يفكر في إعطاء المرأة دورا اجتماعيا يختلف عن الدور الذي كان لها .



يقال إن الوضع القانوني للمرأة بقي على حاله من مطلع القرن الخامس عشر حتى القرن التاسع عشر . إلا أن وضعها الفعلي عند الطبقات ذات الامتياز قد تطور فالنهضة الإيطالية كانت عصر الفردية وكانت مناسبة لتفتح الشخصيات القوية بغض النظر عن الجنس . إلا أن الحرية بالنسبة إلى الأكثرية كانت تأخذ شكل الخلاعة . أما الأخلاق السائدة فبقيت بصورة عامة على ما كانت عليه في القرون الوسطى ولما ازدغار الشخصية فلم يكن ميسورا إلا العدد محدود . حينئذ كانت النساء تظهر امكانيات مثل الرجال في حالة تكافؤ الفرص . على أن هذه الفرص بقيت في الواقع غير متساوية .

وفي القرن السادس عشر كانت النساء محدودات التعليم . إلا أنهن تقدمن في الميدان الفكري خاصة ، خلال القرن السابع عشر . فقد توسعت الحياة الاجتماعية وازداد دور المرأة في الحلقات الأدبية . ولما لم تكن مهسكة في بناء العالم فقد كان بإمكانها الاستمتاع بالمعاصرة والفنون والآداب . ولم يكن تعليم النساء منقطعا إلا أنهن كن يحصلن على الثقافة عن طريق المحادثات والقراءات والمطالعة الخصوصيين . وفي القرن

الثامن عشر ازدهاد استقلال المرأة وحريتها ، أما العادات فبقيت قاسية شديدة فلم تكن الفتاة تأخذ إلا قسطا محدودا من الثقافة ، كما كانت تزوج أو توضع في الدير دون استئذنها .

إن البورجوازية المساعدة فرضت على الزوجة اخلاقا شديدة . أما طبقة النبلاء السائرة الى الانحطاط والانحلال فكانت تسمح للنساء البارزات بالمجون . ثم انتقلت العدوى الى البورجوازية فلم تعد الاديرة او المنازل الزوجية تستطيع إيقاف النساء .

هكذا بقيت الحرية ، للمرة الثانية بالنسبة الى اكثر النساء ، سلبية ومجردة . فكانت محدودة في البحث عن الفتنة . وقليلت كمن الذكيات الطموحات اللواتي طغفن لانهن مجاللا للنشاط .

أما حياة الصالونات فقد سمعت . يقول مونتسكيو بان كل شيء يمكن عمله في فرنسا بواسطة النساء . حين تشكلن دولة جديدة فس الدولة .

هكذا كان الميدان القليل ، خلال العهد الملكي القديم ، اقرب مثلا بالنسبة الى النساء . ظهر له ما من ، احد ، وصلت الى القمة وصارت مثل داته وشكسبير . هذا الامر يفسد بوضعهم العام البسيط . فلم تكن الثقافة سوى امتياز نحظى به ، ينظر عن العوائق التي كانت توضع في طريقهم .

قد ينتظر البعض من الثورة الفرنسية ان تغير مصير المرأة . لكن لم

حدث شيء من هذا . فالثورة البورجوازية اشترمت النظم والمفاهيم
البورجوازية وكانت تقريبا من صنع الرجال فقط . ومن المهم ان نشير
الى ان نساء الطبقات الكادحة ، ابلن العهد الملكي القديم ، كن اكثر من
غيرهن استقلالاً . وكان ينتظر منهن ان يؤكذن الصنم لأشخاص ...
الا ان تقاليد الحياة والخضوع كانت تقيدهن . والشعب لم يكن هو
الذي قام بتوجيه المشروع الثوري ولم يكن هو الذي قطف ثمار الثورة .
لما نساء البورجوازية فكن مندسجات بالاسرة لدرجة حالت دون لقر
نظامن فعلي بينهن . ولم يكن يشكلن طبقة قائمة بذاتها تستطيع فرض
مطالبها ، لانهن كن طفيليات من الناحية الاقتصادية .

ولن يكون مسكنا للكادحات الحصول على حقوق لم تحصل عليها
مطلقا النساء النيالات والبورجوازيات الطفيليات ، الا حينما تسمح
السلطة في يد الكادحين .

صحيح ان فرنسا كانت متقدمة على غيرها من البلاد من الناحية
النسائية ، الا ان من سوء حظ المرأة الفرنسية الحديثة ، ان وضعها
الاقتصادي قد بت فيه في عهد ديكتاتورية عسكرية ، لان مجموعة قوانين
نابليون التي تثبت وضعها خلال قرن كامل قد احرقت كثيرا من تحررها .
فالزوج يمارس سلطته بشدة على شخص الزوجة واموالها ايضا .

ولم تفعل اجتهادات المحاكم ، خلال القرن التاسع عشر ، سوى
ترسيخ شدة قوانين نابليون ، لان البورجوازية لم تكن ، في اي وقت
من الاوقات ، في مثل هذه القوة . ولكنها كانت تترك ، في نفس
الوقت ، ما تحويه الثورة الصناعية من تهديد لكليتها . لذلك كانت

تبسط نفوذها وهي تحسن بالقليل ، ولم تؤثر الحرية الفكرية المتوارثة عن القرن الثامن عشر في إطلاق الأسرة التي بقيت كما حددها في مطلع القرن التاسع عشر المفكرون الرجعيون الذين طالبوا بمتجسج بسوفه التسلسل مع اعتبار الأسرة الغلية الأساسية في المجتمع .

وطالب الفيلسوف (أوغست كوث) بصورة مختلفة اعتزاز مبدأ لتسلسل الجنسين : فبالنسبة إليه تعتبر الأثوة «طفولة مستمرة» تبعد المرأة عن «النموذج المثالي للعرق» يدعوى ان هذه الطفولة البيولوجية تعود الى ضعف فكري . والدور الوحيد لهذا الكائن العاطفي المتفعل هو دور الزوجة وربة البيت ، فلا يسكنها يشكك من الأشكال منافسة الرجل . فهو يقول :

«لا يسكن للمرأة ان تصيح من زمرة المؤلفين شأنها في ذلك شأن العمال البروليتاريين» ولكنه رفع المرأة الى مرتبة الألووية في الجزء الثاني من مؤلفه بعد ما تأثر بحب احد النساء .

ويرعب (بالزك) أيضاً عن نفس المثل الأطلبي للمرأة . فهو يقول في «فيزيولوجيا الزواج» :

«ان نصير المرأة ومجدها الوحيد هو في دفع قلوب الرجال على ان تخفق لها» .

والمرأة بالنسبة إليه متاع منقول يحصل عليه عن طريق المتعة . ولا تعتبر سوى ملحق بالرجل . انه ينطق هنا بلسان البورجوازية التي اشتد عدائها للنساء بعد مجون القرن الثامن عشر وشده الانتكاز التقدمية المهددة لها . ويحث بالزك الزوج على ابقاء المرأة في حالة الخضوع

الناس . وعليه ان يرفض تعليمها وتثقيفها وان يمنع عنها كل ما من شأنه تطوير شخصيتها وان يفرض عليها ثيابا غير مناسبة وان يجبرها على نظام يضعف جسدها .

ولكن بالزناك يعرض على النساء ، تجاه ضعف الشدة ، باحاطتهن بكل التصرفات الهدية ، يقول بالزناك :

«المرأة المتزوجة عبدة ينبغي لنا ان نعرف كيف نرفعها على العرش»
لذلك يهاجم الى تجميعها الاعمال الشاقة ، وهذا يعني في نفس الوقت اعطائها من كل مسؤولية .

على ان هذه المقادير العتيقة لا يسكنها ايقاف سير التاريخ ، فحلول الآلية في الانتاج العام يهدم الملكية المقاربة ويقود الى تحرير الطبقة العاملة وبالتالي المرأة .

ان قضية المرأة تأثرت بالأفكار التي تشيد بالمرأة وباسم انوثتها وأنها ان تشبها بالرجل بل قرر لها بالجنس والعاطفة دون العقل .

الا ان الحركة الاصلاحية التي ازدهرت في القرن التاسع عشر كانت مؤيدة للحركة النسائية ، لانها تبحث عن العدالة ضمن المساواة .

وفي هذا المجال يعتبر المفكر «برودون» استثناء للقاعدة . وليس من شك في ان منشأه الرضي قد الرقيه فهو يهاجم سان سيبون بشدة وبقي من انصار الملكية الصغيرة وبالتالي طالب باجاء المرأة في البيت . ويظن برودون ان المرأة تتأرجح بين حالتين «انما سيدة بيت او خيالة» .

برودون هو الذي قطع التحالف بين الحركة النسائية والاشتراكية .
وفي كتابه «المعالة» يقول بان على المرأة ان تنقل مرتبطة بالرجل .
والرجل وحده مهم كفرد اجتماعي وانه ليس بين الزوجين اشتراك قد
يفترض المساواة بل العاد .

لم تكن هذه الجدالات النظرية هي التي اثرت في مجرى الحوادث ،
فالمرأة استعادت الاهمية الاقتصادية التي فقدتها منذ عصور ما قبل
التاريخ . وخرجت من البيت لتساهم في الانتاج ضمن العامل . والآلة
هي التي سمحت بهذا الانقلاب لان الفوارق الجسدية بين الذكور
والاناث اصبحت لاغية في كثير من الاحيان . ولما كان ازدياد الصناعة
العجائلي يتطلب بندا عاملة كثيرة لا يستطيع الذكور وحدهم تأمينها ،
اصبحت مساهمة المرأة ضرورية .

هذه هي الثورة الكبرى التي حولت في القرن التاسع عشر مصير
المرأة وتحت لها آفاق عهد جديد .

ان ماركس وانجلز يقدران اهمية هذا الحادث ويعدان المرأة بحرية
تفرضها حرية البرولينارييا . وقد بين انجلز ان مصير المرأة كان دائما
مرتبطا ارتباطا وثيقا بتاريخ الملكية الخاصة التي استبدلت الحق المرتكز
الى الامومة بالحق الابوي . الا ان الثورة الصناعية ستعيد الى المرأة
حريتها السلية .

كانت المرأة في مطلع القرن التاسع عشر مستثمرة بشاعة اكثر من
العامل الذكور . وكان ارباب العمل يفضلون النساء على الرجال .

والعبارة الفاتحة : ويمتلئ خيرا من الرجال بأجور الخفضة ، ففي النور
على مأساة العمل النسوي .

يقول بلانكي :

وفي مدينة ليون ، بعض النساء يشتغلن وهن معلقات مستخدمات
أرجلهم وأيديهن معا .

وفي عام ١٨٦١ كانت عاملات الحرير يشتغلن في الصيف من الساعة
الثالثة صباحا حتى المساء ، وفي الشتاء من الخامسة صباحا حتى العادية
عشرة مساء ، أي سبع عشرة ساعة في اليوم خمس ورشات غير صعبة لا
تدخل اليها لائحة الشمس أبدا .

وكتب در فيل : « المرأة في هذا اليوم اما حيوان للبطخ او حيوان
الجرم » .

إن عادة الرضا والخنوع وقس التضامن والشعور الجماعي ، إن
هذه العادة هي التي تركت النساء دون سلاح أمام الأمكانيات الجديدة
المتشعبة امامهن . ونجم عن ذلك ان القانون انظم للعمل النسائي لم
يصدر الا في وقت متأخر . كمن مضطرات الى قبول بأجور منخفضة
خاصة انهن لم يكن يعرفن الدفاع عن انفسهن ضد المستثمرين المستغلين .
ويجدر الملاحظة ان ارتباط المرأة ببيت والدعا او زوجها كان لا يستلزم
منها الا تقديم عون اضافي . كانت تستغل خارج الأسرة ولكن من اجلها .
ولما لم تكن تعمل لتفي بجميع حاجاتها كانت تضطر الى قبول اجور اقل
من اجور الرجال .

وبما ان نساء كثيرات كن يرضين بأجور منخفضة فإن المعدل العام

لأجود النساء كان يتكيف مع أدنى حد وانسبه لرب العمل .

ولئن قبل أرباب العمل على استخدام النساء لهذا السبب ، فإن هذا السبب نفسه ولد مقاومة عند العمال الذكور ، لذلك لم ينشأ تضامن مباشر بين قضيتي البروليتاريا والنساء . إن مثل هذا الحادث يجري بصورة مقاربة مع العمال السود في أميركا .

يستعمل أرباب العمل الاقليات الأكثر تعرضا للاستثمار والاضطهاد ضمن مجتمع ما ، كسلاح ضد مجسوم الطبقة التي ينتمون إليها . وهم يظهرون في بداية الوقت كأعداء . وينبغي ارتفاع مستوى الوعي كيما تتجع مصالح السود والبيض ، والنساء والرجال في التضامن بدل التناحر والتناحر .

ولم تستطع النساء الدفاع عن مصالحهن الخاصة والتوقف عن تهديد مصالح الطبقة العاملة في مجسومها ، الا حين ادخلن في الحياة الثقافية .



من المسائل الأساسية التي تثار بخصوص المرأة ، التوفيق بين دورها في التنازل وعلتها الانتاجي . إن السبب العميق الذي حصر المرأة في العمل المنزلي ، في بداية التاريخ ، ومنعها من المساهمة في تسيير العالم هو استبعادها لوظيفة التنازل . وفيما يخص تحديد النسل ، قلبت الديانة المسيحية المفاهيم الخلقية باعتبارها ان الرقيم ذو روح ، حيثئذ لسبح الاجهاض جريمة ضد الجنين ذاته .

إن تطور وضع المرأة يفسر تضامر العاملين التاليين : المساهمة في الانتاج والتحرر من عبودية التنازل .

فيما يخص الحقوق السياسية فإن المرأة لم تتوصل إليها في فرنسا
والإنجلترا وأميركا بسهولة . وإن النساء ينتظرن الحرية من تحرر العمال
بصورة عامة ، ولا يتسكنن بفضيلتهن الخاصة إلا بصورة ثانوية . أما
البورجوازيات فيطالبن بحقوق جديدة ضمن المجتمع كما هو ، ولا
يدعين الحقن لثوريات بل يردن إدخال بعض التعديلات على العادات كالتقاء
الشرب والكتب الخطيبة والبناء .

والبلاد اللاتينية مثل البلاد الشرقية ، تضطهد المرأة بحكم العادات
أكثر مما تضطهدها بحكم القوانين . وإيطاليا الفاشستية استعادت المرأة
للسلطات العامة والزواج . أما في الاتحاد السوفييتي فإن الحركة النسائية
كانت أوسع منها في أي بلد آخر . وقد ابتدأت تلك الحركة منذ أواخر
القرن التاسع عشر حيث ارتبطت النساء في العمل الثوري أكثر مما
ارتبطن بفضيلتهن الشخصية . وكانت الثورة هي التي حررت العاملات .
ومن الصعب استنتاج وضع المرأة الحالي في روسيا من خلال الشهادات
العاطفية التضاربية ، إلا أن الأمر الأكيد في يومنا هذا ، أن السياسة
العالمية بعد الحرب تقوم على اعتبار الأسرة خليفة المجتمع الأولى والمرأة
عاملة وربة بيت معا .

إذا ما القينا نظرة على هذا الاستعراض التاريخي ، ظهرت لنا عدة
نتائج ، أولها أن تاريخ النساء كأن من صنع الرجال ، لذلك كانت مسألة
المرأة دائما مسألة رجال . فهم الذين لمسكوا دائما بصير المرأة بين
أيديهم . ولم يحرروا فيه نبيعا لمصلحتها ، بل اتخذوا بعين الاعتبار أهدافهم

الخاصة ومطاوفهم وحاجاتهم . فلم يفسدوا .. الألية .. الام إلا لانهم كانوا يخشون الطبيعة ، وما ان سحت لهم الأدوات المعدنية بتحدى هذه الشيعة - حتى اوجدوا النظام الأبوي - ان النظام الاجتماعي القائم على الملكية الخاصة هو الذي جر الى الوصاية على المرأة المتزوجة والثورة الصناعية التي حققتها الرجال هي التي حررت نساء اليوم . والحركة النسائية لم تكن في يوم من الأيام حركة مستقلة ، بل كانت الى حد ما أداة في يد السياسيين ، والنساء لم يشكلن قط طبقة منفصلة ، والحقيقة انهن لم يحاولن مطلقا لعب دور في التاريخ كرجال . والمفارقة التي تعتبر المرأة كجسد وعبادة . جسود . كجسدي آخره هي عائد . كور لا تعبر بعدال من الاحوال عن المطالب النسائية ، ان الطلية النساء ترعى بحفظها دون ان تقوم بانه معاولة عمل ، والاول التي حاولن تغيير حالهن والتدخل في مجرى العالم ، فعلم ذلك بالاتفاق مع الرجال ومن خلال وجهات نظرهم .

ان هذا التدخل ، كان لاجالا ، تدخلنا ثائريا وعرضيا . فالطبقات التي تنتج نساؤها بشيء من الاستقلال الاقتصادي وتساهم في الانتاج هي طبقات مضطهدة والنساء العاملات كن أكثر تعرضا للاضطهاد من العمال . وفي الطبقات الحاكمة تطلّى نرأة حايلية وهذه الفئة تكون خاصة لتقوانين الرجال . وفي كلا الحالتين كان النضال مستحيلا . ان الحقوق والمعادلات لم تكن دائما متطابقة ، فكان التوازن بينهما يحدث بصورة يستحيل على المرأة ان تكون حرة بصورة فعلية . وفي اوقات هكلك المجتمع ، تنجر المرأة ، ولكنها ان تكف عن كونها تابعة للرجل لا تريح سوى حرية سلبية تأخذ شكل الخلاعة والمجون .

ومهما يكن من تأثير النساء فإن الاموات النسائية تسكت ، حيث يبدأ العمل الفعلي . فقد استظمت اثاره الحروب ولكنهن لم يوجهن بخطا القتال ، ولم يوجهن قط السياسة الا اذا اخذت هذه شكل مؤامرات . ان القيادة الحقيقية للعالم كانت دائما في يد الرجال ولم يكن في ايديهن . الا ان ظهور نساء مثل (مدام كوري) يثبت بوضوح نقص النساء لم يكن هو الذي حدد تاريخهن العادي البسيط بل ان تاريخهن البسيط هو الذي كتب ظهن هذا النقص . وان الانتجازات الشخصية تصبح تقريبا مستحيلة الفئات البشرية القليلة جناسها في وضع منخفض .

ان نساء كثيرات يردن اليوم ان يتصر عندهن ، كما في مجموع الانسانية ، التطور على الجسد وان يتبعن اخيرا الحقوق المجردة والامكانيات العقلية التي تضمن الحرية بدون تضارفاها ، نوعا من التمية .

ان هذه الازادة في طور التحقق ، الا ان الفترة التي نمر بها هي فترة انتقال وهذا العالم الذي كان دائما تابعا للرجال لا يزال في حوزتهم ، وان الامر الذي يتحكم بالوضع الحالي للمرأة هو وجود اقدم التقاليد ضمن الحضارة الحديثة التي هي آخذة في التكون . والحقيقة ان وضعها غير متوازن ، ولهذا السبب يصعب جدا التكيف معه . المعامل والبيانات تفتح امام المرأة ولكن الناس لا يزالون يعتبرون الزواج احسن مهنة للمرأة تنبها عن كل مساهمة في الحياة الجماعية .

ولا يزال الامل يربون ابتهم في سبيل الزواج اكثر من ان يشجعوا تطويرها الشخصي . والفتاة ترى في ذلك من المزايا حتى انها تتناهى

لنفسها . ونجم عن ذلك انها تكون غالباً أقل اختصاصاً من اخواتها وأقل اعتماداً بهنتها ، لذلك تبقى أقصر باعاً فيها . حيثئذ تصبح الحلقة فاسدة مغلقة فيشوي فيها قصصها الرغبية في ايجاد زوج .

ان العصر الحالي يقتضي من النساء العمل بل يضطرهن اليه ، وفي نفس الوقت يفرهن بالبطالة والمذاتلة . والنساء لا يزالن الى الآن في حالة التبعية . ونجم عن ذلك ان المرأة تعرف نفسها وتختار نفسها لا على انها موجودة بذاتها بل كما يحددها الرجل . ان كونها «المرجل» عنصر جوهري من عناصر وضعها الواقعي .

صحة المرأة

عبد الله

ضربة المراك

ان صورة المرأة النموذجية تلعب دورا مهما في الأديب والحياة اليومية فكل كاتب يعكس في نتاجه امزجة واحوال مجتمعه وخيالاته عن المرأة المثلى الا ان هذه الصورة النموذجية للمرأة تأخذ شكلا مابيننا بالنسبة الى كل فرد ، حسب المقام الذي يعطيه لنفسه من حيث التحرر والارتقاء .

فالكاتب «موتزلاند» يعتبر نفسه المثالي المحوم في النساء اما المرأة فتركع عند اقدامه . اما «كثوديل» فالتسبية اليه تقوم المرأة بادامة الحياة في حين يتكفل الرجل بتמיד وثبة الحياة بالاعمال . وعند الشاعر «بروتون» يتمكس التسلسل : فالعمل والتفكير الواعي اللذان يشكلان ميدان تسامي الذكور هما غيبة سطحية تؤدي الى الحرب والحماقة والتكر لما هو انساني . والمرأة وحدها تستحق الاجلال لانها تحمل راية السلم .

اما «ستالدال» فيعتبر المرأة كالرجل من حيث التجاوزة والسور . وفي العلاقات المشتركة بين الرجل والمرأة تستكمل العريات .

هناك انواع مختلفة للصورة النموذجية . فالصورة التي تصور باحد الاشكال الدائمة للوضع البشري ، وهو انقسام الانسانية الى فئتين ، هي صورة ساكنة . والانسان يتدفق في سماء الغلاطوية واقعا مستهدا

من التجربة يستحيل الى مفهوم . ويستفيض عن الواقع والقيمة والمعنى
والقانون التجريبي بفكرة متسامية ، واقعة خارج نطاق الزمن ، ثابتة ،
ضرورة تكتسب صفة الحقيقة المطلقة .

هكذا تواجه الفكرة الصورية الوجود الموزع المتعدد للنساء ،
بالاشئ الخالدة الفريدة . فاذا ما تناقض تعريف الصورة التوضيحية مع
سلوك النساء الواقعيات فهن المخططات .

نظير النساء في الواقع الملموس بأشكال مختلفة . الا ان كل صورة
توضيحية تدعي انها فريدة . والنتيجة هي وجود صور توضيحية متعددة
لا يمكن لها ان تتعايش معا . اما الرجال فيبتقون حائلين امام التهلل
الغريب لفكرة الانوثة .

يجب ان نميز بين الصورة التوضيحية والاندك المعزى ، فتأمل جسم
المرأة ومقارنته مثلا بالازدهار لا يعني الانتقال الى الصورة التوضيحية .
اما اذا قلنا المرأة هي الجسد والجسد هو النيل والموت فاننا نقطع عن
الأرضي .

ان أكثر الصور رسوخا بالأذهان هي فكرة "نظر المرأة" . فلهذه
الفكرة مزايا عديدة اولها انها تسمح لنا ان نقرر دون جهد ما يستعصي
علينا تفسيره ، وبدل ان ينظر الرجل بعينه ، يقول بوجود نظر خارج
شخصه .

الحقيقة ان النظر متبادل . الا ان القاعدة العامة تبين صحيحة هنا
ايضا فالرجال لا يواجهون الاشياء الا من خلال وجهة نظرهم . انهم
يجعلون هنا كما في اي مجال ، المبادلة . ولئن كانت المرأة تنظر بانسية

الى الرجل فانه ينظر اليها كلفز بالذات .

ان العصور والطبقات التي لها مجال التنوع بالأحلام هي التي نصبت التماثيل السوداء والبيضاء للانونة . صحيح ان اغلب الصور التوضيحية ذات جذور في الموقف العضوي للرجل ازاء وجوده الخاص والعالم المحيط به . الا ان مجاوزة التجربة الى الفكرة التسامية قامت به المجتمعات الابوية عن عمد خادفة من وراء ذلك الى تبرير ذاتها . فمن خلال الصور التوضيحية كانت تفرض على الافراد قوايينها وافتراقها بطريقة صورية محسوسة . ونحت شكل الصورة التوضيحية كان الواجب الجسامي يفرض نفسه في عناصر الافراد محاولا عن طريقها استبدال التجربة الحية وما تستدعيه من احكام حرة ، بصم جامد .

ان الرجل ، في الحقيقة ، لا يفقد شيئا اذا كف عن التعمية واقنع بما اخفاه المرأة تحت الرموز والطلاسم . كما ان تجربته لا يحل بها الفخر اذا رأى في المرأة كالثنا سايبا . ولا يعني ذلك الغاء الشعر والحب والتغلي عن الأحلام بل يكون من نتيجة ارساء التصرفات والاحساسات على اسس واقعية حقيقية .

مقدمة

ليس الزواجر بعدد في عهد الامم المتداه على الشعوب الوثنية ، فقد
تلقوا ارحمة سماوية ليعلموا انفسهم انهم من شعوب الله ، فليس
الزواجر في الكتاب بكثر من اياتها العظام ، فليس في الكتاب الا بعد
هذا العهد .

في الزواجر
الكتاب الثاني
هذا هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو

الكتاب الثاني

من الضرورية ان يكون الكتاب الثاني هو الذي
هو الذي هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو
الذي هو الكتاب الثاني ، وهو

فإننا نرى في الحياة والوجود، وفي كل شيء من الأشياء والحيوانات
والإنسان، كيف أن كل شيء من هذه الأشياء والحيوانات والإنسان
يخضع لنفس القوانين والقيود، وكل شيء من هذه الأشياء والحيوانات
والإنسان، يهدف لنفس الغايات والهدف.

مقدمة

تسعى المرأة جاهدة في هذه الأيام القضاء على اسطورة العزوبتها . فقد
أخذت توطد دعائم استقلالها بالنسبة للرجل لكنها مع ذلك لم تستطع
التوصل الى المتع بكامل كيانها الخاص كالإنسان بشري مستقل الا بعد
عناء شديد .

ان المرأة تشاء تترجم وسط عالم تعف به مظاهر الالفوة من كل
جانب ، في عالم لسوي يكون مصوغها فيه الزواج من رجل تربطها به
عليا صلة التبعية . ذلك ان سحر الرجولة لا يزال محافظا على تأثيره
الكبير لدى النساء وما انك يستند على قواعد واسس اقتصادية
 واجتماعية راسخة .

من الضروري اذن والحالة هذه ان ندرس بعناية المسير التقليدي
للمرأة كيف تتلقى شروط حياتها الجديدة ، كيف تدرس عليها وفي اي
عالم تجد نفسها حبيسة ، وما هي وسائل هروبها ومزولها عنه ... هذا
ما سأحاول وصفه . وسيكون في وسعي بعد ذلك ان نلهم المشاكر
المطروحة امام المرأة ، هذه الاناسة الناشئة التي تزوج تحت عبء
وراثية ماضي ثقيل ضخم محاولة دون كلل او ملل ان تشق لنفسها طريقا
جديدا يحررها من عبوديتها .

ان هذا الكتاب لا يرمي بتاتا الى سرد حقائق لولية ثابتة ، وانما
ينحصر هدفه في وصف المحتوى المشترك الذي تتركز عليه كل حياة
نسوية خاصة .

مقدمة

عندما نلاحظ اننا نعيش في عالمنا هذا من دون ان نملك
مفاهيم واضحة عن طبيعة الحياة ، وانما نعيش في عالمنا هذا
من دون ان نملك مفاهيم واضحة عن طبيعة الحياة ، وانما نعيش في
عالمنا هذا من دون ان نملك مفاهيم واضحة عن طبيعة الحياة .

في عالمنا هذا نعيش في عالمنا هذا من دون ان نملك
مفاهيم واضحة عن طبيعة الحياة ، وانما نعيش في عالمنا هذا
من دون ان نملك مفاهيم واضحة عن طبيعة الحياة ، وانما نعيش في
عالمنا هذا من دون ان نملك مفاهيم واضحة عن طبيعة الحياة .

في عالمنا هذا نعيش في عالمنا هذا من دون ان نملك
مفاهيم واضحة عن طبيعة الحياة ، وانما نعيش في عالمنا هذا
من دون ان نملك مفاهيم واضحة عن طبيعة الحياة ، وانما نعيش في
عالمنا هذا من دون ان نملك مفاهيم واضحة عن طبيعة الحياة .

القسم الأول

مراحل تكوين المرأة

الفصل الأول

الطفولة

لا يمكن لأي علم بيولوجي أو فسيائي أو اقتصادي أن يفرّد بتحديد الشكل الذي ستتخذه الأثني البشرية في قلب المجتمع ، لكن مجموعة الظروف المضاربة هي التي تكون هذا التسويع التوسط بين الذكر والخصي ، الذي تسبغ عليه سفة الأوثمة عند المرأة . ان الجسد لدى البنات والعصية لا يخرج عن كونه الأشماع الذي يعبر عن وحدة الشخصية ويبزها عن غيرها كما انه يشكل الأداة التي تساعد على تحسن العالم وتقمه ، اهم بتحسون ما يحيط بهم بواسطة العيون والأيدي وليس بأعضائهم التناسلية فلا فرق في ذلك بين الطفل والطفلة والفتاة والعن . اما مأساة الولادة والمقام ، فانها تدور على الوثيرة ذاتها بالنسبة الى مواليد الجنسين فهم يبدون نفس الاهتمام بالنسبة للأشياء الخيفة بهم ويشتمون نفس السررات ويكتشفون اسرار اجسامهم نفس الفضول او عدم الاهتمام ويستمتعون نفس المتعة الغامضة من اكتشاف اعضاءهم التناسلية . وفي هذا تسمى الفتاة الصغيرة حتى الثانية عشرة من عمرها الى ان تكتسب نفس متعة الجسم التي يمتلكها اخوتها ، وتم عن لمكانيات فكرية متائلة لامكانياتهم حتى انه لا يوجد اي مجال

يتعدى على الفئاة مناقشتهم فيه . وإذا كانت الفئاة تبدو لنا قبل بلوغها سن الرشد والحياء منذ حداثة طفولتها متميزة بطابع جنسي خاص فهذا لا يعود الى وجود دوافع فطرية غامضة تؤهلها لحياة السلية والتبرج والافتوة . وانما الى كون تدخل الآخرين في حياتها يبدأ اسلا منذ السنوات الاولى لطفولتها فيفرض عليها مصيرها المحتوم .

يظهر العالم للولود الجديد في البدء ، على شكل انفصالات كاملة في ذاته : فهو لا يزال حارقا في لغة (الكل) كما كانت عليه الحال في زمن لقائه بين ظلمات احشاء امه ولا يبرح واقفا تحت تأثير حرارة جسدها . ثم يتعلم شيئا فشيئا تمييز الاشياء المنفصلة عنه ويبدأ بالتفريق بين ذاته وبينها . لكنه يمس في ذات الوقت بالعزلة والوحدة والانفراد ، خاصة بعد الفطام حيث يظهر حينئذ رغبة جارفة في حيازة اعجاب الآخرين بواسطة بعض الحركات والمظاهر اليعوض الفراغ الحاصل لديه من جراء انفصاله عن الجسم المرضع . ويحاول الطفل حين يسو بوسيلتين ضد انزائه الاصلي فهو يحاول ان ينفي وجود الانفصال فيتمالك بين ذراعي امه ناشدا حراوتها الحية مستريدا من مداعباتها . ثم هو يلجأ الى الاشخاص الآخرين الراشدين الذين يعتبرهم كالأقربة لانهم يستطيعون لوحدتهم ان ينتهوه ميزة الشعور بوجوده . انه يشعر بسحر النظرة التي تعوله احيانا الى ملاك صغير وحيياة اخرى الى وحش ، وحين يتجع في نيل اعجابهم تجد هذه النزعة تأكيدا جسديا لها في القبلات والمداعبات التي يتلقاها .

لا يوجد هنالك اذن خلال الثلاث او الأربع سنوات الاولى اي اختلاف بين وضعية البنات والصبية ، هم يحاولون جميعا اذمة العهد

السيد الذي سبق الطعام فنلحظ لدى الطرفين سلوك التظاهرات والفت
النظر وتصادف لدى الذكور نفس الرغبة التي تشعر بها الاناث في التارة
الابتناسامات وحيازة الاعجاب .

في هذا العالم المشبع بالفوضى والتفاجآت يتعثر الطفل في كل خطوة
يخطوها وهذا هو السبب في ان عددا من الاطفال يرغبون البقاء سفارا
ويخشون السور والكبر ، وكثيرا ما يفعلون فريسة للباس اذا توقف الاهل
عن تدليلهم بوضعهم على ركبهم وقبولهم ضمن اسرهم . لكن الفتاة
الصغيرة تستمتع في هذا المجال بامتياز كبير على الفتى ، لان الفتى يحرم
بشكل خاص تدريجيا من القبلات والمداعبات وكان فطاما ثانيا اقل عفا
واكثر بظا قد فرض عليه . لما الفتاة الصغيرة فاننا نستمر في تدليلها بمد
الطعام ونسمح لها بان تمشي في ذيل امها ونكسوها بالفساتين الناعمة
وتسمح معها اذا ارادت ان تكيد لنا ونضحك من حركاتها وتبرجها ،
كما نعيها اللسان الجسدية والنظرات العطفية من وحشة العزلة .
وفي مقابل ذلك يحرم الصبي من كل مناورات ليل الاعجاب والتشيليات
فنقول له : «ان الرجل لا يطلب القبيل والمداعبات ... والرجل لا
يكفي ...» ولعل هذا هو السر الذي يدفع كثيرا من الفتيان الصغار
الى توجس الخيفة من الاستقلال الذي تفرضه عليهم حياتهم الجديدة ،
ويشنون لو خلقوا فتيات . وقد قص موريس ساتس يقول : «كنت اتنى
من كل قلبي ان اكون فتاة ، وبلغ بي عدم الاهتمام بنظام الرجولة عدا
جعلني ابول جالسا مقلدا الفتيات» ومع ذلك اذا ظهر لنا الصبي اقل
محابة من اخواته فان ذلك يعود الى الامال الجسام يملقها الاهل عليه
مستغلين فيه نوعة الرجولة التي تتألف هذا المفهوم المحدود الذي يتجسد

عليا لدى الذكر في عضوه التناسلي ، ولا يشعر القتي بالتحر والحرمة تجاه عضوه التناسلي الصغير الا من خلال نظرة الناس المحيطين به فالعادة جرت لدى الامهات والمرضعات على النظر الى عضو الطفل التناسلي بعين العطف ، وقد حفظ لنا التاريخ قصصا كثيرة عن مرضعات يفران بحضرة الطفل الصغير وبعته بشئ الصفات الحبية كما تدرج بعض النساء على التكلم مع العضو كأنما يتكلم بالاضافة الى شخصية الطفل الصغير شخصا مستقلا بذاته . وهكذا فان العضو التناسلي لا يشكل بالنسبة للذكر امتيازاً يستمد منه شعورا بالتفوق وانما زيادة في الاحترام ابتكرها له الآخرون تعويضا له عن مصائب فترة ما بعد الفطام لكنه يصبح منذ ذلك الوقت نتيجة للعادات والتقاليد ، تحسيدا ورمزا لتفوق الذكر وسيادته العالية .

اما مصير الفتاة فهو مختلف تمام الاختلاف اذ لا تكن الامهات والمرضعات لاعضاؤها التناسلية اي احترام او عطف ولا يلفتن نظرها الى هذا العضو الحفي الذي لا يرى منه في الحقيقة سوى غلافه ولا يسمح لنا بأن نسكه بقبضة يدنا ، لدرجة دفعت بعض العلماء الى القول بأن الفتاة لا تملك عضوا جنسيا . وبذلك تكتشف الفتاة بان وجودها في العالم يختلف عن وجود القتي ويكفي ان تجتمع لديها بعض العوامل وتتفاهم كي يتحول هذا الاختلاف في نظرها الى شعور بالنقص .

من المؤكد ان الوظائف التفريفية وبشكل خاص الوظائف البولية تلفت اهتمام الاطفال بشدة ، فالتبول في السرير دليل عن احتجاج الطفل على تفصيل اعلمه لطفل آخر واذا كانت هنالك بلاد درجت فيها العادة ان يبول الرجال وهم قاعدون بينما تقوم النساء بذلك وعن واقفات ، فان

العادة استقرت بصورة عامة في المجتمع العربي المعاصر على أن تجتنب الفتاة بينما يحتفظ الرجل بامتياز الوقوف . ويشكل هذا الاختلاف بالنسبة للفتاة الصغيرة الفرق الجنسي الأشد بروزا ، فلكي تبول يجب عليها أن تجتنب على قدميها وأن تتعري وبالتالي يتحتم عليها أن تجتنب نفسها عن عيون الناس .

ويزداد الخجل في الحالات التي تنسكو خلالها الفتاة من الانفلتات البولية غير الارادية في حالة الضحك العنيف المتواصل مثلا ، فالسيطرة هي أقل متانة لديها من الفتيان ، لأن الوظيفة البولية تظهر لدى هؤلاء ككلمة مستقلة تتمتع بجاذبية بقية الألعاب التي يمارسها الطفل في سباه ، فالعضو التناسلي للذكر يمكن التحكم فيه وقيادته بكل حرية وهذا ما يجلب اهتمام الفتيات . يروي أن فتاة صغيرة ساحت بدعشة وانجاب حين رأته سبيا وهو يبول : «يا لها من عملية سهلة مريحة ا» . وفي هذا يتحدث إبراهيم عن : «اللذة الطفولية التي تشعر بها المرأة حين تنسقي الحديقة بأنيوب ماء» ، وانا اعتقد بالاتفاق مع نظريات سارتر وبشلابه أن هذا لا يعني بحكم الضرورة تشييل العضو التناسلي للذكر بالأنيوب ولا يمكن أن يكون مصدر اللذة والسرور ، فسقي الماء على هذه الطريقة يظهر للطفل الصغير بشكل المعجزة لأنه يعد تحديا لقانون القالة : وأن قيادة العضو التناسلي للذكر والتحكم فيه يعد انتصارا صغيرا على قوانين الطبيعة ، وهو على كل حال تسلية يومية يتحتم بها الذكر وتحرم منها الفتيات الصغيرات . وتلجأ بعض الفتيات الصغيرات رغبة منهن في موازنة تجربة التبول لدى الذكور الى الانبطاح على ظهرهن في محاولة قذف المادة البولية «نحو الأعلى» . كما تلجأ بعضهن الى محاولة التبول

في وضع الوقوف . كما يقول (كارن هورني) فان الفتيات الصغيرات يحسبن الصبية على الامكانية المنوحة لهم في عرض اعضاءهم التناسلية أثناء التبول امام الناس . ويروي ان فتاة مريضة ساحت فجأة بمد ان رأت في الشارع رجلا يبول : «اذا كان لي ان اطب هدية من الآلهة فسأطلب منحي امكانية التبول مرة واحدة في حياتي كما يفعل (الرجل)» ويظهر ان هذا الشعور يعود الى حرية الفتى في ان يمس عضوه ويستعمله كلعبة بينما لا تستطيع الفتيات ان تفعلن ذلك بسبب تركيبهن العضوي ولا شك ان هذه المجموعة من العوامل التي تثير الرغبة لدى عدد كبير من الفتيات الصغيرات في امتلاك عضو تناسلي ذكر ، هو امر اكدته عدد من التحقيقات والابحاث والاعترافات السرية التي حصل عليها العلماء النفسانيون . فمثلا يورد لنا هفلوك الياس بعض كلمات إحدى الفتيات التي يطلق عليها اسم زينا : «ان ضجة ابعاث الماء وخاصة حين يخرج من البوب سقي طويل كان دائما بالنسبة لي امرامثيرا يذكرني بالفضجة التي كان يحدثها اخي والآخرون حين يبولون» . ونقص فتاة اخرى انها كانت تحب بشدة وهي طفلة صغيرة ان تمسك بين يديها العضو التناسلي لاحد رفيقاتها ، وفي احد الايام وقع في يديها البوب لسقي فقالت : «ظهر لي في ذلك الوقت انه ما يبحث على اللذة والسرور ان امسكه كما كنت امسك العضو التناسلي للذكر في حدثتي» لكنها تؤكد مع ذلك انها لم تكن تشعر بأي احساس جنسي في ذلك وانما يقتصر الامر على فضولها في التعرف على اداة التبول لدى الفتيان . واكثر هذه الحالات اهمية هي حالة فلوري التي اوردها هفلوك الياس : فلوري امرأة ذكية فتاة ذات حيوية شديدة عادية من وجهة النظر البيولوجية وقد روت لي ان الوظيفة

البولية لعبت دورا كبيرا في طفولتها ، كانت تلعب مع اخوتها لعبات بولية ترسلهم ويرشقونها بهذه المادة دون اي خوف او استئزاز . وكانت مناهسي الاولى حول تنوق الذكور على الاثاث ، ذات علاقة وثيقة مع الاعضاء البولية . وكنت اعقب على الطيبة حرمانها لي من عضو مريح وسهل الاستعمال وذي شكل حسن كعضو الرجل ولم يكن هناك من حاجة بي لتعلم نظرية هيمنة وتفوق الرجال على النساء فقد كان لدي مثل حي ، تحت عيني ، ان هذه الحالة هي عامة بالطبع لانها توضح عددا من العناصر التجريبية في زمن الطفولة ، ولكن الامر لا يتعدى بالتأكيد بعض الظروف الخاصة التي اعطت هذه الظاهرة اهمية ضخمة بالنسبة للعلوي . ذلك ان الامتياز البولي لدى الفتيان هو في اكثر الاحيان شيء ثانوي بالنسبة للفتيات الصغيرات اللاتي تلقين تربية طبيعية ولا يمكن ان يؤدي الي الاحساس بشعور النفس .

ان التركيب الجسدي للذكر يوحى بالقوة لدرجة لا تستطيع معها الفتاة الصغيرة ان ترى جسما الخامس . ويورد «سوسوره» مثلا على ذلك فتاة صغيرة تبلغ الرابعة من عمرها محاولة ان تبول على طريقة الفتيان وهي تقول بانها تريد «شيئا صغيرا طويلا قويا» وهي تؤكد بنفس الوقت انها كانت تمتلك (قضييا) اناضات الآن ، وهذا يتفق تماما مع التفكير بطريقة «المشاركة» التي وصفها (ياجييه) لدى الاطفال . فالفتاة الصغيرة تفكر بكل برائة ان جميع الاطفال يتكونون قضييا حين الولادة لكن الاهل يلجأون بعد ذلك الي قطع بعضها التحويل اسطحها الي اللث ، غير ان حدثا خارجيا كما تقول (بروتشي) ، كروية القضييب مثلا لا يمكن ان يؤدي الي حدوث ردود فعل داخلية : فان رؤية العضو

الذكر يمكن ان يكون له تأثير الضعالي ولكن بشرط ان يسبق ذلك سلسلة من التجارب الماضية التي يمكن ان تخلق مثل هذا التأثير ، فاذا شعرت الفتاة الصغيرة بعدم قدرتها على اشباع رغباتها في ممارسة العادة السرية وتعرضت لشها لانظار الناس ، واذا تولد لديها الشعور بانها غير محبوبة وتخطى بتقدير اقل من اخواتها ، حينئذ تنعكس على عضو الذكر عدم رضاها . ان الناس المحيطين بها يعتبرون انعاما مثلا متوقفا عليها وهو نفسه يتزرجوله ، فينتاب الفتاة الصغيرة الشعور بالعسء ويحبل اليها ان مصيرها هو القتل في الحياة . وتسمع احيانا بالتفقد تجاه انها وفي بعض الحالات النادرة تجاه ايها او تنهم نفسها بانها هي التي اجتثت عضوها التاسلي لم تعزي نفسها مفكرة بان الغضب محباً في جسها واته لا بد وان يظهر في يوم من الايام .

من المؤكدة ان قصص التظبيب لدى الفتاة يلعب في مصيرها دورا هاما حتى ولو لم ترقب جديا في حيازته ، اذ ان الامتياز الذي يشبع به الذكر ينشأ من ملكيته لعضو تاسلي بارز يمكن فحصه وكشف جميع اسراره ، فهو يستطيع ان يقبس طولها ويقارن بينه وبين الاعضاء التاسلية لرفاقه كما يستطيع ان يجعله مصدرا للذته وتمتعه ، لما الفتاة الشابا فانها لا تشبع بهذا الامتياز ، ولذلك فهي تشبع تمويضا عن ذلك دمية تكون بالنسبة لها بمثابة بديل عن النقص الذي تشعر به اذا قورنت مع القس . لكنه يوجد اختلاف كبير في الواقع بين الدمية التي تمثل الجسم بكامله وبين العضو التاسلي للذكر كما ان الدمية لا تعدى كونها شيئا سليا وهنا هو السبب الذي يشجع الفتاة على اعتبار ذاتها كقرصية جامدة سلية . وبنينا نجد المسي يبحث عن نفسه في التظبيب بسفلة كيانا

مستقلا ، ترى الطفلة دلال صيتها وترينها كما لو انها تعلم بان تلقى الدلال والزينة لنفسها . انها تعتبر نفسها دعية رائعة ، وخلال كلمات الاعجاب والاستهجان ومن بين الصور والكلمات تكتشف معنى كلمة (جميلة) و (قبيحة) فهي تعرف انه لكي تثير اعجاب الآخرين يجب ان تكون جميلة كالصورة ، ولذلك زارها تحاول ان تشبه الصورة فتسكّر وتنظر الى قصها في المرآة وتحاول نفسها مع الأميرات وجنيات الاساطير . وقد زودتنا ماري باشكير سيف بمثل عن هذا النوع من التفتيات المولعات بالحصول على اعجاب الآخرين فتكتبت تقول : «لم يكن عري يتجاوز الخمس سنوات حين كنت ارتدي مختلف الداتيللا المائدة لامي وكنت اتخيل نفسي الراقصة الكبرى (بانيا) وجميع اهل البيت ينظرون الي باعجاب شديد ٥٠٠٠ » .

ان هذه الطبيعة الرئيسية «اي ولع الانسان الشديد بذاته» تظهر لدى الفتاة الصغيرة بصورة مبكرة وتلعب في حياتها كامرأة دورا رئيسيا اوليا لدرجة ان البعض يعتبرون هذه النزعة وكأنها تصفر عن احساس انثوي غامض . لكننا رأينا في الواقع ان الفتاة لا تخضع في تطورها الى العناصر العضوية لانها تستطيع ان تتحرر بشئ الطرق من تأثير الاختلاف العضوي الذي يميز المصبي منها فاقضيب يشكل حشا امتيازها بالنسبة للمصبي لكن تأثيره يتضائل حين لا يميز الطفل اي اهتمام لوظائفه التفرغية : واذا احتفظ على الرغم من ذلك بعض التأثير بعد ان يتجاوز الثامنة الى التاسعة من عمره فذلك يعود الى ان اقضيب اصبح رمزا لرجولة تتمتع بعد ذاتها بزيادة في الاختيار اجتماعيا .
والحقيقة هي ان تأثير التربية والانحياز المعطين بالطفل كبير جدا .

فجميع الأطفال يحاولون أن يعوضوا وحشة الانفصال التي تسببها الفطام بسلوك يهدف إلى إثارة الإعجاب ، ولذلك فإنا نفضل الصبي الذي يتجاوز هذه المرحلة وينطلق من طبيعته الرئيسية بتحويل اهتمامه نحو عضوه التناسلي بينما يبقى الفتاة منشغلة في نفس الاتجاه تساعدنا على ذلك الدمية التي لا تقوم مع ذلك بالدور الأساسي . فالصبي بدوره يستطيع أن يتولى بنفسه من نوع آخر كالدب وغير ذلك ، وهذا ما يدعونا إلى أن نستنتج ، أن كل عامل من العوامل : سواء كان القلبيب أو الدمية توضح أهميته وتبرز قيمته من خلال الشكل الأجسامي العام لحياة الأطفال .

وهكذا فإن السلبية التي تميز بصورة رئيسية المرأة «الأنثى» هي ظاهرة تتطور لديها منذ السنين الأولى . لكنه من الخطأ أن نزعج أن هذه الظاهرة تشكل معطية بيولوجية ، فالمحقيقة هي أن القائمين على تربيتها والمجتمع الذي تعيش فيه كل ذلك يفرض عليها هذا المصير . أن الحظ الكبير للصبي يكمن في طريقة وجوده بالنسبة للآخرين التي تشجعه على أن يعيش لنفسه فهو يتلقى دروس الحياة بحركة حرة تفتح نحو العالم الواسع ويتنافس بصلاته واستقلاله مع الصبيان الآخرين فيحترق البنات ويتصرف بكل حرية واستقلال . وعلى العكس من الصبي تعرض المرأة منذ البداية إلى نزاع بين وجودها المستقل و «وجودها الأخر» فمنع نطمها بأن الواجب يحتم عليها أن تحاول الحصول على إعجاب الآخرين وأن تشكل وجودا سلبيا وتتخلى بالتالي عن استقلالها ، أنا نعلمها ككسبية حية وتنتج عنها كل قبس من الحرية وهكذا تشكل حولها حلقة مفرغة ، كلما تضاعفت حرمتها في فهم وتحسس واكتشاف العالم الذي يحيط بها تضاعفت في نفس الوقت إمكاناتها ولم تعد تجرأ على تأكيد

شخصيتها كوجود مستقل ، ولا شك اننا لو بحثنا فيها السجادة لتسلق طريق التفكير المستقل كأن يوسعها ان تظهر نفس الحساس التوقد والنضول وروح المبادرة والبراعة التي وجدناها لدى الصبي . وهذا ما يحدث احيانا حين يشرف الرجال على تربية الفتاة فتحاشى بذلك عبدا كبيرا من المشاكل وتخلص من القسم الاعظم من مساوي الانوثة . غير ان العادات تعارض هذا الاتجاه وتمنع معاملة الفتيات تماما كالصبيان . ولقد اتبع لي ان اتعرف في احدى القرى على فتيات سفريات يبلغن ٣ الى ٤ سنوات من العمر وكان والدهن يشرف على تربيتن فبرئدين المرابيل الرجالية . كان جميع الاطفال يستهجنون ذلك فيقولون انهن فتيات ولن يسيان ويحاولون بعد ذلك التأكد من طبيعة جنسهن لفرجة اضطررهم الى التوسل كي يرتدين الانوثة النسائية . وبإستثناء حالة الفتاة التي تعيش وحيدة منعزلة عن الناس فانها لن تستطيع ان تعيش وتصرف كالصبي حتى ولو سمح لها اهلها بذلك لان الاشخاص الآخرين المحيطين بها ، سديقاتها وساندتها سوف يضغطون عليها كي تطلع عن هذا الاتجاه فهناك دائما العنات والجدات وبنات العم على استعداد في كل لحظة لمقاومة تأثير الاب . يقول ميشلة : ان احدى اللعنات المفروضة على المرأة هي انها تترك منذ حدايتها لتعيش في جو يحفل بالنساء . ان الصبي كذلك ينشأ في البداية ويتزعزع تحت اشراف امه ، لكنها تكن الاحترام لرجواته فتتركه طليقا بعض الشيء . بينما تسعى في ضم ابنتها الى عالمها النسوي .

وسنرى فيما بعد ان العلاقات بين الام والفتاة معقدة للغاية : فالفتاة بالنسبة للام تشكل نفس الوقت ازديادا منها وشخصا آخر غريبا عنها ،

والأم تحب وتطفه على ابتها بنفس الوقت الذي تظهر لها عداها ،
انها ترض على المطة مصيرها الخاص وهذه طريقة تبرز بواسطتها
أوثانها وتؤكدها وتحاول بنفس الوقت ان تلتم منها . نحن نجد نفس
المسألة لدى المواطنين والقمارين وضحايا المفخرات فهم يفغرون بالانتباه
الى صناعة معينة ويشعرون بالظلم مع ذلك في نفس الوقت . وهكذا
نرى انه اذا عهد بالطفة الى النساء تربيتها فالهن يعطن بسوء وتعت
على تعويلها الى امرأة تاملهن في الصفات والعادات . وحتى اذا كانت
الام كريمة الطباع تسمى بصراعة وانعلاص في سبيل هناء ورفاهية ابتها
فانها تفكر عادة بانها من الانسب تربية ابتها بشكل صحيح فيه وامرأة
حقيقية ما دام المجتمع سيقبلها على هذا الشكل بكل سهولة ورحيب .

لا نجد الفتاة والحالة هذه حولها سوى الفتيات الصغيرات ، ولا
يعهد بها الا الى سائفة من النساء اللواتي يخترن لها الكتب والالعاب
التي لعدها وتدرجها على اداء دورها لامرأة ويعلمتها الصفات والطباع
النسائية فهي تتدرب على اصول الطبخ والعناية بالبيت في الوقت الذي
تتعلم فيه كيف تترج وتزين وتظهر بظهر العباء والتفجل امام الناس .
انها لا تفكك تسبح من هنا وهناك : فهي مستقبية ، لا تتبخري مثل
البيطه ولا تحتبسي طرق الصبيان في الحركة ، كما يحرم عليها ان تقوم
بالحركات العنيفة فلا يجب ان تصارع او تضارب ، وبالاختصار يجب
عليها كشيلاها من النساء ان تكون خادمة وتمتلا محببا الى النفس .
الا انه اصبح في يومنا هذا من الامور العادية . بفضل التصارات الحركية
النسائية . ان تشجع الفتاة على متابعة دراستها ومزاولة الرياضة وغير
ذلك من الامور لكن اعلمها يفغرون لها عدم نجاسها ويشترطون فيها ان

لا تعمل في الوقت ذاته شأنها كأمراء بل ان هذا الشرط يشترط بالانفصالية
لدى الاهل لان الواجب الاساسي النفس على عائلتها يقضى في ان تحافظ
على ائويتها .

خلال المئين الاولي تسلم الفتاة الصغيرة بدون اية مقاومة الى
هذا المسير فالطفل يحيا في جو من اللعب والاحلام ولا يبالي بالمسير
الذي ينتظره خاصة وانه يوسع الفتاة ان تعرض شعورها بشوق الصبيان
عليها في الامال الكامنة في مستقبلها كأمراء هذه الامال التي تحققت منذ
الآن في لعبا . وما دامت الفتاة لا تعرف بعد سوى عالم الفتوة فان
انها تظهر لها متممة بسطة اكبر من سلطة الاب . ولذلك فهي تخيل
العالم بشكل سمود فيه سلطة الامومة وهذا ما يدورها الى تقليد انها في
حركاتها وسكناتها والى التمثل بها وغالبا ما تلجأ الى قلب الادوار فتقول
لا حين اصبح كبيرة وتصبحين انت صغيرة والدمية ليست بالنسبة للطفلة
الصغيرة لزوالها لشخصيتها وانا هي طفلة كذلك ، فهي تدافع عن نفسها
ضد انها وتتحلى بوقار الامومة حين توبخ وتعاقب ثم تغري وتعدل
ديتها . والنجأ اميا تغري الى التناها على اسرارها وتقوم بتربيتها
وتؤكد عليها سلطتها المثلثة بل انها كثيرا ما تتزحزح قرائها وتطرحها
وتعدبها : اي انها تخلق من خلالها تجربة تأكيد شخصيتها وطبعا
بالسيطرة . يتضح للفتاة الصغيرة ان العناية بالاشغال يقع على عاتق الام
وهذا ما تتعاه من خلال القصص التي تسمعها والكتب التي تقرأها كما
ان تجربتها الشخصية تؤكد لها ذلك ، ويمكننا القول بالنتيجة ان وطبقتها
(المقدرة لها) تفرض عليها فرضا وتطلى عليها اهلاء . وما دامت تربية
الاشغال مستصح في يوم من الايام من نصيبها فان فضولها ورغبتها في

معرفة غنايا التوالد يزداد شيئا فشيئا . انها لم تؤمن بان الاطفال يرادون او ياتون الى الحياة في ورققات الملغوف او تاتي بهم القلائق (ج القلق) خاصة اذا كان لديها الغوة والخوف ، وعلى كل حال فهي تتعلم بعد ذلك ان الرضيع يتشكل في بطن امها . وفي ايامنا هذه لم يعد الاهل يكتسبون اسرار وغنايا الحمل والولادة عن الطفل كما درج الناس على كتابتها في الماضي . اما الفتاة الصغيرة فانها تعجب وتدهش اكثر مما تخاف نتيجة لاكتشاف هذه الظاهرة التي تعتبرها نوعا من السحر لانها لا تلم دفعة واحدة بالتفاصيل الفيزيولوجية لعملية الولادة . فهي تجعل دور الاب وتفترض ان المرأة تصبح حاملا نتيجة لتناولها لبعض الاغذية ، وهذه قصة اسطورية ، «يروي ان ملكات القمص الخرافية يلدن فتاة صغيرة او سيبا جيلا بعد تناول بعض الفاكهة ونوعا خاصا من الاسماك» .

تأخذ مجسومة هذه المشاكل والقضايا بلب الفتاة الصغيرة وحواسها وتضفي خيالها . واني اورد فيما يلي حالة نموذجية تشابه في عدة نواح حالة هانس الصغير التي حللها فرويد في نفس الوقت :

بدأت «آنا» تستفهم من اهلها عن مصدر التوالد الجديد وهي لم تتجاوز بعد الثالثة من عمرها ، وحين بلغت الرابعة رزقت امها بمولود ولم تكن آنا قد لاحظت افتتاح بطن امها اثناء الحمل لكنها نظرت اليها بعد الولادة بحذر وضيق وانتهت الى القول : «هل ستوتين يا امه ؟» . كانت تتخيل ان الناس حين يموتون يصعدون الى السماء ثم يتحصون هيئة الرضيع والملك فقد زادت دهشتها حين رأت امها في الفراش بعد الولادة ، وقد اصبحت بعد ذلك تسمع بالعمرة تجاه امها الصغير فكانت تحدث نفسها قصصا غريبة ولا تطيع اوامر اهلها وتهدد باللجوء الى

جدتها لحايتها ، كانت تنهم في اغلب الاحيان بالكذب لانها كانت تنسك
 في عدم اعلامها بحقيقة ولادة غيرها وكانت تسأل والدتها بالحاح هل
 سأصبح امرأة مثلك يا اماءه واخذت تنادي انهاء الليل اهلها بصراخ
 عال . وفي يوم من الايام بدأت تسأل بطلقة «ما هو السبب في ان صوفي
 تصغري سنا ؟» ابن كان فريرتر قبل ان يولد هل كان في السماء ١٠٠ وماذا
 كان يفعل هناك ١٠٠ ولماذا عبط منها لان فحسب ١٥٠٠٠ واضطرت امها
 اخيرا ان تشرح لها بان الاخ الصغير نبت في بطنها كما تثبت الثبته في
 قلب الارض . اثار هذا التصغير اعجاب وسرور آفا لكنها استغرقت
 متسامة : هل خرج لوحده دون مساعدة احد ؟ - نعم . - ولكن كيف
 يفعل ذلك وهو لا يستطيع المشي ١٠٠ - لقد خرج زاحفا - هل يوجد
 هناك اذن قلب ١٠٠ (واشارت الي صدر امها) : من اي مكان خرج هل
 فعل ذلك من خلال التم ١٠٠ ويدون ان تنهم بالجواب استشارت الي
 اعيها يسع من عينها يريق الرضا والطاينة . وفي احد الايام سألت
 اباهما حين رآه يرقد في السرير : ولماذا اراك مستلقيا في السرير يا ابتاه ١٠٠
 هل لديك انت الآخر نية في بطنك ١٠٠ في هذه الفترة بدأت تعاودها
 اعلامها المزعجة ومن السهل علينا ان نستنتج بانها كانت تسأل نفسها
 عن دور الاب في عملية الولادة . وفي مسيحة احد الايام كان والدها في
 غرفة التواليت فقزت على سريرها واستلقت متسدة على بطنها واخذت
 تحرك ساقيها قائلة : «ليس هذا ما يفعله والدي ثم سألت والدتها قائلة :
 «ولكن كيف دخل فريرتر الصغير بطن امي ١٠٠ من هو الشخص الذي
 زرعه في جسدي ؟ وانت من زرعت في بطن امك ؟ ومن اي مكان خرج
 فريرتر ؟ فقال لها والدها ضاحكا «ماذا تعتقدين انت ؟» حينئذ اشارت

يبدعا الى اعضائه التناسلية : هل خرج من هنا ١٠٠ - نعم - ولكن
كيف استطاع ان يدخل في امي ١٠ هل يفر في بطنها بعض الحبوب ؟
حينئذ اتسعا والدعا ان الاب هو الذي يعطي البذر . ظهرت علام
الرضا والسرور على وجه آنا وفي اليوم التالي بدأت تنهكم على اميا
قائلة : دروي لي والذي ان فرتمز كان ملاكا صغيرا وان القلق هو الذي
حطه البناء واصبحت بعد ذلك هادئة اكثر من ذي قبل الا انها حطت
في يوم من الايام بمشاهدة بعض الفلاحين وهم يولون وينهم والدعا
وحطت كذلك بعد ان شاهدت البياتي يسقل الطرائل بمنجر في يده .
انه يجري نفس العلية على اعضائه التناسلية ، كانت بالطبع منشغلة
البال في معرفة دور الاب الصحيح ، وعندما اكتلت معلوماتها فاتها في
سن الخامسة لم تعد تشعر بعد ذلك بأي قلق او اضطراب .

هذه القصة ، لها ميرتها الخاصة على الرغم من ان البنات يتساملون
بشكل سهل عن الدور الذي يلعبه الاب لان الاهل يتهربون من الجواب
على هذا السؤال .

وكنا نضح ذهن الطفل اكثر فاكتر اتسع الف تفكيره وتوطعت
دعالم مبدأ افضلية الذكور على الاناث . حينئذ لا يسود تقليد
الغناء لامها علا مرضيا بالنسبة اليها واذا كانت الفتاة الصغيرة قد قبلت
وظيفتها الانثوية فهذا لا يعني انها تنازلت ورضخت بل على العكس من
ذلك فانها كانت تجد في هذا الحل وسيلة لاعلاء شأنها ، والحصول على
السيادة ، فهي تريد ان تكون سيده لان مجتمع السيدات يظهر لها
مستعيا بالامتياز ولكن حين تتزوجها اتصالاتها مع الناس ودراستها والاعاها
وغيرها من محيط الامومة فانها تفهم ان اسيد العالم ليسوا النساء والما

هم الرجال . وهذا الاكتشاف - أكثر من اكتشاف التخصيب - يعيدل بشكل جذري وعجيبا وهما نفسها وتقديرها لمزنتها .

يتضح لسلسل افضلية الجنين بايديه ذي بدء خلال التجربة العائلية ، فهي تفهم شيئا فشيئا انه اذا كانت سلطة الوالد لا تظهر بشكل محسوس كل يوم فانها هي التي تسود في البيت اولا واخيرا . حتى ولو كانت الام هي التي تسود في البيت عمليا فانها تحاول في شتى المناسبات ان تثبت بان ارادتها هي نتيجة لارادة زوجها الاب وذلك على الاقل في الحالات الهامة ، فمن خلال ارادته تتحكم هي في ادارة البيت وبأسسه لنسج وتعاقب .

ان حياة الاب محاطة بحالة من التلوذ الغامض : فالساعات التي يقضيها في البيت والرفة التي يعمل فيها والاشياء التي تحيط به ومشاغله وهواياته كل ذلك يتخذ في نظر الاطفال صفة القدسية . انه هو الذي يقوم بإعالة الأسرة وهو المسؤول عنها بصفته رئيسها . وهو يعمل عادة في الخارج وبواسطته يتصل البيت مع بقية الناس وهذا ما يجعله يظهر امام افراد عائلته وكأنه يجسد هذا العالم المقامر الواسع الصعب والرائع ، انه السور واله لاله ا وحينئذ تتغير وضعية الطفلة بشكل جذري فلقد كانت مدهورة لان تصبح في يوم من الايام امرأة مبالغة لامها التي لا حدود لسلطانها وسيطرتها لكنها لن تكون بعد الآن ابدا الاب الذي يتضح بالسيادة المطلقة ، كانت صلتها بامها تميز بنوع من المناقسة التي تعنها على تقبل الحياة اما بالنسبة لايها فهي لا يمكن ان تنتظر منه سوى تقديرا سليا ودون ان تكون هناك اية حاجة لمشاركتها . ان الصبي يتحسس السيادة الابوية من خلال شعوره بالتنافس بينما تتحمل الطفلة

هذه السيادة باعجاب سلمي .

لقد ينت من قبل ان ما يسمى فرويد بمركب (الكتر) لا يعبر في الواقع عن رغبة جنسية وانما هو تنازل عميق من صاحب العلاقة الذي يرضى بأن يكون مادة في الخضوع والتعذيب ، ولذا ظهر الاب حناه وعظمه نحو ابنته فانها تشمر ان وجودها له ما يبرره وتصبح حينئذ مزودة بجميع الناقب والصفات التي يصعب على الآخرين الحصول عليها ومن المحصل انها تستشعر بالتسوق طوال حياتها الى هذا الكمال وهذه الطمأنينة .

اما اذا لم يحظ بمثال هذا الحب فستشعر الى الابد بانها مثلية او ستلجأ الى البحث في مكان آخر عن التقدير وزيادة الاعتبار وتصبح حين ذلك عديمة الاهتمام تجاه والدها وقد تشمر نحوه بالعداء . غير ان الاب لا يستمع لوجهه بهذا السلطان . فجميع الرجال يساهمون في خلق عظمة الرجولة وليس هناك من مجال للكلام عنهم (كبدليل) عن الاب لانهم يسلبون لب الفتاة الصغيرة مباشرة بصفتهم رجالا سواء كانوا جدودها او اخواتها او اعمامها او اسدقاء الاسرة الخ ...

ولا شك ان التقدير الثير الذي تكنه الفتيات الراشدات نحو الرجل يكنى لکنى يرفع مكانته نحو العلاء . كل شيء يساهم في تأكيد تفوق الرجل على المرأة في نظر الفتاة الصغيرة . ثقافتها التاريخية والادبية ، والافانلي والاساطير التي تسمعا تهذب جميعها الى تسبيح الرجل . ان الرجال هم الذين بنوا سجد اليونان ، والامبراطورية الرومانية ، وفرنسا وجميع الامم . وهم الذين اكتشفوا الارض واخترعوا الادوات التي تسبح لهم باستغلالها وهم الذين حكموها ، ونحتوا التماثيل ، ورسنوا

اللوحات وأقنوا الكتب . ويمكننا ذلك ادب الاطفال والميتولوجيا
والقصص والروايات والاساطير التي خلقتها كبرياء ورغبات الرجل ،
فمن خلال عيون الرجال تبرز الفتاة الصغيرة نور العالم وتكشف عن
مصريها . والتاريخ مليء بقصص عشاق الرجال كما ان الفتيان هم الذين
يدورون حول العالم في قصص المغامرات وسافرون كسلاحين في البواخر .
وتقع جميع الاحداث الهامة بواسطة الرجال . ويؤكد الواقع صحة ما
جاء في هذه القصص والاساطير فاذا ما قرأت الفتاة الصغيرة الصحف او
اسفت الى معادلات الرجال الكبار فلانها تتأكد هذا اليوم كما كانت
تفعل في الماضي بان الرجال هم الذين يقدرون العالم ويحكمون فيه . ان
رجال الدولة ورؤسائها ، والجنرالات والمكتشفين ، والموسيقين
والرسامين الذين تولع بهم الفتاة هم رجال كذلك ، اهم رجال يعيشون
في قلبها الضعيف من شدة الحساس .

ككل شيء يدنو الفتاة لكي تتهاك حاملة بين ايدي الرجال فتقل بعد
ذلك الى سناء الجسد . انها تعلم انه لكي تصبح سعيدة يجب عليها ان
تعطى بعب الرجال ولكي تكون محبوبة يجب ان تكرس وقتها لانتظار
الحبيب للعودة وامير الاحلام ... المرأة هي (جيلة الغابات النائية)
وهي كذلك (بلانيس نيج) و (ساندريلا) انها تلك التي تقبل وتتحمل .
تم تهمس علينا الاثنيدي القديمة والاساطير الخرافية ، ان الفتى الشاب
يذهب مغامرا للبحث عن المرأة ، فيطلق رأس التنج بسيفه ، ويصارع
الحيابة بينما تكون الفتاة سجينه في إحدى القلاع او القصور ، في
الستان او في الزوامة مقيدة الى صخرة ، حبيسة ، نائمة او قلقة : انها
تنتظر . في يوم ما سيعود امير الاحلام وينقذني ... في احد الايام

سيأتي على الحرب الطويل الرجل الذي لجه ... وهذه هي الاحلام
 الشعبية لساهم كذلك في توجيه الفتاة وتبث فيها الاحلام العسير والامل .
 لقد اسبح من الضرورة القصوى بالنسبة للانثى ان تأسر قلب الرجل
 ولكي تتوصل الى ذلك تراها تحاول ان تظهر في حياتها بظهور الضحية
 الى ان يأتي فارس احلامها فينتشلها من ورطتها . وقد كتبت مدام
 دو نواي تقول : « كنت انسى وانما لم ازل صغيرة السن ، ان احظى
 بعطف الرجال وان اثير قلقهم علي وان انجو من المآزق بغضلم ، وحتى
 ان اموت بين ايديهم » . توجه الالجاب والاحلام الفتاة الصغيرة وتطورها
 شيئا فشيئا نحو السلبية في تصرفاتها . لكنها مع ذلك تشعر بانها نفس
 بشرة قبل ان تكون امرأة ، وهي تعرف منذ الآن ان قبول مصيرها
 كامرأة يعني تخليها عن استقلالها وتشويه شخصيتها . ان الرجل والحب
 لا زال بعيدان عنها في شباب المستقبل ، اما الآن فانها تبحث مثل اخواتها
 عن النشاط والحركة والاستقلال . ولا شك ان عبء الحرية ليس بتقيل
 على الاطفال لانه لا يستلزم وضع اية مسؤولية على عاتقهم . ولذلك
 فان جنوح الفتاة التطري نحو الحياة وتذوقها للمب والضحك والمغامرة
 يجعلها تشعر بان الوسط الذي تعيش فيه مع امها هو وسط ضيق خائق
 وتنسى لو تنظمن من سيطرته وسلطانه .

ومما يزيد في عطف نورة الفتاة ان امها تفتد في اغلب الاحيان فبودها
 وسعحتها وتلاشي من حولها هالة السيطرة والتفرد وتظهر كيفية النساء
 في وضعها السلمي، تنتظر وتحمل، وتشكو وتبكي فتبدو حياتها نموذجاً
 حياً للتكرار الميل .

تأتي الفتاة الصغيرة في هذه الفترة ان تشبه امها ، ولذلك فانها تكن

تقديرها واحترامها كبيرين للنساء القواني يتفادين الوقوع تحت وطأة العبودية النسوية كالمثلاثات والكنايات والاستاذات كما تراها تتسلق نفسها بالرياضة والدراسة ، وتحاول ان تقلد الذكور فتسلك الانتحار وتمزق الثياب ، وتختار في أكثر الاحيان سديفة وافية ، تقضي لها اسرارها وتكن لها حبا يشبه الحب العاطفي كما انها تقاسمها الاسرار الجنسية والواقع ان الفتيات الصغيرات يتبادلن المعلومات التي ليجدن في الحصول عليها ويطلقن عليها .

ولستاء الفتاة الصغيرة عادة من قواعد التحفظ والسلوك المفروض عليها كما تتضابق كثيرا من ثيابها وقد اثبت احد الاستفتاءات ان الاكثرية الساحقة من الفتيان صرحوا بعدم وجود اية رغبة لديهم في التحول الى فتيات وصرح اكثر من 75٪ من الفتيات انهن كن يفضلن لو خلقن رجالا ، وتبرر الفتيات هذا الاختيار بالحجج التالية :

«لا يتاكم الفتيان كما تتألم الفتاة في حياتها» «ان امي تحبني اكثر اذا كنت صبيا» «يستطيع النسي ان يقوم باعمال اكثر اعبية» «يستمتع النسي بامكانيات اكبر في الدراسة» «حينئذ سأتمكن من تسلية نفسي في تحريف البنات» «ولن احس بالخوف من الصبيان» «انهم جميعا احرار» «لا يتضايقون من لباسهم» .

وحين تبلغ الفتاة ١٥ - ١٢ من عمرها يمكننا ان نطلق عليها لقب (الصبى الفاضل) وهي لا تتألم من قتلها هذا لانه يشكل بالنسبة لها حرما وظلما فحسب وانما لان النظام الذي يفرض عليها هو في حد ذاته غير صالح للحياة فايامها تصبح فارغة لا يوجد فيها اي نشاط او حركة يسود فيها الضجر والتبرم وحدة الاعصاب لذلك تراها تستسلم لاجلامها

الداخلية لتعوض مرارة فشلها فتبدأ بفقدان معنى الواقع وتتشدد التعزية في حواطمها الرئيسية (عبادة الذات) ، فتخيل نفسها بطلة قصة لعجب بجسامها وتشكو من واقعها المؤلم . ومن الطبيعي جدا ان تصبح نتيجة لذلك مولمة بالزينة والتبرج والكوميديا ، كما تضاعف هذه المساويء في فترة البلوغ فتكثر حالات تقاذ الصبر والزمان الغضب ومشاهد الفموع . ان الفتاة تولع بشكل خاص بالبكاء وسبب ذلك يعود الى ميلها للتفكير بشكل الضحية وقد روى المولسنيور دو بانلوب يقول : «تحب الفتيات الصغيرات البكاء حيا شديدا لدرجة ان احدهن كانت تدعب لبكاء امام المرأة للتمتع بشكل مضاعف بلذة منظرها وهي تبكي» .

انها والحق لتجربة غريبة بالنسبة لاسنان كان يحس نفسه كشخصية مستقلة تصرف بحياته بكل حرية فيكتشف فجأة بأنه مكبل بقيود التبعية . انها لتجربة غريبة لمن يفترض كونه (واحدا) مستقلا مستعيا بكافة صفات الشخصية فيكتشف ان البرة الرئيسية لطبيعته هي الشعور بالنقص تجاه الآخرين . وهذا ما يحدث للفتاة الصغيرة عندما تنرس في مدرسة الحياة فتشعر بأنها امرأة وان الوسط الذي تنتمي اليه مغلق عليها من كل جانب ، محدود الافق يسيطر عليه عالم الذكور . ومهما اتبعت من اساليب التحرر والمقاومة فسيكون دائما فوق رأسها سقف يمنعها من الارتفاع ومستنصب من حولها جدران تحد من حركتها وتقطع عليها السبل . ان آلهة الرجل يفضون بعيدا عنه في القاصي السموات لدرجة لا يشعر بوجودهم ، اما الفتاة الصغيرة فانها تعيش بين آلهة على صورة البشر .

أقد تقرر مصيرها ا فستصبح زوجة ، وأما ، وجة ، وستدرف على
العناية بيئتها وبأطفالها كما تفعل أما تماما انها لم تتجاوز بعد الثانية
عشرة من عمرها ومع ذلك فان تاريخها مكتوب في السماء بحروف من
نار ، وعلى مر الأيام ستكتشف مستقبلها السطحي دون ان تسلم في
بنائه ، وانها تشعر بالفضول المزوج بالخوف حين تفكر بهذه الحياة
التي تحدت طبيعتها منذ الآن والتي تنقاد نحوها اقتيادا امسي في كل
لحظة تعيش فيها .

ولا شك ان مصيرها المحتم يدفعها لان تهتم أكثر من اخواتها بأسرار
وخطايا الحياة الجنسية ، هذه الاسرار التي تشعر شعورا مبهما بانها
تهدد جسما وكيانها . لقد تيدد سحر الامومة وسواء اكتشفت اسرار
الحياة الجنسية بصورة مبكرة او متأخرة فانها تعلم ان الطفل لا يظهر
مصادفة في بطن امه وانه لا يخرج منها بفضل العسا السحرية ، وانها
تهدس بقلق في هذه الامور ، اذ لم يعد يبدو لها من الامور المحيية
الرائعة ان تولد في احشائها اجسام طفيلية . نعم ان السؤال يدور
ويدور في رأسها : كيف يخرج الطفل ! وحتى لو انها لم تسع من قبل
بالام الولادة فلا بد ان تكون قد قرأت كلمات الانجيل : «ستلمين في
الاله» انها تشعر منذ الآن بالام الولادة دون ان توصل الي تحديد
طبيعتها فتتخيل عددا غريبا من العطايات في بطنها واذا ما اقترخت بأن
الجنين سيخذف من الخلف فهذا لن يكون من بواحي طمأننتها . وقد
روي بأن بعض الفتيات الصغيرات أصبن بالقياض عصبي في الامعاء اثر
تصور طريقة الولادة ، كما ان الشروح الطبيعية الصحيحة لاسرار
التوالد لا تقدم اية مساعدة للطفلة لان صور الجروح والتشق والتزيف

لا تفك زاود مغيلتها كالكتابوس . وقد روت الكتابة الشهيرة (كوليت)
ان لها وجدتها مغنيا عليها بعد ان قرأت في كتب (اميل زولا) وسلا
مفصلا لعملية الوضع .

نوحى الصفات العيزالية للحبل والوضع ، بأنه لا يد وان يحدث
(شيء جسائي) بين الزوجين . ان كتبة (الدم) التي تتردد كثيرا في بعض
التمايز مثل «الولاد من نفس الدم ، دم اميل ، دم مزوج» توجه احياها
مغيلة الطفلة فتفترض ان الزواج لا يتم الا خلال احتفال تجري فيه
عملية نقل الدم بين الرجل والمرأة . لكن (الشيء الجسائي) يبدو مرتبطا
في الطب الاحيان بعمليات التبول والتبرغ بصورة خاصة فيفترض الطفل
ان الرجل يبول ضمن جسم المرأة ولذلك فانه ينظر الى الجساع كثيرا .
(وسط) ويتساءل مع نفسه : كيف يقبل الراشدون القيام بمثل هذه
العملية الوسطة ؟ لكنه لا يجد اي معنى للاجوبة القامضة التي يسمعا
او يقرأها ويبدو له ان كل شيء خيالي بعيد جدا عن الواقع . بل ان
الخوف يداعبه في بعض الاحيان حين يشبه ان اهله وامسقاءه وامائذته
يقومون بمثل هذا العمل . وفيما يلي اعترافات طفلة عن خواطرها حين
اكتشفت هذه الحقيقة :

«حين حدثوني لأول مرة عن العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ،
مرحت بأن هذا مستحيل لانه لو كان الامر كذلك لوجب علي والذي
ان يقوم بها وانا اقدرها لدرجة لا تصور . . . فدايمما على مثل هذه
الامور . لكنني اردت بأنه لا يمكن ان . . . فما على ذلك ابدا فهي عملية
مترفة للغاية . ولكنني اتركت بعد مدة كم كنت مخدوعة عندما اكتشفت
ما يقوم به والدائي . . . كانت لحظة نظيمة مؤلمة وكنت اغني وجهي تحت

الغطاء واسد اذني متنية ان يكون على بعد آلاف الكيلومترات من
مكالي ا .

كيف يمكن للطفل ان يتقل من صورة اناس وفورين يرتدون
الثياب ، اناس يرتدون كل يوم على مسامحة تعاليم العنسة والتحف
والوقار ، الى صورة وحشين عارين يتعاقان ويتصارعان ؟ ان في هذا
تشكيك في هية الراسلين بزعم مكاتهم ومنزلهم الكبيرين . وكثرا
ما يرفض الطفل بعد هذا الاكتشاف الميئ فيقول : « ان اعلي لا
يفعلون ذلك » ويحاول في بعض الاحيان ان يضي على العلية صورة
محتشة كما صرحت بذلك احدى الفتيات مثلا : « حين يريد الزوجون
ان يزرعوا اطفالا فانهم يذهبون الى الطبيب فيخلعون ثيابهم ويسترون
اعينهم بشريط من القماش كي لا يروا شيئا ، ثم يربط الطبيب الزوجين
الى بعضهما ويرسد لهما يد العون لكي تسير الامور على ما يرام » اي ان
الفتاة تحولت في مخيلتها العمل الجنسي الى عملية جراحية ، لا شك انها
لا تجلب شيئا من المتعة لكنها تشكل عملا مشرفا في حد ذاته يعادل
الزيارة التي يقوم بها كل انسان الى طبيب الاسنان . لكن الشك يتسلل
الى قلب الفتاة على الرغم من الرفض والهروب وتحدث فيه ظاهرة مؤلمة
تعادل الاكلام التي خلفتها فترة الغضام في نفسها لانها في هذه الحالة لم
تفقد عطف اناس عليها فحسب كما كانت هي الحال بعد الغضام ، وانما
تسهر وكان عالمها الخيالي الذي كان يحسبها قد اتاه من حولها ، فتجد
نفسها بدون سقف فوق راسها منعزلة وحيدة امام مستقبل حالك الظلام .
وما يزيد في يؤسها انها لا تتمكن من تحديد تفاصيل هذه اللعة المبهمة
التي تزوخ تعدها بشكل كامل ، فالمعلومات التي حصلت عليها متناثرة

وغير مرتبطة فيما بينها والكتب متاقفة وحتى الفروح الفنية لا نستطيع ان نزيل الظل الثقيل العاتك السود ، فهالك مائة سؤال بدون جواب : هل يؤلم العمل الجنسي ام يبحث في النفس اللذة والشهوة ؟ وكم من الوقت يستغرق ؟ خمس دقائق ام طوال الليل ؟ هل يقوم الناس بالعمل الجنسي كل يوم ام نادرا ؟ ومتى تحصل المرأة وكيف الخ... ان الولد يحاول ان يفهم كل ذلك بقراءة الكتب ومراجعة الفوليس وسؤال الرفقاء في جو يسوده القلام والانسجاز . وقد اجري الدكتور (اليجان) استفتاء لدى بعض الفتيات فيما يتعلق بمعلوماتهن عن الحياة الجنسية فقالت احداهن :

«من اين يخرج الاطفال ؟ لقد تعلمت الجواب على هذا السؤال في المدرسة وشرحت حينئذ بان ذلك يجب ان يشر الفرف والانسجاز . ولكن كيف يأتون الى الدنيا ؟ كنا تصور ذلك كشيء غريب وحتى ، خاصة منذ ان سافقتنا ونحن ذاهبات الى المدرسة في يوم من ايام الشتاء رجلا ارانا اعطاهم التناسلية وقال لنا وهو يقرب منا : «الا يبدو لكم هذا لطيفا يستهوي القوم ؟» وقد بلغ انسجازنا من هذا الموضوع بعد هذه الحادثة حدا لا يحتمل ، وبقيت حتى سن الحادية والعشرين تصور ان الاطفال يأتون الى الدنيا من خلال السرمه .

وقالت فتاة اخرى :

اتحت بي فتاة من زميلاتي جانبا وسألتني : «هل تعرفين من اين يخرج الاولاد ؟» وحين اجبت بالنفي قالت لي : «يا لك من غبية .. ان الاولاد يخرجون من بطن الامهات ، ولكني يأتوا الى الدنيا يجب ان تقوم النساء بشيء مفرق تماما مع الرجل !» ثم فسرت لي معنى كلماتها

بالتفصيل وغير اني لم اسبق ما قلته لي الى ان حدث لي يوم من الايام
ولمن نيام في شمس غرقة والدينا ، ان سمعنا ما لم اسفقه يجري بينهما ،
فغمري الحياء واسبحت الخجل من والدي والشعر بالعصرة على اكتشاف
هذه الاشياء المثيرة للاستنزاز .

يجب ان تضيف على ذلك بأنه حتى ولو تلقى الأطفال تعليماً مناسباً
حول هذا الموضوع فإن حسنة الأهل والأساتذة في تهميم الأطفال
بمفاتيح العمل العاطفي لن تجدي لها لانه لا يفهم الا عن طريق الممارسة
الحية . ولا شك انه بوسع الكتاب والطباء ان يكشفوا النقاب نظرياً
عن غمماي التوالد لكنه من الصعب تهميم ان يبينوا بنفس الموضوع اسرار
النهوة الجسدية والحب الجنسي . كيف يمكننا ان نشرح لطفل لا يتسع
بأي احسان جنسي ، معنى ولذة القبل والمداخيات ا يحدث كثيراً في جو
الاسرة ان يتبادل اعضاؤها القبل وفي بعض الاحيان بواسطة الشفاه ،
قلماً يثر هذا القاء الشهوة والشعور بالارتغاء ا لا شك ان شرح هذه
الامور للاطفال يعادل القدرة على وصف الالوان للصبيان ، وما دام
الطفل ينتظر الى هذا الشعور بالافعال والرغبة الجسدية اللذين يعطيان
الوطنية العاشية معناها ووجدتها ، فان مختلف عناصرها تبقى غريبة
مبهمة مثيرة لاستنزازه .

تعرض الفتيات كثيراً في هذه الأيام بسبب انتشار عادة التعري امام
اللا الى رؤية الاعضاء التناسلية للصبية والرجال في وضع الانتصاب
وعلى كل حال يد وان لاحظن الاجزاء الجنسية للحيوانات فتشور
تأثرهن حين يفهمن انه لكي تتحول الفتاة الى امرأة يجب ان ينفذ فيها
عضو الرجل . ومن المؤسف ان عضو الحصان هو الذي تقع عليه

انظر من اكثر من غيره وهذا ما يدعونا الى تفهم اسباب فزع وقلق
الفتيات امام هذه المناظر . الهن يتعرضن للخوف من الوضع والخوف
من عضو الذكر ومن الازمات التي تهدد للتزوجين ويضربهن الاستمزاز
لهذه الاسال الوسخة العديدة المعنى . . كل ذلك يدفع الفتاة الصغيرة
لان تصيح : « ان الزوج مطلقا وهذا يشكل امع دفاع تقوم به الفتاة
ضد الاتم والجنون والحياء .

وعلى الرغم من كل ذلك فان التحول لا بد ان يتحقق في سن البلوغ
الذي لا تفهم البنت الصغيرة اي معنى له ولكنها تشعر في قرارة نفسها
بان بعض الاشياء هي في سبيل التبدل والتحول في علاقات جسمها مع
العالم الخارجي . انها تصيح حساسة تجاه بعض الاشياء التي تحتك بها
وتجاه الواج خاصة من الروائع التي كانت لا تهتم بها في السابق ، وتسر
في رأسها الصغير بعض الصور الغريبة كما انها لا تتبين جسمها وشكلها
الا بصعوبة امام المرآة ، انها تشعر في قرارة نفسها بوجود شيء مضحك
فيها وقد وصلت مارغريت كندي في معرض حديثها عن إحدى بطلات
قصصها (تيسا) هذا الاضطراب الغريب :

«وفجأة شعرت بعمق انها تعيسة للغاية ، وكانت عينها تنظر ان يطلع
في ظلمة القاعة التي يتسرب اليها ضوء القمر من خلال الباب المفتوح . لم
تعد تيسا تستطيع المكوث طويلا في الظلام فهضت بقفزة واحدة وهي
تصيح بصوت حاد : - اوه كم اكره العالم كله - ثم ركضت يطلع
ويغضب نحو الجبال لتختبئ فيها يتبعها احساس حرقا بغرابة ما يفعل
في نفسها ، وكانت تهمس قائلة وهي تتعثر على الطريق الوعرة : (كم اود
ان اموت ، اريد ان اكون ميتة الآن) .

كانت تعلم انها لا تفكر بتفويض ما تقول ، فلم تكن لها اية رغبة في الموت لكن عطف كائناتها كان بمثابة ترضية خاصة لها ...

ان ما يحدث في هذه الفترة المضطربة هو ان جسم الطفلة يتحول الى جسم امرأة ويصبح مشغرا للشاعر الجنسية وباستثناء حالات الاضطراب الشديد حيث تبقى الطفلة في مرحلة الطفولة فان ازمة البلوغ تدخل في حياة الفتاة حوالي ال ١٢ أو ١٣ من عمرها .

تبدأ هذه الازمة بشكل مبكر لدى الفتاة وتؤدي الى حدوث تغيرات جذرية هامة في حياتها وتنتشر خلال هذه المرحلة بالقلق والاستياء فهي اللحظة التي ينمو فيها تديها وشعرها ، يتولد لديها احساس بالخجل والحياء يطلب في بعض الاحيان الى شعور بالعزة والكرامة ، وببدي الفتاة بشكل مناجي . حياتها ترفض ان تظهر عارية امام اخواتها او امها وتلتصق نفسها بلعنة مزوجة بالزعر ، وترقب بقلق انتفاخ هذه التوتة الصلبة المؤلمة لبعض الشيء . التي تظهر تحت حلسي الثديين ولا شك ان هذه الالام الخفيفة ليست شيئا مذكورا امام عذاب الحروق والم الاسنان لكن الطوراني . والامراض والالام كانت دائما شيئا غير عادي في حياة الانسان . هنالك اشياء تحدث في داخل هذا الجسم القوي ، انها اشياء لا يمكن ان توصفها بالمرض ولكنها مفرقة بموجب قانون الحياة نفسه ومع ذلك فهي صراخ والم واحزان . ولا شك ان الفتاة قد نمت منذ الولادة حتى البلوغ لكنها لا تشعر بهذا النمو الا في فترة البلوغ ، كان جسها يظهر لها يوما بعد يوم كشيء ملبوس واقفي نام . اما الآن فانها تتشكل وتتحول وهذه الكلمات نفسها تكفي لتبعث فيها شعور الهلع لان الظواهر الحيائية لا يمكن ان تبعث الشعور بالطمأنينة الا اذا

وجدت في حالة التوازن . لكن براعم صدرها المنقطة تدفع الفتاة الى
 الشعور بغموض كئيب . الحياة ، انها ليست ذهابا ولا لؤلؤا ولكنها
 مادة غريبة غير ثابتة في حركة مستمرة تتفاعل في قلبها بعض المواد
 الكيماوية غير الصافية . لقد تعودت على شعر طويل يتهدل كالحرير على
 جسها ولكن هذه النية الجديدة تحت ابطها وفي اسفل بطنها تحولها
 الى شكل وحش او شكل الطعوب المتناثر على سطح الماء وسواء كانت
 تعلم ما يخفي القدر لها او لم تعلم فانها تكتشف في هذه التبدلات
 والتغيرات حقائق تنزعها من نفسها وهما هي تجد نفسها الآن تسبح في
 بحر الحياة الذي يتجاوز في مداه وجودها نفسها ، ومن بعيد تراها
 تتحس صلة التبعية التي تربطها الى الرجل ، الى الطفل ، الى القبر .
 ويخيل للفتاة ان قبر التدين على هذا الشكل البارز هو في حد ذاته امر
 عظيم الفائدة وغير مرغوب فيه . اما الفراغان والساقان والبقرة
 والعضلات وحتى ايتاها المستديرتان اللتان تقعد عليهما كل ذلك كان
 له حتى الآن استعمال واضح صريح باستثناء العضو التناسلي الذي
 كانت تعتبره العضو المستعمل للتبول ، كان هذا العضو غريبا بالنسبة
 اليها ولكنه خفي غير مرئي بالنسبة للآخرين . وانها لتود لو اختلفت
 من بين الناس كي لا يلاحظوا تطورها وحالتها الجديدة ، فان الخوف
 ليطبقها من ان تصبح جسما ينفض بالعاطفة الجنسية وان تبرز معانها .
 يعكس هذا الخوف والاضطراب لدى عدد كبير من الفتيات فيمكن على
 ان تصح اجسامهن ليلية ، ويستمن عن الاكل خشية السمنة وتصبح
 الاخرى خجولات يشكل مرضي فالدخول الى الرذعة وحتى الخروج
 الى الشارع هو عذاب بالنسبة اليهن الى غير ذلك من الضاعطات التي

تولد لدى الفتاة في فترة البلوغ . أما الأهل فيساهمون في تثبيت الخجل والخوف من مظهرها الجسدي وهذا ما يجعل الفتاة على أن تتصرف بخشونة ، وتحرم وجنتها في كل مناسبة وقد روى (ستيكال) أن إحدى الفتيات كانت تحرم خجلا بصورة مرضية وعقبة للدرجة أنها خلال عام كانت تحصل ضلالات حول وجهها مدعية أنها مصابة بوجع الأسنان . وتعمل الأم في قلب الأحيان لتت نظر ابنتها إلى احتمال مجيء الطمث لديها ، الأمر الذي يزيد في ارتباكها وتعامتها وغالبا ما تكشف الأم لابنتها عن أسرار الحمل والولادة وحتى العلاقات الجنسية لكنها لا تبذل أية معلومات عن الدورة الشهرية وهذا يعود إلى أن الأم نفسها تشعر بالاضطرار من هذه العبودية النسوية . كما أن الفتيات يحسبنهن مصابات بنفس في البطن أو نزيف مهبلي أو مرض متخجل حين يجدن في ثيابهن بقعا تشير الشك وقد ينتت نتائج التحقيقات التي أجراها سنة ١٩٩٦ هافلوك أليس أنه من بين (١٢٥) تلميذة أمريكية (٣٩) لا يعرفن شيئا عن الدورة الشهرية و (٣٩) اخذن عن الموضوع مبادئ أولية بسيطة أي أن أكثر من النصف كن في حالة الجهل التام وتقول هيلين دونن أن الأمور لم تتبدل عما كانت عليه سابقا في عام ١٩٥٦ فيضرب لنا هافلوك مثلا حالة الطفلة التي رمت بنفسها في البحر لأنها كانت تعتقد أنها مصابة بمرض مجهول ، كما يروي لنا ستيكال في كتابه (رسائل إلى أم) قصة طفلة حاولت الانتحار حين دأبتها الدورة الشهرية ورأت الدماء تسيل على ساقها لأنها اعتقدت بأن هذه الظاهرة ليست سوى عقاب لها عن الذنوب التي تدنس روحها ، ومن الطبيعي أن الخوف أصاب الفتاة فخيّل إليها أنها تفقد حياتها . ويقول كلارين وغيره من رواد المدرسة

البيكاثاليزية الانكليزية ان الدم يمثل في عيني الفتاة الجروح التي
اسات الاضواء الداخلية .

تجري الأمور بشكل ساقى بالنسبة لجميع الفتيات الصغيرات
ويستاب اذهن الهلع والخوف لانه يحتم عليهن افتناء سرهن الى
الآخرين وقد فسدت علي سديقة لي انها كانت تعيش بدون ام بين ايها
- اعدى المطلات فأنضت ثلاثة شهور بين الخوف والحجل تخفي سرها
وتسولها الى ان قفح امرها - حتى الفلاحات الثوراني ينظر منهن ان
يكن علي جانب من الخبرة بسبب حياتهن الخشنة قرب عدد من اصناف
الحيوانات الاخرى فان وقع الدورة الشهرية عليهن يماثل ما يحصل
لغثبات المدن من خوف وارتيك ، وقد تعرفت الي مزارعة شابة ظلت
خلال فصل الشتاء الطويل تفسل تياها خفية في الساقية المتجددة مرتدية
قبسها البتل بالماء ، كي تخفي سرها الذي تخاف الوبح به واني
لاستطيع ان احرب امثلة كثيرة مماثلة علي هذه الحالات النفسية المعقدة .

غير ان الاقرار والاعتراف بهذا السر امام الآخرين لا يعني خلاص
الفتاة ولا شك ان الام التي سمعت بعبدة ابتها التي سألتها بعض الامور
قائلة : (ايها القية انك لانت سفيرة السن) ، هو أمر استثنائي في حد
ذاته لكن القية الامهات لا تعطي الفتاة الايضاحات الكافية فتبقى
مضورة والارتيك امام هذه الوضعية الجديدة التي خلقتها الدورة
الشهرية الاولى : فهي تتسائل فيما اذا كان المستقبل يخبا لها مفاجآت
مؤلمة اخرى او تخيل بانها منذ الآن تستطيع ان تصبح حاملة بمجرد
الاحتكاك بأي رجل ، الامر الذي يجعلها تشعر نحو الذكور بهلع وذعر
شديدين - وحتى اذا اردنا ان نجيبها هذه التسايل والاضطرابات وذلك

تزوئدها بالشروح الكافية فإنا لن نعيد السلام إلى قلبها بهذه السهولة قبل البلوغ وكان يوسع الفتاة أن تطيل قبل البلوغ مع بعض سوء النية لها مجردة عن الشعور الجنسي بل يمكنها ألا تفكر على الإطلاق ، وقد يحدث لها أن تعلم بأنها ستفتح عينها في صبيحة أحد الأيام لتجد نفسها قد تحولت إلى رجل ، أما الآن فإن الأمهات والمعلمات يتهاشن وعلائم الفخر يادية على وجوههن : (أنا فتاة كبيرة الآن) . نعم لقد ربحت جماعة الأمهات المعركة ، : أنها تنمي اليقظة الآن . وها هي تنضم إلى صفوف الألاف من النساء ، كما يحدث أحيانا أن تشعر الفتاة بالفخر نتيجة لبلوغها فهي تفكر بأنها أصبحت شخصا كبيرا وأن حياتها ستعرض إلى انقلاب كبير .

الفصل الثاني

الفناء المرافقة



تعرفت الفتاة خلال طفولتها الى مختلف انواع الضغط والحرمان ، ولكنها مع ذلك كانت تتحسن في قرارة نفسها وجود شخصية مستقلة لها . ففي علاقاتها مع اهلها واصدقائها ، في دراستها وفي العاجل في كل ذلك كانت تكتشف في نفسها تجاوزا : فلم تكن تفعل سوى العلم بسليتها المستقبلية . غير انها اكتشفت حين ادركها البلوغ ان المستقبل لا يقرب منها فحسب والى يستقر في جسها ويصبح واقعا ملموسا . منعقة من ماضيها الطفولي يتراعى لها الحاضر لأن كمرحلة انتقالية لانها لا تلمح فيه اي هدف يمكن ان يستثير شعورها ومخيلتها . وبشكل عام تطحن الفتاة شبابها في الانتظار والترقب . انها تنتظر الرجل . لقد اكتفت الفتاة طوال حياتها بتفوق الرجل عليها وهذه السمة التي يتحلى بها الذكور ليست سرايا سياليا في خيالها بل تستند على اسس اقتصادية واجتماعية . ذلك الرجال هم اسياد العالم . جميع الاحوال ، وكل شيء يوجه المرافقة نحو هذا الاعتقاد ويقنعها بان مسلماتها تقضي عليها بان تكون تابعة للرجل ، فالاب فظهور بنجاح ابنته لدى الرجال والام ترى في ذلك عملا في تأمين مستقبل مزدهر لابنتها والرفيقات يعجبن برفيقتهم

التي تحظى بالكثير فسط من إعجاب الذكور . ففي المشاهد الأمريكية تلمس منزلة العاتية بعدد المواميد التي تحصل عليها من الرجال . ان الزواج لا يشكل فقط مهنة مشرفة اقل تبعاً من غيرها وانا يسمح للفتاة بان تتسع بكامل منزلتها الاجتماعية وان تحقق امالها الجنسية في ان تكون عشيقية واما في آن واحد . ومن التمتع عليه اجماعاً ان الحصول على زوج هو اكبر مشروع بالنسبة للفتاة . ولا شك ان الزواج يعبر الفتاة من منزل اعلاها ومن سيطرة امها ويفتح امامها المستقبل بواسطة استسلامها السلي الراضى بين فراخي السيد الجديد . فهناك من يدعي ان الفتاة حين تستسلم بهذه الطريقة وتخلي عن شخصيتها فان ذلك يعود الى كونها اقل منزلة جسايا ومعنوا من الفتيان الذين لا تستطيع منافستهم . ولا شك ان البلوغ يطور جسم المراهقة فيصبح اكثر ضعفا من قبل ، اما الاعضاء الاثوية فهي اكثر دقة ونعومة كما يشكل الثديان بالنسبة للفتاة حلاً ثقيلاً لانها يذكراتها في كل حركة خفيفة تقوم بها ، وكثيراً ما يسيان لها الآلام . ويطلق عدم توازن الفراز الهرمونات لديها قللاً عصبيا مسترا ، كما تسبب لها ازمة الدورة الشهرية لما لا يحتل : اوجاع في الرأس اوجاع في العضلات آلام في البطن كل ذلك يجعل من العسر على الفتاة ان تقوم باعمالها العادية ، وبالإضافة الى هذه الآلام الجسدية تعسر الفتاة في الحب الاحيان باضطرابات نفسية فتصبح عصبية المزاج سريعة التأثر ، وتفقد السيطرة على جهازها العصبي وجهازها السباتي وتحدث لديها اضطرابات في دورة الدم وبعض التشنجات الذاتية بشكل يضع بين الفتاة والعالم لحداوة من الضباب الحرق يجهن عليها فيختفها وينصلها مما حولها . ومن خلال هذا الجسد الناحب

الطبي ترى الفتاة العالم المحيط بها وكأنه حمل تيريل يكاد يخنق الفاساء
انها مضطهدة ومضورة بالالام غريبة عن نفسها بسبب شعورها بالفصالها
عن العالم الذي تعيش فيه .

ان الذكر ينجأ الى المشاجرة وتبادل اللكمات حين يتعرض للاسائة
او الى اية محاولة لاذلاله وانقضائه فهو لا يسمح بالتجاوز عليه من قبل
الآخرين ، والنف هو الدليل الحي الذي يبرز فيه شخصيته وارادته .
ولا شك ان رفض العنف بشكل جذري يعني رفض كل حقيقة موضوعية
والانحياص في الشخصية الخيالية ، وان الغضب والثورة اللذين لا
يتجسدان في العضلات يطلان ضربا من ضروب الخيال . انه لحرمان
مخيف ان لا يستطيع الانسان تسجيل حنقات والهربات قلبه على سطح
الارض . ففي جنوبي الولايات المتحدة لا يسكن للزنجي باي شكل من
الاشكال ان يستعمل العنف تجاه البيض وهذا هو مفتاح (الروح
السوداء) الفاضة الغريبة ، وهذه الطبقة تفسر تصرفات وسلوك
الزنجي السلبية في المجتمع الذي حكم عليه ان يعيش فيه مقيدا سجيناً .
وهكذا يتخذ العالم بالنسبة للراعي وجها يختلف عن العالم الذي
تعيش فيه المراهقة حيث تحرم عواطفها من كل فعالية آتية . ويولد هذا
الضعف الجسدي لدى الفتاة شعورا بالتقص يجعلها بصورة عامة
طموحة منكشحة على نفسها ، فهي لا تؤمن بقوة جسدها التي لم يتسن
لها ممارستها ولا تجرأ على القيام باي عمل من اعمال المبادرة فلا تنور
ولا يشكر بل تترك نفسها في عالم يسوده الاستسلام والخضوع . انها
تقبل نظام الحياة المفروض عليها كما هو دون اي تغيير او تبديل . ولقد
اتيحت لي فرصة التعرف الى فتاة شابة تلقفت تربية الرجال وكانت تتشعق

بقوة جنسية استثنائية وكانت تعتقد انها تساقط الرجال قوة واقتدارا وعلى الرغم من انها كانت جميلة وان العادة الشهرية كانت تعرضها شعريا لفتى الالام العنيفة ، فانها لم تكن تمي او تسلم بانوثتها فكانت تتصرف بنفس الصف والاندفاع وتقوم بنفس الاعمال التي يقوم بها الشباب ولم تكن تتردد في الدخول في مشاجرات على طريقة الصبيان . لكن تجربتين مؤلمتين تعرضت لهما في تلك الفترة كانتا بالنسبة اليها دافعا لكي تسلم وتؤمن بان القوة هي بجانب الذكور فانهارت تحتها بنفسها حين اضطرت الى الاعتراف بقوة الذكور ، وكان هذا بداية عهد جديد تطورت خلاله نحو حالة الانوثة والسلبية وقبول صفة التبعية .

وهكذا نرى بان الحالة البيولوجية للمرأة تشكل بالنسبة اليها حاجزا يحول دون شعورها بشخصيتها المستقلة . ان الضعف العصبي وعدم التوازن الدموي لا يحول بينها وبين ممارسة اية مهنة . فبين الذكور انفسهم يوجد عدد مختلف من الطباع والامكانيات ، والاضراب الذي يصيب الفتاة خلال يومين من كل شهر حتى ولو كان مؤلما لا يمكن ان يعد عائقا لها ، والواقع هو ان عددا كبيرا من النساء توفقن بين حالتهم كمناء وبين عملهن في الحياة . فرى المرأة تمارس مختلف المهن الصعبة وتساخر وترهن نفسها كرجال ، ومع ذلك فان ضعفها الجسدي لا يسمح لها بمزاولة اصناف العنف ، فلو كان بإمكانها ان تثبت شخصيتها وتتصرف كما تريد في المجتمع الذي تعيش فيه تمارس السباحة وتسلق الجبال وتقوم بالطائرات وتتنازل ضد العناصر الطبيعية وتعرض للاخطار والمغامرات ، اذا استطاعت ان تفعل ذلك فانها لن تشعر بهذا الخجل والمقاربات ، اذا استطاعت ان تفعل ذلك فانها لن تشعر بهذا الخجل او بهذا الضعف الذي تكلمت عنه . ان الحالة الاجتماعية العامة للفتاة

هي التي لا تترك لها أي مجال لأبرار شخصيتها واليات وجودها بل
تؤكده على العكس مركب النفس الذي بدأت تنشر به منذ طفولتها .

بل إن هذا التركيب يحتم على حياتها من ناحية أخرى ليعيق تطورها
الروحي والفكري . وقد لوحظ أن الفتاة تبدأ ، اعتباراً من بلوغها ، في
التأخر عن الرجال في الميادين الفكرية والفنية . هناك عدة أسباب لذلك
وأهمها أن المرافعة لا تصادف من حولها التشجيع الذي يحظى به اخواتها
في على العكس من ذلك يشجعها الأهل والاسدقاء على أن تظهر بظفر
(المرام) ، ويحتم عليها نتيجة لذلك أن تقوم بالإضافة لعطفا الهني
بالواجبات التي تفرضها عليها كونها فتوى الأسال القولية والواجبات
الاجتماعية التي لا تتردد الأم في فرضها على الطالبة والمعلمة ، الأمر
الذي يؤدي إلى إجهادها جسدياً ومعنوياً . أما نطلب من الفتاة أن
تبقى في البيت وأن تصرفه بشكل لا يثق فلا تشجعها على أن تختار نفسها
طرق الهوها ولعبها ، ومن الشاغر أن ترى نساء ينظمن لوجدهن ترحه
طريقة أو سفرة على الإقدام أو على الفروجة أو يمارسن لعبة بريمة
كالبيارد أو الكرة الخ... . وإذا سارت المرأة في الطريق فالجميع ينظرون
إليها ويراقبونها وإذا ما خطر للطالبات التزود بجنتحات في التسوارح كما
يفعل الطلاب فإن هذا يثير دعشة المارة إذا رأوا هذه الجماعات تتبختر
في الطريق وتضحك أو تأكل تامة أو تتكلم بصوت عال ، كل هذا يند
القارة . وقد يتعرضن للسياق أو إلى شتى أنواع الإهانات البذنية إذا ما
سولت لهن القسطن الاستمرار في هذا النهو البري . - ويروي أن بعض
الفتيات اللواتي لم يكن أعمارهن تتجاوز الرابعة عشر كن يؤكذن أن
الضبيان السعد حقا منهن ، وهذا الانتقاد يشجع على الكسل والضمول .

والقد روي ان فتاة اعتادت ان تحصل على احد الرجال بسبب جبهه
وحين تمت نظرها الى انها حياة اجابت : (اوه ان المرأة شيء آخر) .

ان السبب العميق لهذا الشعور بالانهازية يمكن في ان المراهقة
لا تعتقد انها مسؤولة عن مستقبلها ، فلا تحبل نفسها اكثر من طاقتها ما
دام مصيرها معلقا بمصر شخص آخر ، انها لا تربط مصيرها بمصر
الرجل لانها تشعر بضعف تجاهه ، بل تقبل على العكس بفكرة ضعفها
تجاهه لان مصيرها مرتبط بمصيره .

يختلف رد فعل الفتاة المراهقة على وضعها الجديد ، من فتاة لاخرى ،
(المرأة الصغيرة) التي بعد نفسها لكي تكون اما ، لتسلم بسهولة ثامة
الى نتائج التحول الفجائي الذي طرأ عليها ومع ذلك فقد تكتسب هذه ،
من ظروف حياتها ، ميلا الى السلطة يدفعها الى الثورة ضد سيطرة
الذكور فترافعا مستعدة لتأسيس اسرة توضع للسيطرة الاموية لا لكي
تصبح وسيلة للتمتع الجسدية ، والقيام باعباء المنزل . وهذه الحالة
تصادفها لدى الفتيات البكر القراني تحلن اعباء ومسؤوليات هامة وهن
صغيرات وحين تكتشف (المسي المائل) في نفسها شخصية المرأة ، تنس
في بعض الحالات بغية امل شديدة يمكن ان تقومها مباشرة الى مزاوله
التساقط .

مقابل هذا الشعور بالنقص تكتشف المراهقة مدى سلطان وضعها
السلفي الذي تعيش فيه ، فتسزج بالخيال الذي يوحيه اليها جسدتها ،
عاشقة الزهو والاعجاب بنفسها . هذه اليد التي التارت اتصالها ، وهذه
النظرات التي اضطربت لها تنسها انها هي تدهاء ورجاء ، قيتراهي لها

جسدها وكأنه يستع بفضائل سحرية ، انه كثر ، انه سلاح ، وهي فقورة
 به . واذا بها تبدأ بالتبرج والتزين فتصنف شعرها ، وتدرس انسابها
 من خلال المرأة ، ثم تولع بجسدها وكأنه جسم انسان آخر فتداعيه
 وتقبل اجزائه وتمعن النظر في صدرها وساقها ، ونحن نراها تشد
 العزلة كي تنعم في التلذذ بفنائن جسدها ، وتبر عن ولعها بنفسها . وهي
 تحاول بواسطة بعض الحركات المملدة تسجيد جسدها من خلال الاطباء
 والمدبح اللذين تقاضاهن من الذكور ، ولقد اصبح من عادة القول الاشارة
 الي ان الفتاة تريد ان تكون جميلة كي تعطى باعجاب الرجال وانها
 تحاول ان تعطى بالاعجاب للتأكد من جمالها . وفي عزلة غرفتها او في
 اللتديبات حيث تسمى الفت الاطوار اليها لا تفصل الفتاة رغبتها في الرجل
 عن حبا لذاتها . ولقد روي ان فتاة كانت مولعة بنفسها منذ الخامسة
 من عمرها ، فكانت تعجب يديها ووجهها ورشاقها ، وكانت تقول :
 والتي بطة نفسي وكانت تطمح في ان تصبح مغنية لكي ينظر اليها
 الجمهور باعجاب . وقد وقعت في الحب منذ الثانية عشرة من عمرها
 فحلمت مثلا بأن الدوق (هد) الذي تحبه ، دون ان يكون قد تكلم معها
 مرة واحدة ، يركع تحت قدميها : «سيهرك جمالي وستحبنى ولا
 نلتق الا بالمرأة التي آمل ان اكولها» .

ولا يتجسد تدهيس الذات بعبادة الفتاة لجسدها ، وانما تنسى ان
 تمتلك وتשמع بنفسها من كافة الوجوه . وهذا هو هدف البيوميان
 الخاصة التي تفرغ فيها احاسيس وروحها العميقة السرية . وتتكلم الفتاة
 مع دفتر مذكراتها كما كانت تتكلم في الماضي مع صديقتها ، فهو الصديق
 وكان السر ، تخاطبه كما لو كانت توجه الكلام الي شخص حقيقي .

واقفا لنلمح من بين السلور بعض الحقائق الغنية المجهولة عن حياة الفتاة العاصفة ، وكثيرا ما تكتب الفتاة على خلاف دفتر يومياتها عبارات التالية : «قرأ بعد موتي» او «يحرق بعد موتي» . ويبدأ ميل الفتاة الى الغناء وكتمان امور حياتها العاصفة منذ السنوات القليلة التي تسبق سن البلوغ وتتعاطم هذا الميل شيئا فشيئا حتى تصل الفتاة الى درجة الانزواء التام عن كل ما حولها . فترفض ان تبوح لأحد بأسرارها ، وتعتزل العالم لتخيل نفسها واقعة شهيرة مثل (ناناشا) بطلة تولستوي او قديسة مثل (ماري لينرو) او تكتفي باختيار نفسها روضة من روائع الدهر . وهناك على الدوام اختلاف كبير بين هذه البطلة والصورة الحقيقية التي يعرفها بها أهلها واصدقائها وهذا ما يدفعها الى الانتقال بانها غير مفهومة فتريد من عزلتها ، وتخيل نفسها مختلفة عن الآخرين ، واعلى منزلة منهم وان المستقبل كليل بان يعرضها عن شغلها الوظيفي .

الا ان هذه العبادة الانزوائية التي تكتفها الفتاة لنفسها ، لا تفي بحاجاتها . ولا بد لها كي تشبع رغباتها من ان تعيش في نفس انسان آخر ، فتشيد العون لدى رفيقات صباها ، لان صدقة القلب تساعدنا على الهروب من جو الامومة التي تعيش فيه لتكتشف العالم الخارجي ، وخاصة عالم الجنس . وتتعري الفتيات امام بعضهن بعضا كما والدتهن سيئاته ويقارن بين محاسنها وخاصة صدورهن واملنا لا زال نذكر بشهد نساء (فتيات باليرة السكرية) الذي يكشف لنا عن العاب الفتيات العربية حيث تبادلن المعاميل الجنسية ، وكما اوضحت كولايت في كتابها (كولودين في المدرسة) . فان هنالك ميولا سحرية لدى غالبية الفتيات ، وهذه الاتجاهات لا تتميز الا ببعض الشرء من مظهر حب

النفس الرئيسية فهي تجد لدى الطرف الآخر نعمة جسديا نفسها ،
وتقاطع جسديا التي يرغب فيها الرجال . والمقابل تعبر الفتاة بواسطة
حياتها لنفسها عن عبادة وتقديس الانوثة بصورة عامة . ولا شك ان
هذا هو السبب في ازدهار عادة (المداقات الخاصة) بين الفتيات في
المعهد والمدارس والمعامل وتتصف بعض هذه المداقات بالروحية
الخالصة بينما يكون البعض الآخر منها جسديا بحتا . ويقتصر الامر في
الحالة الاولى على تبادل الاسرار بين الصديقتين وتقطع الفتاة صديقتها
على دفتر مذكراتها كدليل على منزلتها لديها . وكثيرا ما تلجأ الفتاة الى
تقديم دليل حسي عن حبها لصديقتها ، فنحن نرى مثلا في قصة توالستوي
ان نانسا تحرق ذراعها بواسطة مسطرة محجرة كالجمر لتثبت حياها
لسويا . وتطلق الفتاة بصورة خاصة على صديقتها شتى النعوت
والصفات الرقيقة الثيرة كما تبادل معها رسائل تطمح بالعواطف البيضاء .
وقد اورد (مندهوس) في كتابه (روح المرافعة) عددا من هذه الرسائل :
«عزيزتي سوزان : كم انت جميلة يا صديقتي ، كم انت جميلة ! وقد كنت
كالخطيبة الالهية السعرة تشبهن ازهار الوردان . ان منزلتك عندي
تتوق منزلة الفتاة العادية ، لانه كنت رمزا لعدد من الاشياء الجميلة
الرقيقة ... وهذا هو السبب يا سوزان البيضاء في اني احبك جدا صافيا
مجردا يتضمن نوعا من العاطفة الدينية » .

وتعترف فتاة اخرى في يومياتها فتحدثنا عن شعورها بالضعفالات اقل
رغبة وتجردا : «كنت هنالك تلفظ حول خصري هذه اليد البيضاء
الصغيرة بينما كانت يدي مسترخية على كتفها المدور وذراعي فوق
ذراعها العاري الدالي» . ملتصقة بنعومة ثديها وامامي لها المنتح

عن اسنانها الجميلة ... كتبت ارتعش واحس بأن وجهي يلتصق ...

وقد تبحث الفتاة عن مصدر آخر من مصادر اتباع عواطفها في طور المراهقة ، فيقع اختيارها في كثير من الأحيان على إحدى معلماتها التي تكبرها سناً ، والتي لها قسط من التجربة في الحياة ، وتصلح لكي تعوضها عن الرجل الذي تمجبه به ولكنها تغافه وتخشاه . وتفضل الفتاة ان تكون صديقتها الكبيرة عزباء ، لا علاقة لها بالرجال ، لانها تحرمس الا يكون موضوع حبها وتقديسها طامساً لزواج او عشيق . وتدور غالباً حوادث هذا الحب القريب في الخفاء ، او على الاقل بشكل عذري ، لكن الانتقال الى ممارسة العلاقات الجنسية العظيمة ، هو اسهل في هذه الحالة مما لو كانت العلاقة بين فتاة ورجل . ذلك ان جسم المرأة لا يبعث الوجل في قلب الفتاة الصغيرة لانها قد اعتادت عليه منذ سفرها بواسطة احتكاكها مع امها واخواتها ، كما ان الاضطراب الجنسي الذي تشهده المرأة لدى الفتاة الصغيرة لا يتميز بصورة عامة بالعنفه ولا تنتشرط المداعبات التساسخية عليلتي ازالة (البكارة) والاختراق كما هي الحالة في علاقات الرجل بالمرأة وهكذا فان الفتاة الصغيرة تتسبح عطشها للجنس دون ان تصاب بأية تحولات جديدة مزعجة او تشعر بأي تنازل من طرفها ، وهذا ما تعبر عنه هذه الايات الشعرية (الرواية فيليان) حيث تصف فيها علاقات (النساء اللواتي حلت عليهن اللعنة) مع عشيقتهن :

اجسامنا هي لاجسامكن مرآة الخوفة

فيلانا الهلالية تصف بالنعومة الضاحجة

اصابعنا لا تؤذي مطلقاً زغب الوجنتين

وفي وسعنا حين ينحل الزنار

ان نكون في نفس الوقت عشيقات وانجوات

والواقع هو ان الفتاة المراهقة ، توجه اول حب لها نحو المرأة ، لانها تحسى العنف والافتصاب ولا بد بالطبع ان تسفر كل علاقة بشرية عن وفروع الخلافات وكل حب عن حدوث بعض مظاهر العنف . وقد تتطور العلاقة بين الفتاة والمرأة فتصبح حبا ملتبها ولكن الفتاة بصورة عامة لا تطر الى علاقتها هذه كمرحلة انتقالية تتلقى خلالها مبادئ الحب الحسي وتلعب فيها ادوار الغيرة والغضب ، والكبرياء والفرح ، وكأنها تلك بذات ما تعلم بحدوثه في المستقبل خلال علاقتها مع الرجل الذي لم تسبح لها الفرصة في مخالطته ، والتي لم تول تنظر مجيئه .

يسبب الرجل لب الفتاة انجابا ، لكنه في الوقت ذاته يبحث فيها شعور الخوف والتوجس . ولكي نستطيع ان نوفق بين هذه المواضع المتناقضة ، تلجأ الى التفرقة بين شخصية الذكر الذي يغيبها وبين الصورة الوهمية المشعة التي تقدمها بورع وخشوع . ولذلك فان الفتاة تصرف في هذه المرحلة من حياتها بكل خشونة وفضاضة مع رفاقها الذكور ، وتعيد من بعيد عددا من الرجال الذين لا يمكن ان تقوم بينها وبينهم علاقة جنسية عملية . كسائل السبنا ، او بطل ميت او حي وفي بعض الاحيان يقع اختيارها على رجل يتبع بمنزلة فكرة او اجتماعية دون ان يوحى مظهر جسده في نفسها اي ميل جنسي ، كاستاذ مسن مضحك ، او رجل دميم الخلق ، متواضع المركز الاجتماعي الخ... فتحبه بشكل تشبع فيه غرائزها الرئيسية دون ان تضطر الى انشاء

علاقات جنسية معه . وقد أورد (إد فونتي) قصة فتاة جميلة مثيرة
لاعجاب الفتيان ، يمكنها بكل سهولة ان تقيم علاقات عاطفية مع الشبان
المحيطين بها ، لكنها مع ذلك فضلت منذ الثالثة عشرة من عمرها ان تحب
فتى عاديا عمره / ١٧ / عاما لم يوجه اليها بعبارة اية كلمة . فحصلت
الفتاة على صورته وسجلت عليها بنفسها الاهداء ، وطلت خلال ثلاث
سنوات تقص في مذكراتها تجاربها الخيالية معه : كانا يتبادلان القبل ،
وكثيرا ما تحدث بينهما علاقات خيالية ، فتتوهم بنتيجتها الممزوج من
عيني الفتاة الى درجة الاحمرار ثم يتسالمان ، ويهديان الزهور لبعضهما
الآخر وحين يغير حبيبها عنوانه تكتب اليه رسائل تحفظها في فراشها ثم
تجيب عليها بنفسها ولا شك ان هذه القصة تعبر بوضوح عن رغبة
الفتاة في نحاش التجارب الجنسية الحقيقية الواقعية التي كانت تخيلها
وترهبها .

تعثر الفتاة بلفت اعتمام الذكور واتارة اعجابهم وقد تنور لآثرها
اذا الجذبت نحوهم واعجبت بهم . لقد تعلمت الحياة والخجل في سن
البلوغ وسيظل الحياة خلال حياتها متزوجا بحب اتارة الاعجاب والزهو
بنفسها ، فتطرات الشباب تسبح رغبتها وتخرج شعورها بنفس الوقت .
ولا تود ان تقع العين على جسمها الا بالقدر الذي تود اظهاره ، ومن هنا
تنشأ هذه التناقضات في تصرفات الفتاة التي تحب الرجال ، فهي تبالغ
في فتحة ثوبها العليا وتتمدد ابراز ساقها لكنها لا تلبث ان تحمر خجلا
وتشور غضبا حين تقع عليها عيون الرجال . وانما لتظهر وتتفنن في اتارة
رغبة الرجل لكنها لا تلبث ان تتراجع باشمزاز حين تشعر بذلك ، ان
رغبة الذكر تجاعها هي لعانة والحجاب لها في نفس الوقت ، وهذا هو

معنى الحياة الاصيلي الذي يتداخل بشكل محير مع مختلف وسائل
التبرج وشنى وسائل التفتن في اثاره الاعجاب .

تستطيع الفتاة ان تقوم بحركات وتصرفات مثيرة مدعومة حين لا
تسعر بان مبادواتها تكشف عن سلبيتها وضعفها ولكن حين تسمر بذلك
زاعما تخافه وتكتمش على نفسها . انها ربما في التخلي عن لوانها لكنها
لا تثبت ان تصلب وتقتل الرغبات وقد تسمر احياها بالشهوة الجنسية من
خلال جسمها الذي لم يبلغ بعد مرحلة التوازن والانهاء لثمة رقيقة مسرة ،
واحيانا اخرى كأنها تنزع مزيج مكرب . وقد تثير القبلة افعالها في البدء
ثم لا تثبت ان تصحكها فجأة ، وانها لترضى منح الرجل قبلة لكنها لا
تردد في ان تسبح فيها بالشمزوز بعد ذلك . وكثيرا ما تبدو مبتسة
رقيقة عذبة ثم تتحول فجأة فتصبح متعكة عدائية وهي تبذل في كل
مناسبة الوجود بدون حساب ثم تنسى الوفاء بها بكل بساطة . لم تعد
الفتاة تقبل في هذا الطور من حياتها ان تكون طفلة ، لكنها ترفض بنفس
الوقت ان تصبح رائدة ناشجة فهي تنغم نارة على تصرفاتها الصيانية
وتثور نارة اخرى لاستسلامها كالمراة : انها في وضع يسطرها الى اتخاذ
موقفه الرفض المستمر .

هذه هي الميزة الرئيسية للفتاة في هذه المرحلة من حياتها . وهي
تطينا صبورا كاملا لتصرفاتها وسلوكها في المجتمع . انها لا تقبل المصير
الذي يعمده لها المجتمع والطبيعة ، ولكنها لا ترفضه مع ذلك بصورة
ايجابية لانها مزعجة الثقة في قرارة نفسها بشكل لا يجرا على التسول
في صراع مع العالم الخارجي فتكتفي بالهروب من الواقع او الاحتجاج
عليه ومعارضته بصورة رمزية . ان كل رغبة تنسى بها ، تزودج بشعور

طافح بالقلق والتردد ، فهي تلهف على الاندفاع في حياتها الجديدة لكنها تخشى في المقابل ان تقطع صلاتها مع ماضيها ، وهي تسيئ ان تحصل على فارس احلامها لكنها تخاف ان تصبح قريسة . وراء كل شعور بالحنوف تكمن الرغبة في الهالك عليه ، فالانتصاب يثير هلعها الشديد لكنها تمنى الى الاستسلام .

وتشكل الرغبة في الهوى والسخرية مطهرا من مظالم معارضة الفتاة المرافقة لعائلتها وكثيرا ما ترى فتيات المدارس يشجون مقهقهات ضاحكات حين يسمعن القصص العاطفية او حين يتحدثن عن مغازلات الرجال لهن ، او حين يلصحن عاشقين في حالة العناق . واقد اتبحت لي الفرصة في التعرف الى بعض السيدات الغوالي فصدتني عن عهد حديقة اللوكسبورغ وبنجولان في سر العشاق للضحك لا اقل ولا اكثر ، كما ان البعض الآخر يدفعن الى الحمايات التركية لتتاح لهن فرصة الضحك والتهكم على السيدات ذوات البطون الفخمة الثقيلة . ولا شك ان هذا الميل الى التشهير اجسام النساء والتهكم على الرجال والضحك والهوى من الحب ، ما هي الا وسيلة من وسائل انكار الحياة الجنسية والظن بما كما تهدف من وراء هذا الضحك والمرح الى التقلب على ضيق المرأة واندفاع عواطفها ، فهي تلعب بالصورة وبالكلمات لتبديد عن ذهنها الالهواء وسحره الخطير .

ويلاحظ غالبا لدى الفتاة في هذا الطور من حياتها بعض الالهواء الفذائية الغريبة : فهي تأكل رصاص الاقلام ورؤوس القطع الخشبية وبعض الحيوانات البحرية الحية وتبتلع عشرات حبات الاسبرين وقد تبتلع الذهب والعنكبوت . واقد تعرفت الى احدى الفتيات التي كانت

سهلحة في تحضير مزيج كريمة من القهوة والنيذ الأبيض ثم تفسر نفسها على ابتلاعه وفي احيان اخرى كانت تلجأ الى تناول قطع السكر بعد نطسها في الخل ... وتلجأ الفتاة في بعض الحالات الى اسابة فخفها بعروج بواسطة مومس الحلاقة والى حرق جسها بواسطة لفاقة تبغ مشتعلة الخ...

تعد هذه الحالات السادية استيقا للتجربة الجنسية وتسرنا عليها فهي تفكر بأن تحمل هذا العذاب يضاعفه مقاومة الجسم ضد كل طاريء في المستقبل بما في ذلك ما يحدث في ليلة الزواج ، انها تعلم بانها معدة لتكون فرسة مسلوبة الارادة ولذلك فهي تطالب بالحرة حتى في حقها في تحمل الامم والشعور بالانسئاز . وهي حين تفرض على نفسها الام الرضوض والحروق والعروج ، تحتج بذلك ضد عملية الاحتراق التي سترمل بكلماتها . وقد تبلغ ثورة الفتاة ضد وضعها السلسي حدا يدفعها الى ارتكاب اعمال خطيرة جدا . فعدد كبير من الفتيات العذارى مصابات بمرض السرقه ، ويمثل هذا المرض ميل الفتاة المراهقة الى مخالفة القوانين والاعتداء على كل ما يقدهم الناس . انها حين تأخذ اشياء لا حق لها بما تؤكد بكل وقاحة استقلالها وتفرض شخصيتها تجاه الانبياء السرقه والمجتمع الذي يحرم السرقه كما انها ترفض بسملها هذا الخضوع للنظام السائد .

يحدث كذلك كثيرا ان تهرب الفتاة بعيدا عن منزل ابويها فتضيق ثلاثة ايام او اكثر ثم تعود من تلقاء نفسها وهذا العمل لا يعبر عن رغبتها في قطع العلاقات نهائيا مع اهلها وانما هو تمثيلية يظن لها ان تمثلها لتثبت شخصيتها المستقلة تجاه ذويها . وقد يصاحب هذا الهروب

مضاعفات خطيرة فتتحيل الفتاة نفسها نحابة وتلب هذا الدور فتسبرج وتزين بشكل يفت النظر وتطل من النافذة موجهة نظرات الانغراء الى المارة ، كما تترك في بعض الحالات البيت وتقوم بتشيل الدور عليها . ان هذا السلوك يعبر في الغالب عن استنزاف الفتاة من الاحساس الجنسي وشعورها بالانتم بسبب ما تنس به فتقول لنفسها : ما كنت افكر بهذه الامور واحس بهذه الرغبات فان الغاية لا تقل منزلة عنى لاني مثلها غاية .

وفي بعض الاحيان تشعر برغبة شديدة في الاعناق من هذه الوضعية التي تعيش فيها ، فتسعى الى التحرر قائلة لنفسها : لنته من هذه الامور ، ولنذهب الى اقص حد ممكن ، انها تريد ان تثبت لنفسها ان الحياة الجنسية ليس لها اية اهمية لديها ، فتعرض نفسها لاول رجل تصادفه في طريقها .

الا ان الفتاة لا تقتصر على المعارضة السلبية لعائلتها المفروضة عليها فحسب بل تسعى في نفس الوقت الى تعويض ما ينقصها في الحياة ، وسد الفراغ الحاصل في حياتها الجديدة ، فتلجأ الى التشيل والخداع والتلاعب ، ولعل هذا هو السبب في اتهامها بالمرادة والكذب واختلاق الحكايات والقصص . والواقع ان المجتمع هو الذي يفرض عليها التكم والتشيل والكذب .

حين تبلغ المرأة السادسة عشرة من عمرها تكون قد اجتازت وطأت محنا عديدة مؤلمة : البلوغ - الدورة الشهرية - تبه الحس الجنسي . اولى الاضطرابات الجنسية - الحس الاولي - المخاوف - الاستنزاف -

التجارب البشعة وكل ذلك اضطرت الى كتابته في قلبها فتمثلت ان تحفظ باسرارها لنفسها بكل غاية . ولا شك ان مجرد اضطرابها الى اخفاء مناقيلها الصحية والتكتم حول مواعيد دورتها الشهرية يدفعها الى الكفب والسبيل . يقص طينا (بورن) ان نيات امريكا اللواتي كن يمشن حوالي عام ١٩٠٠ كن يتسمن المرض فيتلعن مزيجا من الملح والبيون لايقاف دورهن الشهرية رغبة منهن في الذهاب الى الحفلات الراقصة . لان الفتاة تعاف من ان يشعر الشبان بحالتها من خلال الهالة الزرقاء اللعينة بعينها العتيق ومن الرائحة التي قد تنتشر في بعض الاحيان . انه لمن الصعب في الواقع ان تلعب الفتاة دور المعبودة والجنية والاميرة العالمة حين تحس بوجود قفلة من القساوي الدامية ما بين فخذها . ان التبرج والتزين وتجاهيد الشعر المزينة وحوامل التمجين المتلوخة بشكل مبالغ فيه هي عبارة عن الآداب ، حتى ان الوجه نفسه يظهر وكأنه قناع ، تترى نماير الفتاة تتغير من موقف الى آخر بشكل يدعو حقا الى الامتعاب فتتحول نظراتها فجأة من التحديق والتركيز الى الاسترخاء والظهور بمظهر الفتاة الشطرة التي اعلامها المستسلمة لصبرها المحترم وإسماة عذبة تدور على شفيتها : انها تنتظر وجميع حركاتها وسكناتها وإتساماتها تعبر عن الدعوة والنداء ، انها لم تعد سوى زهرة معروضة او ثمرة خان قطانها .

والرجل لا يفتأ يشجها على ضروب الانواء والانفراء لانه يجب ان يكون قريبة لها ولو ابدى بعد ذلك استياءه وانهم المرأة باصطناع وتشل هذه الطرق الملتوية . ان المرأة حين ترى بان جميع الطرق مسدودة في وجهها وانها لا تستطيع ان تفعل وانما يجب عليها ان تكون :

تشره وكان لنة تجثم على صدرها . انها تعلم بعدم وجود اية مسؤولية على عاتقها وان لا أهمية لها في عالم الرجال الذي تعيش فيه : وما دامت لا تستطيع ان تقوم بأي عمل جدي فانها تنظر الى حيك القصص والاقاويل فتتهك نفسها كالطفل الصغير يشاهد الغضب والتورق والدموع وتصنع المرض ، وتظهر الاضطرابات الهستيرية لتثقت الاضطرار اليها وتثبت انها شخص له قيمته في الحياة . ثم هي تتدخل في مصير الآخرين لان كل سلاح جيد بالنسبة اليها ، فتفشي الاسرار وتخترع الاقاصيص وتغنون وتغتاب ، انها بحاجة لخلق جو انماسة فيما حولها لتشر بانها تعيش ما دامت لا تستطيع ان تستمد العون من حياتها الداخلية . وقد تطرف فتسبك بكل شيء بعباد واسرار دون اية مهادة او مساومة ، فتولع بما هو نهائي ومطلق لانها ما دامت لا تستطيع ان تتصرف في مستقبلها فهي تشد التوصل الى ما هو مطلق وخالد . وان اتنازل مطلقا ، واريد ان احصل دائما على كل شيء ، هذا ما كتبه (ماري ليفر) . ان هذه الامبريالية المسيانية لا يمكن ان تصادف سوى لدى الشخص الذي يعلم بمصيره لان العلم يبدد الزمن ويحطم العقبات وهو بحاجة الى التضخيم والمبالغة لتعويض واقعيته للتمتعة . ان الناقة تود لو تحصل على كل شيء ، بسب عدم وجود اي شيء يربط بها وبتمها ، ومن هذه الطبيعة تستمد الناقة اتجاه الراسدين والرجال بصورة خاصة صفة (الولد الشيطان) . انها لا تقبل اي تحديد يُعرضه عليها شخص آخر ضد دخولها الى عالم الواقع بل هي تتحداه وتدفعه الى تجاوز تلك الحدود ، وهكذا فان هيلن تشر من سولنس ان يعطيها ملكة (من كتاب سولنس البناء لابسن) . ان فرد هذه الملكة لا يقع على عاتقها ولذلك فهي

تردعها سطوة بدون حدود والظلم منه بأن يشيد لها أكبر وأعلى قلعة في الوجود وإن يصعد إلى القمة : أنه يتردد في التسلسل خوفاً من الانهيار أما هي التي ستبقى على سطح الأرض تنظر إليه وهو يسلك قائماً ترفض هذا الضمف البشري منه ولا تقبل مطلقاً أن تصنع العظيمة حدوداً لأحلام العظيمة التي تشعر بها .

يشين لنا ما تقدم أن جميع الساويء والعيوب التي لمتصق بالمراعاة ليست سوى تعبير صادق عن وضعها الاجتماعي وأنه لوضع مؤلم أن تشعر الفتاة بسببها وتبعيتها في سن الأمل والطموح ، في السن التي تفتح خلالها إرادة الحياة لدى الإنسان ليبنى لنفسه مكاناً على سطح الأرض . ففي هذه الفترة الحافلة من العمر تتعلم بأن الانتصار محرم عليها وأنه يجب عليها أن تتخلي عن شخصيتها المستقلة ، وأن مستقبلها يتوقف على إرادة ومشيئة الرجال .

ألا أنه يحدث في بعض الأحيان أن هذه الفتاة التي تهرب من خلال الطرق الملتوية من واقعها المؤلم ، تتسجم مع واقعها في النهاية وتظهر صفات خاصة تجعلها تبرز إلى المجتمع بوجه وشخصية جديدين لحياتها المكتسبة المقلقة للبيئة بالمتناقضات والتعقيدات لغذى تفكيرها وتوسع وتطور حياتها الداخلية تطوراً أكثر عمقا من حياة اغوتها وتصبح أكثر تحسناً لحركات قلبها وتتعمق الأمور النفسية أكثر من الذكور المنفتحين نحو تحقيق الأهداف الخارجية وقد نستطيع أن نعطي لهذه الثورات التي تصارع بها العالم شكلاً عميقاً مهيناً فهي تتحاشى فطاح الحب والتفرد بالتقاليد وحين تشعر يوماً بعد يوم بفسوس شروط حياتها تدفعها شجاعته إلى إعادة النظر في التنازل السائد حولها وإقيم الجائدة

والاخلاق اللينة بالفن والرياء .

تصرف الفتاة حين لا يقدر لها ان تصادف الحب ، الى التسرع بسطاحر
الفن والشعر وبسبب كونها متأثرة لا مؤثرة تقضي الفتاة اوقاتها في التأمل
والتحسس والتسجيل ، وتجد الالوان والاشعارات لديها امضاء عتيقة .
ذلك ان مستقبلها ومصيرها متقوضان خارج حياتها الداخلية ، في اللدن
المشادة وعلى وجوه الرجال المختلفين . انها تنفوق بشكل اشد عقا
وعاطفية من الرجل لانها تلب موقفه المتخرج من العالم المحيط بها ،
فعمدا عمن ان تهتم بتأثيرها على الاشياء تصرف الى سير لغورها
واكتشاف معانيها ، ومن النادر ان تشعر في قرارة نفسها بنفحة خلاقة
لذ نفسها غالباً الوسائل التي تسجح لها بالتعبير عن نفسها لكنها تظهر في
محادثةها ورسائلها ومحاولاتها الادبية ، حساسية فادرة لا مثيل لها .
تهافت الفتاة الشاب يحساس نحو الاشياء لانها لم تحرم بعد من جميع
عناصر تفوقها ، وما يريد في انفعالها ان القيود الاجتماعية لا تسجح لها
في ان تجر او تبشكر شيئا دائما يشهد بقوة ابدانها وهذا ما يدفعها الى
الشعور بحب غريب تجاه الطبيعة فتقدسها اكثر من الفن المراهق .

ان الطبيعة المتردة المجردة عن الانسانية للخص بكل وضوح كل
ما هو كائن ، والمراعاة التي لم تقطع بعد اي جزء من العالم المحيط بها ،
تسحر بفضل هذا الفراغ في حياتها بان العالم كله هو ملكتها ، وهي حين
تمتلكه تسمر بالكبرياء وكأنها تمتلك نفسها . وقد وصفت لنا كويت
في عدد من كتبها هذه الانجاعات لدى الفتاة المراهقة :

لا كنت منذ ذلك الوقت لعب العجر الذي منحني لمي اياه ، حيا

جنونا فقد استطعت ان احصل منها على موافقتها في ان استيقظ في الساعة الثالثة والنصف من كل صباح فاذهب ويدي سلة خالية نحو الاراضي المزروعة القريبة من النهر ، نحو اشجار التاكهة المتنوعة .
وفي الساعة الثالثة والنصف والكون نائم تحت زرقة السماء الصافية ووسط الجو الرطب البارد ، كنت اتحدر في الطريق الرملية وطبقات الغيابة لغمر سائي ثم لا تلبث ان تصعد شيئا فشيئا نحو سفري السنتليء لكي تبلغ بعد ذلك شفتي واقفي ثم تلمس اقصي وتغمر جميع اجزاء جسدي ...

على هذه الطريق وفي هذه الساعة كنت اشعر واقدر قيمتي واقضي كائنات بشري وكنت اعيش لحظة من لحظات عمري السعيدة فاشعر بالفرح بضمري من كل جانب لاني كنت حرة طليقة كالتبيعة نفسها .
تطرح مختلفه التصوص الادبية بوصف وتحليل شعور الفسافة المراهقة تجاه العقول والعايات والواقع هو ان تראה الام والقوانين والمبادئ والتقاليد تسود في المنزل الابوي والفتاة لا تشد سوى التخلص من هذا الجو الذي تشعركه وكأنه يضغط على انفاسها ويحرمها من حريتها فهي تريد ان تصبح شخصا يتمتع بالسعادة ، لكن قيود المجتمع لا تتيح لها ان تدخل عالم الراشدين الا يتحولها الى امرأة تابعة لغيرها . ولذلك فهي تدفع بتأزها لمن حريتها . لكنها تشعرك في عالم النباتات والحيوانات بأنها انسان بشري كامل متحرر من قيود الاسرة ومن روابط التبعية نحو الذكور ، يتمتع بالسيادة والحرية . انها لتجد في مجاهل القبايل صورة حية لعزلة نفسها وفي الاقن الواسع المتد حول السهول شكلا محسوسا لسورها وتوقها ، انها هي هي نفسها في هذه

الأرض اللامتناهية هذه القسم المتسبية نحو السماء وهذه الطرق الدفاعية التي المستقبل المجهول . ومن قبة العنفة تستطيع الفتاة ان تعرف على نزوات الأرض المتناثرة تحت قدمها المروضة لها من خلال ليلس الحياة التبعث عن المياه الجارية ومن خلال تسوج الانوار المرتمسة . . . انها لتتسر بالسعادة تفرها والدموع تسيل من مآقيها وهذه كانت لا تزال نجماها حتى الآن . فالروائح والالوان تتكلم لغة غامضة تبين الفتاة مع ذلك منها كلمة واضحة وطرح الشمس : « الحياة » .

لم يعد الجسم في قلب هذه الطبيعة الرائعة عينا مضجلا ، بل انها تتبين في هذه الرغبات الجامحة التي كانت تكيثها تحت انظارها ، التسع الذي يصعد في جذوع الأشجار ، كلا انها لم تعد ملموسة لانها تشعر بقرابتها لأوراق الأشجار وزهارها انها بنفس الوقت الروعة والجمال ، والروح والحياة ، وجودها حتي منتشر ، كحسية وجود الأرض نفسها . ومن خلال حالة العبودية التي تعيش فيها ، من اصنام عزاتها المريعة تستطيع الفتاة ان تلعب دورا هاما في الحياة يفوق بكثير الدور الذي تلعبه الطبيعة الذكور . فتراعا لرحمي الشعراء وتصنع البطولات ذلك ان احدي الوسائل التي تنتهجها الفتاة لتعويض مثرتها الضئيلة في المجتمع هي تجاوز آفاقه المحدودة .

يتضح لنا من هذه المسحة التي اتينا على ذكرها حول أزمة الفتاة في سن البلوغ انها تمر في مراحل عصيبة من حياتها . لكن هذه الحالات العصيبة المختلفة وردود الفعل الغريبة لا تطبق على جميع الفتيات بوجه عام فهناك نساء يقين اطفالا طيلة حياتهن ، كما قد يستغرق السلوك الذي شرحناه مدة طويلة يصاحب الفتاة مع تقدمها في العمر . ومع ذلك

هنالك فرق كبير بين الفتاة المرافقة العاطفية التي يبلغ عمرها ١٥ سنة وبين الفتاة الشابة الكبيرة، فهذه الأخيرة تسجم أكثر من الأولى مع الواقع ولا تتصرف بشكل خيالي غير واقعي ولا تشعر بالانقسام في داخل نفسها . وقد كتبت «ماري بانكروسييف» حين بلغت ١٨ سنة من عمرها تقول : «كلما تقدمت نحو شيخوخة شبابي زاد عدم اعتمالي وعمري عدم الاكتراث . لم يعد هنالك شيء يخفق له قلبي وقد كان يخفق لكل شيء» .

وكتب (إيرين ريلبون) تقول : «لكي نكون مقبولات من الرجال يجب ان نفكر كما يفكرون والا فان لصيبتنا يكون العزلة المؤلمة . والا الآن بعد ان لاقيت ما لاقيت احب ان اعيش في قلب اللجج لا على هامشه وان اعياد دون ان اضطر الى الانتظار واعلم بالحب المنتظر» . وكتبت كذلك فيما بعد : «من كثرة ما لاقيت من آيات الغزل والاعجاب والاطراء الخ... أصبحت طموحة بشكل مغيّب ولم اعد اشعر بالسعادة الرائعة المنعلة التي كنت احس بها في الخامسة عشرة من عمري بل انها أصبحت نوعاً من الشالة الباردة الجامدة اثر بواسطتها من الحياة واصعد في معارجها . اني اغازل والحب حتى الحب ، لكني لا اقع فريسته ... ومع مرور الزمن اكتسبت ذكاء أكثر فأكثر وتعلّيت بيرودة الاعصاب وهدوء البال . اني اتسع قلبي ، وفي فترة شهرين فقط ارتكبت طغواتي الى غير رجعة» .

لا بد وان تنتهي الفتاة الى قبول ارتها وفي اكثر الاحيان تنسج بالسعادة لانها تتم مجاناً ودون مقابل بالذائذ والاتصارات في الهوا وغزلها واعبائها قبل ان تستقر نهائياً في ثيابا مصيرها المحتوم وهذا ما تصفه

(ث - واحة) عن احاسات فتاة لعوب متبرجة خلال إحدى حفلات
السهرة .

«كنت اشعر وكأنني ألعب في الظلام ، وسأقاي المساوان يحتكان
بعضهما البعض بصورة ينما كانت احجار عقدي الباردة تداعب عيني .
التي مستعدة ... وشعري يتسبح بالسحر المشهود ، وشفاتي قانيتان كما
يجب . التي مستعدة للافهام الى هذه الجملعات من الرجال والنساء
التي تصعد السلم : مررت امامهم معرضة نفسي لانظارهم كما تعرضوا
هم انفسهم لانظاري ... وفي هذا الجو المعطر المتلالي ، كنت التفتح كما
تفتح الزهرة من خلال انصاف الاشجار ... وكنت اشعر اني املك
امكانيات لا حدود لها في نفسي ، فقد كنت اتبدل في كل لحظة من فتاة
لعوب الى اخرى شاحكة ، ومن وضع الانفراء الى وضع التامل الحزين ،
منتمية نحو اليمين وعمودي للعب تحت الابرار ... قلت لهذا الفتى
الشباب «اذن مني ... فدا ، واتجه نحوى . انها من ازوج لحفلات
حياتي والشفها الآارة . كنت اراعتى واتسوج . الا تبدوا رائعين ونحن
قائمان سوية تسامر ؟ انا بنووي الجميل من السكان وهو يذنه الرائعة
بالولوين الاسود والايضى ؟ ان وحيقتاني يستطعن الآن ان يحلقن وينظرن
نحوى ، والرجال كذلك ان يفتلوا .. لاني استطع ان ارد للجميع
نظرائهم فانا منهم وفيهم لاني دخلت عالمي العجيب من باب الفسوح الذي
لا يزال يفتتح بدون توقف . واريدا تبدلت حياتي تبدا جلوبيا في المرة
القادمة التي سينتجح فيها ... نعم ان الباب يفتتح على مصراعيه .
«اوه .. اذن مني» قلت لهذا الفتى الشاب وانا انحي نحوه كزهرة
مذعبة كبيرة . «اذن ا» قلت له ، واذا به يتجه نحوى ...»

كلما تقدمت الفتاة في العمر ، زادت وجاهة سلطة الام عليها . فاذا كانت تقوم في البيت بالاعياء المنزلية ، فانها تتضيق بسبب قيامها بدور المعاونة لامها وتود لو كان لها بيت خاص واولاد تشرف على تربيتهم . اما اذا كانت تعمل خارج البيت فانها تستاء من معاملة اهلهما لها كعضو من اعضاء العائلة العاديين وتود لو عملت كغيره له شخصيته المستقلة . وتطور الفتاة مع مرور الزمن فتصبح اقل ورومانتيكية من قبل . وتصرف الى التفكير بالزوج اكثر من التفكير بالحرب ، ويصبح اقصى ما تتناهى ان تحصل في هذا العالم على وضعية ثابتة فتزوج وتعيش حياة السناء .

وهذا ما كان يخالف ذهن (بروسارن) في كتاب (سارن) ناري وبب :
«كنت افكر بانني اذا لم تزوج ، فان مصيري مؤلم بدون اي شك ، فجميع الفتيات يتزوجن . ان الفتاة تمتلك بيتا خاصا لها حين تتزوج ، وقد تحصل على مصباح تزيه في المساء ساعة عودة رجلها من عمله ، اما اذا لم يكن لديها سوى الشمعات ، فهذا سيان ، لانها تستطيع وضعها قرب النافذة ، وحينئذ يقول الرجل : «ان امرأتي في البيت لان الشمعات مضاءة» . ثم يأتي يوم لك فيه الزوجة طفلا جميلا ، فترسل الدعوات لحضور حفلة التعميد ، ويهرع الجيران اليها ملتئين حولها كما يلتفت النحل حول ملكتهم . كنت لقول نفسي حين تسوء الامور بالنسبة لي : «لا بأس يا (بروسارن) ا سيأتي يوم تصيحين فيه ملكة تسمن خليك الخاصة» .

ان الحصول على زوج يصبح بالنسبة لجميع الفتيات من مختلف

التزامات امرأ حيوة دائما . وتتحول هذه القضية الى مشروع مستعجل خطير ، وتتلد (صديقة القلب) مكائتها المتأخرة ، لال الفتاة ترى في رفيقاتها منافسات لها في نضالها للحصول على الزوج ، الامر الذي يجعلها ضيقة الاذن ، للجا الى المشاورات وتظهر بمظهر العشوة والانابة . واذا ما تأخر امير اعلانها عن الظهور ، تصبح الفتاة غريبة الطباع ، منعزلة عن العالم متعجرفة مليئة بالحسد لقرينتها .

لا شك ان طباع وسلوك الفتاة الشابا تعبر عن وضعيتها الاجتماعية ؛ فاذا تغير هذا الوضع يتغير وجه الفتاة المراقبة واسيح يبدو لنا مختلفا تمام الاختلاف . وقد اسيح في وسع الفتاة في يومنا هذا ان تمسك مستقبلها بين يديها ، عوضا عن تركه للرجل يتصرف به كما يشاء . فاذا اتيح لها ممارسة الرياضة ، او الانصراف الى الدراسة ، او التسوق على مهنة من المهن ، او مزاولا بعض النشاط السياسي والاجتماعي ، فانها تتحرر من التفكير في الرجل ولا تشغل نفسها الا قليلا جدا بالمشاكل العاشقية والجنسية . ومع ذلك فانها تصادف صعوبات تتوق ما يلاقه الرجل الشاب ، وذلك في محاولتها التي تقوم بها لتعرض نفسها وارادتها على المجتمع كمرء مستقل . لقد قلت بان الأسرة والعادات الاجتماعية لا تسجع الفتاة على بذل جهودها في سبيل الوصول الى حريتها ، واضيف الى ذلك بأنه حتى ولو اختارت الاستقلال في حياتها فلا بد ان تترك فيها مكانا للرجل والحب ، وسينتابها الخوف في الغالب اذا كرست نفسها لعمل من الاعمال ، من ان تفضل في حياتها كامرأة ، وهذا الشعور موجود في قرارة نفسها على الدوام ، يضع الحدود امام ناضها في الحصول على الاستقلال . ان المرأة العاملة تعرض على التوفيق بين عملها وبين حياتها

كامرأة ، وهذا لا يتطلب منها ان تكرس وقتا كبيرا لزيارتها وتبرجها وانما يؤدي الى تجرئة مصالحتها الحيوية الى شطرين • فالطالب يشغل وقته على هامش برنامج الدراسة بشئ التسليات الفكرية التي يمكن ان تؤدي الى نتائج مدهشة ، لكن اعلام الفتاة توجه اتجاهها آخرافلتفكر وزيارتها وجمالها وبالرجل وبالحب ولا تكرس سوى الحد الأدنى من وقتها لدراستها ومستقبلها • وان السبب في ذلك لا يعود الى ضعف في تكوينها العقلي او الى عدم امكانيتها في تركيز ذهنها ، لكنه ينحصر فقط في كونها مضطرة على الدوام الى تجرئة مصالحتها واعدادها ، التي تتوافق بصعوبة بالغة فيما بينها •

كثيرا ما تعتري الناس الدهشة امام السهولة التي تتغلب فيها الفتاة عن الموسيقى والدراسة والمهنة ، اذا وجدت زوجا مناسبيا لها : الامر الذي يدل على انها لا تعلق اية أهمية على هذه المجالات الفكرية فلا تشعر بأية خسارة في حالة تغلبها عنها •

والى ان تتحقق المساواة الاقتصادية التامة بين الرجل والمرأة ، والى ان يكف المجتمع عن النظر اليها كمتعة او غرض في خدمة الرجال اسباب المجتمع ، الى ان تتحقق هذه الامور فان حلم النجاح السليبي في كنف الرجل سيظل هدفاها الاول في الحياة ، وسيهد على الدوام • ونجاحها الشخصي في الحياة العملية •

حين تبدأ الفتاة حياتها كراشدة لا تكون قد تعلمت كل ما يجب ان تعلمه في الحياة ، وانما يلزمها ان تتلقى بشكل تدريجي او فجائي تدريبا على الحياة الجنسية •• هنالك فتيات يرفضن بشدة التعرّب على الحياة

الجنسية اذا وقعت لهم حوادث مؤلمة في طفولتهم او كانت تربيتهم السيئة تهدف الى بث الكراهية في نفوسهم نحو عالم الجنس ، كما يحدث كذلك ان تضطر بعض الفتيات بسبب ظروفهن الاجتماعية الخاصة الى البقاء عذارى طيلة حياتهن .

لكن الغناه تصادف على الغالب في مرحلة من مراحل عمرها التجربة الجنسية ومع ان الطريقة التي تواجهها بها ترتبط ارتباطا وثيقا بانضباطها ، فانها نجد فيها تجربة من نوع جديد ، تعرض لها في ظروف غير متوقعة وتؤثر بها تأثيرا شديدا .

هذه هي المرحلة التي يجب علينا الآن معالجتها .

الفصل الثالث

التدريب الجنسي



يبدأ التدريب الجنسي لدى المرأة ، كما هي الحال لدى الرجل ، منذ أيام الطفولة الأولى . لكن التجارب الجنسية للفتاة الثمالة ليست امتدادا لنشاطها الجنسي السابق ، وإنما تكون في أغلب الأحيان عفيفة وغير متوقعة وتشكل بالنسبة لها حادثة جديدة لا تمت بأية صلة للماضي . ومن المعروف ان المشاكل الجنسية تعرض لها جميعها دفعة واحدة خلال فترة التدريب وتتخذ شكلا حادا ومستجلا . فاما ان تنتهي الازمة بسلام فلا تترك اي اثر في حياة المرأة ، او ان تتطور تطورا خطيرا في بعض الحالات فتؤدي بالفتاة الى الاتجار والجنون . ومهما يكن الامر فان مستقبل ومسير الفتاة معلق على الطريقة التي تستقبل بها الحياة الجنسية ، وقد اجتمع علماء النفس على الاهمية الكبرى لفترة التدريب الجنسي في حياة المرأة، هذه الفترة التي تترك جذورا عميقة في جميع مراحل حياتها المقبلة .

هناك اختلاف كبير بين الرجل والمرأة نجاء الحياة والعمل الجنسيين . فالرجل يجد في العملية الجنسية تأكيداً لشخصيته وامتدادا لتفوقه ، لانه يلعب الدور الرئيسي بينما تقتضي المرأة بالقيام بدور العريسة التي تتلقى المبادرات الجنسية للرجل بكل استسلام وخطوع .

والواقع ان الحياة الجنسية للمرأة هي اكثر تنبها لالها تعكس وضعيتها الاجتماعية ، وهي تتميز بتعارض عضوين من اعضاءها التناسلية : البظر والمهبل . ففي مرحلة الطفولة يكون الاول مركز الاحساس الجنسي التسوي بينما يستمر النظام البظري على حاله بعد فترة البلوغ ، دون ان يلعب اي دور في عملية الجماع الطبيعية لو في نظام التوالد . ويكتسب المهبل الاهمية الاولى بعد سن البلوغ لانه واسطة اختراق جسمها من قبل عضو الرجل ، ولانه وسيلة الخصاب والتوالد ، لكنه لا يتحول الى مركز جنسي حساس الا بتدخل الذكر .

جرت العادة على انه يعنى للرجل ان (يأخذ) المرأة في اي وقت شاء ، لكنها لا تستطيع ان تفعل مثله الا اذا كان عضوه في حالة الانتصاب . وما دامت المرأة متعة وغرضا للرجل فان عطاياها لا تغير شيئا مذكورا من دورها الطبيعي وهو السلبية ، لدرجة ان عددا من الرجال لا يأبهون فيها اذا كانت المرأة التي تشاركونهم سرورهم ترغب في الجماع او انها تستسلم اليه تلبية لرغبتهم . كما يمكن للمرأة ان تعصب وتنجب الاولاد ولو انها لم تشعر بآية لفحة . ولا يشكل الحمل بالنسبة لها نهاية الدورة الجنسية ، وانما بدايتها ، وهي تحقق تمامها بكل بطنه والم في الولادة والرضاع .

وهكذا فان الجو الذي تستيقظ فيه انفعالات المرأة الجنسية يختلف تمام الاختلاف عن الجو الذي يصادف النش . ووردود فعل المرأة الجنسية شديدة التقيد حين تواجه الرجل لأول مرة . وليس يصحح ما يقال من ان الملتراء لا تعرف الشهوة الجنسية وان الرجل هو الذي يوقظ حساسيتها ، فالغلبية الفتيات يظنن بحرارة المدايبات قبل ان

تسهل يدهي الرجل ، لكن الامور تبدو كذلك لان الفعل المفروض لا يستجيب لرغبة معينة ، لانها لا تعرف تماما ماذا تريد ، وانما تتسرع حين توليه الذكر بالرغبة في المداعبة لكنه لا يبدو لها مرغوبا بمضلاثة القوية وقلده الخشن ، بل يشر في نفسها الاستمزاز ، وكثيرا ما يكون رد الفعل قويا ، فتجبه الفتاة نحو المساحة او تتعلق برجل مخطت تستطيع معاملته معاملة المرأة .

نعم جيدا من هذه الشروط التي اتيانا على ذكرها ، ان اول احتكاك عملي للمرأة مع الحياة الجنسية ليس بالامر السهل ، وقد رأينا انه قد تحدث في كثير من الاحيان خلال ايام الطولية والعبث ، بعض الحوادث التي تترك في نفس المرأة ميلا شديدا لمقاومة كل ما هو جنسي ، كما تخلق الترية المعافقة والخوف من ارتكاب الذنوب والشعور بالاثم نحو الام ، حواجز معينة لا سبيل الى تخطيها . اما العادات فهي تضع البكارة في مستوى عال لدى بعض الاوساط لدرجة تشعر فيها الفتاة بان فقدان بكارتها بدون زواج يعتبر خطيئة كبيرة ومصيبة لا تعادلها مصيبة ، ولا يمكن لليلة الزواج الذي تستسلم خلالها الفتاة الى رجل لا تعرفه في الطب الاحيان ، ان تعد بعد ذاتها تجربة سهلة . ان التحول الى امرأة يعني قطع الصلات مع الماضي دون اي امل في العودة اليه ، وهو لا يقتضي بوضع الحواجز بين الامس والغد وانما يتزعم الفتاة من عالم الخيال الذي كانت تعيش فيه ، ويلقي بها فجأة وسط العالم الحقيقي . لقد داومت الفتاة خلال فترة الخطوبة على العيش في عالم الاحلام ولو تطلعت بعض النور والمنازلات البدائية ، وكان خطيبها يتكلم معها بلهجة رومانتيكية .

وبها هي فجأة تحت انظار عيون حقيقية ، ولي قبضة يدين حقيقتين وان

ما يرميها ويبحث الذعر في نفسها هي واقعية تلك النظرات وتلك القبضات.

ومما يزيد في تبعية المرأة للرجل ، انها لا تستطيع الاستغناء عنه اذا ارادت اكتشاف اسرار جسمها ، فهو الذي يسلك زمام المياصرة في اغلب الاحيان ، فيفازها ويداعبها بينما تتلقى غزله وعروضه بكل استسلام وسلبية ، وسواء كان زوجها او عشيقها فانه هو الذي يشودها نحو المخدع حيث لا يوجد امامها مقر من الاستسلام والخضوع . ولو فرضنا جدلا ان المرأة القوت ورضخت لسلطة الرجل في تفكيرها فلا بد من ان يتأجها الهلع في اللحظة الحاسية التي يجب عليها ان تتلقى تلك السلطة عمليا وتحملها ، انها لتخاف في اول الامر من هذه النظرة التي تكاد يتلغها واذا كان الحياء مكتسبا في اغلب الاحيان فان جذوره مع ذلك عميقة لدى المرأة ، وحين تعجزل من مرضي جسدها ويتأجها الشك في جنالها ولو كانت من ربوات الجمال ، الى ان تعرف رأي الرجل الذي يقوم بدور الحكم في هذا الموضوع . ولذلك فان وضعية الذكر تكتسب اهمية بالغة وتنتج عنها تأثيرات عميقة في حياة المرأة ، فاذا ما ابدى الرجل حساسه ورقته تجاهها ، فانه يبحث في قلب المرأة ثقة تامة لا تنساها ولو بلغت التساتين من العمر ، وعلى العكس من ذلك اذا اساء العشييق او الزوج التصرف فقد يؤدي ذلك الى تولد شعور بالنقص لديها ، وقد ينتهي بها الامر الى الوقوع في برائس امراض عسية لا حصر لها .

واذا كانت النظرة خطيرة فان الايدي تشكل تهديدا اشد خطورة ، لان المرأة لم تكن قبل زواجها بصورة عامة قد تعرفت الى عالم المتفح ، ولم تتعود على حوارات المشاجرات التي تحفل بها حياة الرجل في سباه ، انها لم تتعود على كل ذلك فجأة تشعر بنفسها ملقاة في قبضة الرجل ،

ويجسد فوق جسدها في وضع يمثل تعوقه والتميز - عليها - لم يعد لها
من مجال العظم والتراجع والتأخرة ... لقد استسلمت له ، وسيلعكم
بها وفق مشيئة ، ويحدث كثيرا ان تعتبر الفتاة اول تجربة جنسية عملية
تعرض لها كالاتصاف القسري ، اذا ظهر الرجل مثلا يقرب من حدود
الوحشية ، فهي بلاد الرضا حيث تكون الطباع ختنة جافة ، كثيرا ما
تفقد الفتاة بكرتها نصف راقية ونصف غائبة ، في قرر إحدى العفريات
بين عرافات العرف والجماع ، وكثيرا ما تصاب الفتاة بغية اقل شديدة
بعد ايلة الزواج الاولى ، ولو كان زوجها لطيفا رقيقا معها ، لانها كانت
تسئ السمع بالشوة في شفتها وسفورها وتود لو تسمر بلغة وسرور
من نوع جديد بين ساقها ، وانما يظن الذكر يخترق جسدها في مناطق
لم يكن يظنوا اليها ، وقد وصف العلماء بعضه الفتاة الطراء التي كانت
تعلم في ان تجد تعيقا لرفاتها الجنسية بين فراشي الزوج او الضيق ،
فانما بما تسمر باله شديد متعجب في متوقع في عطورها التماسلي ،
وحيث تلتصق الاحلام وتيلد الاعمالات وأخذ يجب شكل العلية
العراجية ا

غير ان الام لا يجب العور الرئيسي في التجربة الجنسية الاولى ،
وانما يشكل الاختراق بعد ذاك عملا عاما في قص الرثة ، ويستد بالجماع
بعيدا ، فالرجل لا يستعمل في عملية الجماع - رى عضو من اعضاء
الخارجية ، اما الرثة فانها تصاب في اصاب اعضائها الداخلية . ان الفتاة
لا تستفك في اغلب الاحيان سوى جسدها ، وهو اقل كثر لديها ، ولذلك
كان الرجل حين يدخل فيها (أخضع) منها وانما التسمر من جواره ذلك
بالاهانة والاحلال والاحرام ، فالرثة تكون اتاه الجماع (تعت) الرجل -

ان حسها يدافع ويحترق ويحطل العجاج ينسا يقوم الرجل بالصور
الايجابي . ولا شك ان عضو الرجل ليس عضلة تصنع للزينة ، لكنه
مع ذلك يشع نوحهات الرجل ، فيتوهج وينضب ويعود ، ثم يعود
الكرة وخلال ذلك ، يشع الرجل بصلاحيه تعديد نوعية العجاج ومدته
وتكراره . انها تستمر بتكونها آتة ، اما العرة فهي مشر كرة بأصصا
لذي الجانب الآخر ، وهذا ما يعر عنه شعرا بان المرأة تشبه الكمان
والرجل بمثابة القوس الذي يمتز عليه لوترها . وقال براك : لا تشبه
المرأة في مجال لعب القيثارة ، التي تشبه سرها الي الشخص الذي يعرف
كيف يعرف عليها . ان الرجل كما تقول الامثال الخارجة يتلفذ مع
المرأة (ويستجما الفتنة) وهذه الكلمات تبين العدم دور المرأة في العجاج .

يعلم بنا الخبر ان تشير الي احد العوامل التي تغطي الرجل وجها
عداليا وتحول العملية الجنسية الي عمل خطير ، انه خطر الحمل والجناب
الاولاد . والواقع هو ان الطفل غير الشرعي يعتبر في قلب المجتمعات
العالية عالقا اجتماعيا واقتصاديا للمرأة غير التزوجة ، وقد حدث ان
بعض الفتيات اتسمن على الانتحار حين طعن بائنه حملات ، كما لجأ
بعضهن الي قتل الحقائق ، ولا شك ان خطر الحمل يكبح بشدة المواقف
الجنسية ويضع عددا كبيرا من الفتيات الي العاقلة على تكرارهن حتى
الزواج . اما اذا عبرت المرأة على تغطي هذه الحدود قائما تبقى دائما
قلقة مترددة وتلجأ الي اتخاذ الاحتياطات لمنع الحمل ، الامر الذي يجعل
العملية الجنسية استغماية والاحساس بالفتنة ضعيفا .

وقد تردى هذه الشاكر والصواب بالمرأة الي الجنون والامراض ،
وقبلا في قصة وردت على لسان فتاة من مدينة فينا تشرح فيها بمرحلة

المشاكل التي سادت في مستهل حياتها الجنسية :

وفي السادسة عشرة والتصلف من عمري عملت في احد المكاتب ، وبعد عام حصلت على اول اجازة . كانت فترة سعيدة من حياتي لان الجميع كانوا يغازلونني . وكنت اميل الى احد زملائي في المكتب وقد ذهبنا معا الى الحديقة العامة حيث اجلسني فربه واخذ يفتني قائلا بانتهال :

— اقتحي شفتيك .

ولكنني كنت لظفهما بتسبح ، وفي هذه الاثناء اخذ يفتك ازرار شترتي فوددت لو تركته يفعل لولا انني تذكرت بان ثديي لم يشكورا بعده . وذات يوم من نيسان — ابريل — دعاني صديق متزوج الى مصاحبة السمرض وبعد ان تناولنا الخمره على مائدة العشاء قللت تعظي فاستأجر مرة رغم احتجاجي ودلعتي اليها ، وما كانت الخيل تتحرك حتى اخذ يقرب مني شيئا فشيئا ويداعيني بيده فاخذت ادفع عن نفسي بكل قواي ولم ادر اذا كان قد توصل الى تحقيق غرضه . وفي اليوم التالي طلب مني ان اراه كثيرا فقبلت بفضول شديد . وكان يداعيني مداعبات جريئة باسبغه في موطن عفتي واخذ اولج ذات يوم اسبغه لصرخت من الالم .

وذعبت بعد ذلك في اجازة مع سديقة لي فدعانا سائحان الى نزهة معها واثاء النزهة حاول احدهما ان يقبل سديقتي ولكنها دفعت يدها فالتفت لعوي وقيلتي ولعن جالسان ثم اخذ يفر موطن عفتي بالقبيلات وقد استكرت فعلته واقدمه على فطارة كهذه .

وبعد يومين ذهبت معه الى لايبزغ ، وفي احدى الغابات المنعزلة

خلق معقله وطرحني أرضاً وسد قسي بتدليله واخذ يقطن وطرفه فحسبت
ان ساعتي قد دانت وشعرت بالغشيان في معدتي .

وحين انتهى من العطية ، اخذ يغر وجهي بالقبلات لكي كنت لا
ارى او اسمع شيئاً ، وحين حاول اعادة الكرة ونحن وحدنا في مقصورة
القطار ففتحت الباب وانفتحت لجرى والصبح هلمنا وحولنا منه ، فما كان
منه الا ان ضحك مني وتركني لشأني وهو يصغني بالقية التي لا تعرف
كيف تستفيد من الاشياء السلية . حين وصلت الى فينا ذهبت الى مقسلة
لاني شعرت بان شيئاً حاراً يجري بين ساقني ، فاكشفت وانا ارتعد فرقا
آثار الدم . كيف استطع ان اغني ذلك عن اهلي ؟ لكن حالي النفسية
دانت علي واضطرت الى ان اقص الحادثة على امي التي لم تجد فيها
شيئاً رهيباً مزعجاً .

وقد ترددت في النهاية علاقتها مع الرجال لكنها أصبحت باردة ولم
تعد تشعر شيئاً ، الى ان احبت رجلاً تزوجها وزالت برودتها .

هناك امثلة كثيرة تكشف عن النتائج العظيمة التي تنجم عن عنف
ووحشية الرجل حين يضايق المرأة لأول مرة في حياتها، والطريقة الوحيدة
لتفادي هذه الحالات هي تعريب الفتاة بدون اي عنف او مفاجأة او
بدون تحديد موعد معين لمباشرة العطية الجنسية . وفي هذا المنحى لا
يسكن الا ان نوافق على حرية التصرف الممنوحة للفتيات الامريكيات .

لا تحصل المرأة في بداية حياتها الجنسية ، مقابل تنازلها واستسلامها،
على لذة عنيفة واكيدة . ولا شك انها تضحي بسهولة بحياتها وكبرياتها
اذا اقتضت امامها ابواب الجنان . ولكننا رأينا ان ازالة البكارة ليست

اعتمادها العاطفة الجنسية في فترة الحدأة وإنما هي جاذبة مفرقة ، وأن
الفترة الهبلية لا تحصل بعد ازمنة البكارة يشكك آلي فقدت الأحصانات
التي قام بها عدد من الطماء أن $\frac{2}{3}$ على الأكثر من النساء يستمرن
بالفترة الهبلية منذ الجماع الأول و $\frac{1}{3}$ لا يستمرن بها إلا بعد عدة
أسابيع أو شهر أو بعد عدة سنين . وتلعب العوامل النفسية في هذا
المجال دورا رئيسيا فتسبب مقاومة المرأة اللاشعورية ظهور الفترة ثم تتقدم
هذه الحالة بسبب عدم حصولها على تعويض مقابل تنازلها واستسلامها ،
فيدخل الزوجان في حلقة مفرقة قد تؤدي بالمرأة الى البرود الجنسي . غير
أن الرجل يستطيع منحها ترضية بإثارة الفترة البظرية التي تؤدي على
الرجم من التاكيدات العاكسة الى تهدئة انصباها وشباع لذتها . لكن
عددا كبيرا من النساء يرفضن ذلك لانه اذا كانت المرأة تعذب من اناية
الرجال الذين لا يفكرون إلا في الشباع شهواتهم فإن رغبة الرجل الصريحة
في منحها الفترة تصدم شعورها . يقول ستيكل : «إن المرأة اللذة لدى
الأخر تعني السيطرة عليه ، وإن الاستسلام الى شخص ما يعني التنازل
عن الإرادة ، والمرأة قبل الفترة بسهولة انها كان مصدرها طبيعيا كما هي
الحالة في الجماع العادي الناجح»

يكتسب موقفه الرجل والحالة هذه أهمية بالغة ، فإذا كانت هوايته
غنية قاسية ، فإن المرأة تتحول بين ذراعيه الى شيء أو
فرض ، غير انه إذا بالغ في التحكم بعواطفه فإنه يحدت مفعولا معاكسا
لديها . وفي كلتا الحالتين يشور كثيرا المرأة والتنازل لكي توفق بين
استسلامها القسري ورغبتها في الشعور بكيانها ، أن تجعل من الرجل
فرسة لها وقد تقع في برائن البرودة الجنسية من فرط استمرارها على

القيام بدورها في الجماع . ويعود الامر في معالجة هذه الوضعية الى حذافة الرجل الذي يستطيع ان يوحى للمرأة بان العملية الجنسية هي مشاركة بينه وبينها ولا يهدف منها الى السيطرة عليها .

وحتى لو توصلت المرأة الى تعطي هذه الضغوط وعرفت خلال مدة من الزمن اللغة الهيولية فانها لا تكون قد وصلت الى نهاية نتائجها لان التوقيت الجنسي بينها وبين الرجل غير منسجم ، فهي أكثر بطئا منه في الشعور باللغة .

يقول تحرير (كينسي) ان ثلاثة ارباع الذكور يبلغون ذروة اللغة ، خلال دقيقتين من بدء العلاقة الجنسية وانما اخذنا بعين الاعتبار ان النساء ذوات المستوى العالي يلزمهن ١٠ - ١٥ دقيقة من التعريض للتشيط لكي يبلغن الذروة ، وانما اعتبرنا كذلك ان عددا كبيرا من النساء لا يبلغن طولان حياتهن ذروة الشعور باللغة الجنسية ، امر كما يانه يجب ان يكون الرجل ذا كفاءة استثنائية ، لاجابة النشاط الجنسي والتأخير مرحلة التفرغ ، فيتمكن حينئذ من خلق الانسجام مع زميلته .

يظهر ان الزوج في الهند يدخن الطيبون خلاص الجماع ليسيئ نفسه عن الشعور باللغة ويظل امد لغة زوجته ، اما في الغرب فانه يقتصر بعدد (المرات) على تحريك كزازالوقا ، ويبلغ ذروة فخره واعتزازه بنفسه حين يحصل من زميلته على كلمة (شكرا) او ويستشكي الرجال في بعض الحالات من كثرة طلبات وطلبات النساء العنيفة فيقولون عن زواجهم او خيلاتهم انهن دائمات الجوع متكالبات لا سبيل الى سد حاجتهن .
والواقع هو ان اللغة لدى المرأة تختلف تمام الاختلاف عنها لدى

الرجل وقد قلت سابقا ان العلم لم يتوصل لمعرفة ما اذا كانت اللذة المهلية تنهي الى الارتواء التام كما هي الحال لدى الرجل ، فمما لا شك فيه ان الجناح بالنسبة للرجل له نهاية بيولوجية معينة : التعرّيج والقذف ، اما في حالة المرأة فالامر على العكس ، اذ يكون الهدف في البدء غير معين ومن طبيعة نفسية لا فيزيولوجية ، انها تريد الحصول على الانفعال واللذة بصورة عامة لكن جسمها لا يعطيها اية نتيجة واضحة للعمل العاطفي ، ولهذا فان لذة الجناح لا تنهي مطلقا لدى المرأة . ان لذة الذكر تصاعد كالسهم وحين تصل الى مستوى معين تتحقق وتوتّر فجأة في الذروة ، اما اللذة الانثوية فانها تنتشر في جميع أنحاء الجسم ولا تتركز في الاعضاء التناسلية ، ولا تشكل التقلصات المهلية لديها سوى موجات تسير على ايقاع معين فتتولد وتندعم ثم تتشكل وتصل في بعض اللحظات الى الذروة ثم تختلط وتذوب دون ان تصل الى درجة الالعدم التام . ولا يعد من الامكانيات الجنسية للمرأة الا التعب العصبي او القلبي او الانبعاث النفسي .

يرتكب الرجل خطأ كبيرا حين يحاول ان يفرض على رفيقته طريقته في الجناح ويتهالك على منحها اللذة القصوى . ولا تؤدي هذه الطريقة في الطب الاحيان الا الى تعظيم شكل اللذة التي تعيشها المرأة على طريقته . وقد تشكل بعض الاختلاجات المركزة في المهبل او في الجفلة التناسلية والماصرة عن الجسم باكله ، نهاية لدى بعض النساء ، وقد تحصل هذه الاختلاجات بشكل دوري فتشبه اللذة القصوى لدى الرجل ، لكن المرأة الماثلة يمكن ان تجد في ذروة اللذة الجنسية بشكل مستمر دون اي انقطاع وبشكل يرضي المرأة .

ان الظروف التي تجري خلالها الحياة الجنسية للمرأة لا تتوقف على ما يتناه اعلاه فحسب وانما على حالتها الاقتصادية والاجتماعية بصورة عامة ، ولا شك انه من السخف دراستها دون اخذ هذه العوامل بعين الاعتبار . لكننا نستخلص من دراستنا بعض النتائج الهامة : ان التجربة الجنسية هي احدى التجارب التي تكشف للانسان بشكل عام اهمام وتعقيد وشروط حياته . كما نكتسب بالنسبة للمرأة طابعا دراماتيكيًا ، لانها تكشف نفسها اولًا كعرض ومتمة امام الرجل ، ولانها لا تجد في المدة استقلالًا وتأكيدًا لشخصيتها وانما يجب عليها ان تناضل باستمرار للحصول على حريتها ككشخص له كيانه في الوقت الذي تقوم به بوظيفتها الجنسية .

وسواء السجنت في دورها السليم ام لم تسجم ، فانها تشعر على الدوام بالحرمان كغرد له فعاليتها ، ولعله من عجائب الامور ان الرجل يعيش في عالم مليء بالنموه والرفقه في عالم المرأة يتنا تيه المرأة على غير هدى في عالم الذكور الخشن القاسي . ان يديها لتحن الى ضم الجسد الناعم واللحم الغض وانها لتسنى في جميع فترات حياتها ان تمتلك كترًا مما تلا لتكتز الذي تشعه للذكر . وهذا يفسر لنا بقاء بعض اليوايل السحاقية لدى عدد كبير من النساء . وثناكد هذا الميل لدى بعضهن لاسباب معتقدة فزاهن لا يقبلن باعطاء مشاكلهن الجنسية الحبل الكلاسيكي المشرف به رسيا لدى المجتمع فيعرضن الى المساقحة ، ولذلك يجب علينا ان ندرس لأن حالة النساء اللواتي يتبعن الطريق المنيوذة .

الفصل الرابع

المسافة



يتصور الناس خطأ المرأة المسافة مرتدية على رأسها شالا غشنا والعقدة مربوطة في عنقها . ويمتقدون ان رجولتها ليست سوى عبارة عن شذوذة يعكس عدم التوازن الهرموني لديها . والواقع هو ان عددا كبيرا من المسافات يشتمن بالوثة نادرة ، كما ان عددا كبيرا من النساء اللسترجلات يرفضن فكرة السحاق . وقد أكد علماء النفس والجنس ما بينته المراقبة المادية ، بان الاغلبية العظمى من (المسافات) اللبوذيات من المجتمع يختلفن مطلقا عن بقية النساء .

يفرق العلماء عادة بين نوعين من المسافات ويطلقون على النوع الاول (المسافات الذكور) وهن اللواتي يقلدن الرجل في حياته الجنسية، (والمسافات الاناث) على النوع الثاني اللواتي يقمن بدور الانثى في عملية السحاق . لكنني ارى لاسباب عديدة ان هذا التقسيم اعطالي ولا ينطبق مع الواقع .

ان تعريف المسافة «الذكر» برغبتها وارادتها في «تقليد الرجل» يسبغ عليها صورة غير واقعية . وقد بينت قبل كيف يخلق العلماء النفسايون المتناقضات بتبنيهم الفئات (الذكرية - الانثوية) كما يعرفها

مجتمعنا الحالي ، والواقع هو ان الرجل يمثل في يومنا هذا فكرة الايجاب والحياد في نفس الوقت ، اي فكرة الذكر ، والالسان البشري ، بينما تكتمني المرأة بتشيل الفكرة السلبية اي الالشي . فاذا تصرفت المرأة في الحياة كالالسان بشري قالوا انها تقلد الرجل وفسروا نشاطها في ميادين الرياضة والسياسة والثقافة ، وولجتها في النساء كميول ذكرية كاملة لديها . ان سوء التفاهم الرئيسي الذي يركز عليه هذا التفسير هو ان الناس يعتبرونه طبيعيا بالنسبة للالشي ، ان تجعل من نفسها امرأة بكل معنى الكلمة كما يعرفها المجتمع ، فلا يكتفيها ان لا تولع سوى بالجنس الالآخر او حتى ان تكون اما لكي تنطق سورة المرأة الثالثة ، بل ان المرأة الحقيقية ليست في الواقع سوى متزوج اسطعامي ، صنعت الحضارة السائدة . واذا ثارت المرأة على هذه المفاهيم او شعرت بنقصها فاختارت ان تكون فردا كاملا ، فانها تعد متحررة عن مجتمعها وجنسها ، وانها الناس بالالاسترجال ، لان الطبيعة الالاثوية في عرف المجتمع تعني النقصان والخضوع .

ان المرأة التي تقتحم ميادين الاعمال بنفسها والتي تطالب بعرضها بشكل عام ، ترفض التنازل عن شخصيتها لحساب انسان آخر ولو كانت جميلة جذابة ، لانها تكون قد اكتشفت كيانها وشخصيتها المستقلة من خلال اعمالها-لا من خلال شعورها بالنقص تجاه الرجال - ولا شك ان رغبة الذكر التي تدني قيمتها الى حدود جسمها ، تصدم عقليتها وتضر من نفسها بالالاستمزاز الذي يشعر به الرجل الذكر تجاه التواطي السليبي . ولكي تنفي عنها مظهر المرأة المستكينه تراها تتخذ اوضاعا رجالية فتستكر بشابهم وتعاكبهم في طريقة مشيتهم وكلامهم ولختار صديقة اشئ تميش

معها وتلعب دور الرجل تجاهها . نعم ان هذه التثيلية حقا تقليد للرجال ، لكنها لا تخرج عن كونها ظاهرة ثانوية ، اما الامر الرئيسي فهو نرد الفرد المتبع بالسيادة والمتحكم في مقومات حياته ضد تعوله الى تجربة جديدة . وقد دلت الاحصاءات ان عددا كبيرا من النساء الراضيات سحاقيات لان قوانين الجنسية واستقلالهن عن الرجال يؤدي الى رفض الخضوع للرجل . ونحن نجد نفس المقاومة لدى النساء (ذوات الراس) التواني يصبح الاستسلام بالنسبة اليهن امرا مستحيلا ولو كان يشكله الجندي . ولعله اذا تعطلت في مجتمعنا المساواة بين الجنسين لكان من الممكن لهذه المواقف جميعها ان تزول ، لكن الرجل لا يزال مشيا بمركب التفوق الامر الذي يضايق المرأة اذا لم تكن مؤمنة بضرورة تفوقه عليه .

يجب ان نلاحظ مع ذلك بان المرأة ذات الازادة الحبة للسيطرة لا تردد الا قليلا في محاكاة الرجل ، فهي لا تريد ان ينتقص من قدرها كامرأة وان كانت تحرس على المحافظة على شخصيتها المستقلة . وهي لا تناف من اظهار رغبتها الجنسية للرجل بل تجد مقاومة اقل من المقاومة التي تجدها العذراء الخجول قبل بدء العلاقة الجنسية مع الذكر . ان المرأة العادية ذات الميول الحيوانية لا تشعر بالاهانة من جراء الجماع ، على عكس المرأة المثقفة المتفكرة التي تعجز عليه لانها واثقة من نفسها وذات طبع فضائي ، ولذلك فهي تدفع في سجل مع الرجل لا تعلم كيف يتسنى . ومن الامثلة التي تضرب عن قوة شخصية المرأة المستقلة ان مدام دوستانيل اسم تشد سوى في اواخر ايامها عشاقا يشتمون بالسياب والجمال . لقد كانت تسيطر على جميع الرجال بقوة تفكيرها وتقبل

اعجابهم بها يكبرياء واثقة ولذلك لم تكن تشعر ابدا بشعور الفرية
بين ذراعيهم .

ومن العيث محاولة تقسيم المساحات الى ذكور واثاث ، لانه اذا
طرحنا جانبا بعض الحالات الشاذة ، فان كلا منهما تستطيع ان تقوم
بدور الأخرى بدون اي حرج او صعوبة ، لكن بعض الظروف كفوة
الشخصية او الثروة او الجاه او الطبيعة النفسية تقسم الأدوار بينهما
بعين هذه العوامل .

والواقع هو ان السحاق لا يعتبر ضربا من ضروب التفتن والتسلية
لدى المرأة ، كما لا يشكل لعبة من القدر تحمل عليها وانما هو موقف
تتخذه المرأة كرد فعل على اوضاعها في المجتمع ، اى انه له ما يبرره في
حياة المرأة التي اختارته بحسب ارادتها ، تلبية لدايمي بعض العوامل
البيولوجية والتاريخية والنفسانية والظروف الاجتماعية . انه يشكل
بالنسبة للمرأة طريق من بين الطرق الأخرى لحل مشاكلها الاجتماعية
بوجه عام ومشاكل حياتها الجنسية بوجه خاص . وكما هي الحال في
جميع تصرفات البشر فان السحاق يؤدي في بعض الحالات الى عدم
التوازن والتثقل والكذب والرياء ، لو يكون على العكس مصفرا
للتجارب الخفية في حياة المرأة .

الفصل الأول

المرأة المتزوجة



الزواج هو الصير التقليدي الذي يخصصه المجتمع للمرأة . والطب النساء من حتى يومنا هذا لما متزوجات او يهدفن الفسهن للزواج او يتألم لعدم تزوجهن لذلك ينبغي لنا متابعة هذه التمراسة بالجوهه الى تحليل الزواج .

للتطور الاقتصادي لوضع المرأة الر في طبيعة الزواج الذي اخذ يصبح اتحادا يجري بالاتفاق الحر بين فرقتين مستقلتين . وان ارتباطات الطرفين صارت شخصية ومتبادلة ، ويمكن للطرفين الحصول على الطلاق في نفس الشروط . ولم تعد مهمة المرأة محصورة في التناسل — بل ان الولادة نفسها صارت تعتبر كعمل منتج لان الدولة او رب العمل ، في كثير من الاحوال ، يقومان بدفع الاجور عن مدة الراعة التي يقتضيها الحمل . وفي الاتحاد السوفياتي اعتبر الزواج خلال بضع سنوات كعقد بين فردين يستند الى حرية الزوجين فقط ، على انه اخذ يكتسب في هذا اليوم صفة خدمة تفرضها الدولة على الطرفين . وتبعاً لما ستكون عليه البنية العامة للمجتمع في المستقبل ، سينتصر الاتجاه الاول او الثاني ، لكن وساية الذكور ، على كل حال ، في طريق الزوال . الا ان المرحلة

الحالية ، من وجهة النظر النسائية ، مرحلة انتقال . فقسم من النساء فقط يساهم في الانتاج ، وهذا القسم نفسه يعود الى مجتمع ما زالت سائدة فيه نظم وقيم قديمة . والزواج الحديث لا يمكن فهمه الا على ضوء الماضي المتصل بالحاضر .

كان الزواج دائما يبدو مختلفا اختلافا جفريا بالنسبة الى الرجل والمرأة ان كلا الجنسين ضروريان لبعضهما بعضا الا ان هذه الضرورة لم تؤد فقط الى علاقة تبادل . ولم تشكل النساء قط طبقة خاصة تقيم مع طبقة الرجال علاقات تبادل وتبرم العقود على قدم المساواة . فالرجل من الناحية الاجتماعية مستقل وكامل وينظر اليه قبل كل شيء كنسخ من منتج ، ووجوده مبرر بالعمل الذي يقدمه للجماعة . اما المرأة فكان دورها المحدود بالتجيب الاحفال والعمل المنزلي حاللا دون مساواتها مع الرجل .

صحيح ان الرجل بحاجة الى المرأة ، ولكن لا يتوجه بذلك اليها ، بل الى مجتمع الرجال الذي يسمح لكل فرد من افراده بأن يستكمل شخصه كزوج وكوالد .

اما المرأة فكانت مندمجة بالاسرة الواقعة تحت سيطرة الآباء والاخوة ، لذلك كانت تقدم للزواج من بعض الذكور الى بعض الذكور . قديما كانت المشيرة الابوية تصرف بها كما تصرف بالاشياء . على ان وضع المرأة لم يتعدل تعديلا جفريا لما اكتسب الزواج ، خلال تطوره ، شكلا تماثليا . وبقي الزواج مورد رزقها والمبرر الاجتماعي الوحيد لوجودها . وهو مفروض عليها لسيين : اولاً ان تنجب الاطفال للجماعة ،

كما ان مهمتها ايضا ارضاء حاجات الذكر الجنسية والعناية بشركه . وان
العيب المفروض عليها من المجتمع يعتبر كخدمة مقدمة للزوج ، لذلك
يتعمد باعالة الزوجة . هكذا كان الزواج بالنسبة الى الطرفين عبئا
ومنتعة الا ان الوضعين لم يكونا متوازنين متكافئين . فالزواج بالنسبة
الى العشيائ ، كان الوسيلة الوحيدة للاندماج بالجماعة فليس بغريب اذا
كانت الامهات دائما حريصات على تزويج بناتهن .

جاء في احدي قصص اميل زولا وصف للمقابلات الممتدة سلقا :
وقالت مدام (جوسران) لزوجها : هذه رابع محاولة فاشلة لتزويجها .
ثم استمرت قائلة وهي تشير نحو ابنتها : كيف لموت هذا الزواج ؟
فتسكت : لا اعرف يا امي .

وتابعت امها قائلة :

— مساعد رئيس مكتب ، لم يبلغ الثلاثين ، مستقبل عظيم . في
حماية كل شهر يجلب اليك راتبه . لذلك ارتكبت حماقة كما فعلت مع
الآخرين .

— اؤكد لك يا اماء انني لم افعل شيئا .

— خلال الرقص مررتما بالبهو الصغير

— وارتيكت البنت وهي تقول :

— نعم يا امي .. ولما كنا وحيدتين فقد اراد اشيء مموجة . وقبلني
وهو يضمني اليه . حينئذ احسست بالخوف فدفعت على قطعة اثاث ا
فقاطعتها امها غاضبة : دفعته على قطع اثاث . يا لك من شقية .

— لكنه كان مسكابي يا اماء .

— وما الطامح . هل من ضروري ، في الحقيقة ، ان تغبرنا بذلك .

وتابعت الام كلامها وكأنها تلقن ابنتها درساً :

— كل شيء انتهى . بدأت ابأس منك يا ابنتي فالتت بلهفة . لما كنت بلا لثوة ، فاقمسي جيداً اذن ان طيك اسطيد الرجال بشيء آخر . يمكن للفتاة ان تكون لطيفة وان تكون عيناها مغمضتين بالخضار وان تنسى يدها فتسبح بالمدايبات دون ان يبدو عليها ذلك ... وفي النهاية ... تصطاد زوجها .

هكذا تبدو الفتاة سليمة بصورة مطلقة . اما الرجال فيبحثون في الزواج عن تأكيد وجودهم وليس عن حق الوجود . انه بالنسبة اليهم عبء يأخذونه على عاتقهم بحسب اختيارهم ، فيمكنهم اذن ان يتساهلوا عن مزاياه ومساوئه لانه ليس سوى شكل من اشكال الحياة . ولا يعتبر المصير المقرر المحتم بل بإمكانهم ان يفضلوا وحدة العزوية .

حينما تزوج المرأة تأخذ بعض الضمانات القانونية ، الا انها تصبح تابعة لزوجها فهو رب العائلة من الناحية الاقتصادية وهو الذي يجسدها بالتالي في عين المجتمع . فتأخذ اسمه وتضم الي طبقته ووسطه وتصبح «صنفه» المتكامل ، وتتبعه الي حيث يدعو عنه .

ولما كان الزوج هو المنتج فهو الذي يجاوز مصلحة الاسرة الي مصلحة المجتمع . اما المرأة فيندورة للمحافظة على النوع والعناية بالمنزل اي انها مندورة للحيث .

والحقيقة ان كل كائن بشري هو ارتقاء وجود معا ، لا ينبغي له ان يضم اليه الماضي ليش نحو المستقبل ، وان يؤكد ذاته دون ان يتقطع عن الآخرين . ولئن كان الرجل يستطيع التوفيق بين هذين الأمرين فان الزوجة لا تسو بنفسها الى الجسامة الا من خلال زوجها .

يفرض الزواج على الفتاة في يومنا هذا بصورة اكثر العاجا . ولا يزال هناك فئات اجتماعية لا تصح امام الفتاة سبيل الزواج . فعند الغالبيين تبقى الفتاة العازبة خادمة لايها واخوتها . ولم تبد الهجرة نحو المدينة مسيرة لها . اما الزواج فيخضعها للرجل ، ويجعل منها سيدة بيت في الوقت نفسه .

ولا تزال بعض الأوساط البورجوازية تترك الفتاة عاجزة عن كسب حياتها ، فلا يسكن لها حينئذ الا العيش كفضولية في دار والدعا او ان تقبل وضع التبعية في بيت اجني . واذ فرضنا انها اكثر تحمرا ، فان الامتياز الاقتصادي للرجل يدفعها الى تفضيل الزواج على العمل . حينئذ تبحث عن زوج احسن منها وضعا آمنة الحصول على مكانة اعلى في اسرع وقت . ان جسما يعتبر كمتاع يباع ويضري وهو بالنسبة اليها رأسمال يجوز استثماره . واحيانا تقدم بائنة للزوج وتأخذ على عاتقها عبء العمل المنزلي وتربية الاطفال . وعلى كل ، فان من حقها دائما ان يتفق الرجل عليها . بل ان الاخلاق تدعوها الى ذلك . فمن الطبيعي ان تستعملها هذه السهولة لا سيما ان الاشتغال النسوية كثيرا ما تكون سيرة الاجور .

كل فتاة تقريبا ، سواء في العالم الجديد او القديم ، تجيب اذا ما سئلت عن مشاريع المستقبل بقولها : «اريد الزواج» ، في حين ان ما من

شاب يعتبر الزواج هدفا أساسيا له . بل النجاح الاقتصادي هو الذي
يكسبه الكفاية .

إن شروط الحياة الحديثة تجعل انبعاث الزواج ثقيلة على الشاب ،
فتناقست الفائدة منه وخاصة إن الشاب صار باستطاعته أن يؤمن اتناحية
الزوجية خارج نطاق الزواج . صحيح إن الزواج يسهل بعض لواحي
حياة الرجل إلا إن اقبال الشباب على الزواج وبالتالي عروضهم لبقى
بروح عام أقل من عروض النساء .

والمرشحة البانسة تعلم جيدا إن حظها في الزواج يتناقض كلما تقدم
بها السن . فالخطاب ليسوا كثيرين . وحرمتها لا تفوق كثيرا حرية
البدوية التي تبادل ببعض رؤوس المال .

تقول الكاتبة كوليت :

«الفتاة التي لا تملك ثروة أو ليس لها مهنة والتي تعيش في كنف
أخوتها ما عليها إلا أن تسكت ، وإن قبل يحفظها وتشكر رجاء .»

لقد أصبحت الفتيات أكثر تحورا ، وأخذن يكثرن من خروجهن
ويقبلن على الجامعات ، ويحرفن مهنة تتيج لهن فرصة التعرف على
الرجال . وقد درست إحدى المؤلفات مسألة الانتقاء في الزواج في اوساط
البيروجوازيرة البلجيكية بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٧ ، فكانت أكثرية الآراء
تدل على أن الزواج المبدأ سلفا من قبل الأهل أخذ في الزوال . أما
الطريقة المتبعة فهي الزواج بالمراسلة . وقد بينت الدراسة نفسها على أن
الزواج بين اسدقاء الطفولة نادر وإن الفتيات هن اللواتي يأخذن عادة
المبادرة في الزواج بل جاء في التحليل : «الفتاة تفعل كل ما في وسعها

كما تزوج ... والمرأة هي التي تفتش عن الرجل» وفي فرنسا كما في أميركا ، تعلم الامهات والمجلات النسائية الفتيات في «استيلاء» الزوج ، انه «سيد» يتطلب كثيرا من المهارة : لا تطهي لا اكثر بكثير ولا اقل بكثير ... لا تكوني خيالية بل كوني واقعية» ..

والشباب يعاولون دائما التخلص من الضيقة : واتقاء الفتاة محدود حينها في الحب الاحيان . واذا كان الزوج متناسبا تقريبا فانها تقبله دون حب ولو كان هناك تعفظات .

والتي كانت الفتاة تريد الزواج لزياده ، فانها في نفس الوقت تخشاه لانه يتطلب منها تعضبات جسيمة ، وخاصة الانقطاع العجالي عن الماضي . حتى ان كثيرا من الفتيات يشعرن بالقلق من فكرة مفارقة بيت والدهن . وفي هذه المرحلة تنشأ كثيرا من الازمات العصبية .

ولناخذ من ستيكل المثال التالي :

«عندما تعرف عليها ستيكل كانت تشكو من التقيؤ ، وأخذت المورفين كل مساء وتحتاجها ثوبات من العصب ، ورفض ان تفتسل ، وتأكل في سرورها وتبقى محبوسة في غرفتها . انها مخطوبة وتؤكد انها تحب خطيبها . وتعترف لستيكل بانها استسلمت له ... ثم قالت فيما بعد انها لم تشعر باية لذة ، بل انها حفظت من اثرها بذكرى بشعة وهذا سبب تقيؤها . وقد اكتشف انها استسلمت لتعاقب امها التي لا تكن لها ، فيما تعتقد ، حيا كافيا . ولما كانت طفلة كانت تتلصص على والدها في الليل لانها كانت تخاف ان ينجبا اخا او اختا ، لقد كانت تعيد امها ، والان اصيبت مضطرة الى الزواج ومفارقة بيت امها ان هذا مستحيل .

لذلك الخفت تعك يديها وبات قاسية ، مريضة ، تحاول اعانة خطيبتها بكل الوسائل . وقد شفاها الطبيب الا انها رجحت انها ان تكف عن فكرة تزويجها . كانت تريد البقاء دائما في البيت لتظل طفلة . اما انها فكثرت تلح في تزويجها وقبل يوم الزواج بأسبوع وجدت ميتة في سريرها . فقد اتجرت بإطلاق النار على نفسها !

وفي حالات اخرى يحل بالفتاة مرض طويل . انها يائسة ، فيما تدعي ، لان مرضها لا يسمح لها بالزواج من الرجل الذي تحب ، والحقيقة انها تختلف المرض كي لا تزوج . ولا تعود الى حالتها الطبيعية الا بقسم الخطوبة .

ان الارتباط ببيت الوالد يدفع الفتاة غالبا الى عدم تحلل فكرة الخطوبة مع ذكر غريب عنها . وفتيات كثيرات لا يقبلن الزواج الا لانه ضروري ، ولانه المخرج الوحيد ، لذلك يخفن في اعناقهن مقاومة عنيفة تجعل الايام الاول من الحياة الزوجية سعبة وقد تمنعن من الحصول على حياة متوازنة .

لا يكون الحب غالبا سببا في الزواج . فالزوج كما يقول فرويد ليس سوى بديل عن المحبوب وليس المحبوب ذاته . ان هذا التباين ليس امرا طارئا بل تقتضيه طبيعة الزواج نفسه . فالغاية منه التسامي الى المصلحة الجماعية عن طريق الاتحاد الاتسادي والجنسي بين الرجل والمرأة ، وليس الهدف منه تأمين السعادة الفردية . وكثيرا ما يحدث في المجتمعات الخاضعة لتنظيم الابوية ، ان لا يرى احدنا وجه الآخر الا في يوم الزفاف ، اذ لا يسكن تأسيس الحياة ، من التلحية الاجتماعية ، على

اساس من العوى العاطفي او الميل الجنسي .

لما كانت العروض النسوية كثيرة فبان الرجل امكانية اوسع في الانتقاء . اما الفتاة فطها ان ترهه في حب شخص معين ، وقد سمعت امرأة ورعة تلقن بناتها ان الحب اساس حسن خاص بالرجل ولا يعرفه النساء الفاضلات . مثل هذه الفكرة تراها عند هيجل في شكل فلسفي . فلا يجب على المرأة ان تأسس علاقات ذات صلة فردية خاصة مع زوج تستطيع بل عليها ان تبرز ممارسة وطاقنها النسوية في شكلها التام . وينجم من ذلك امران : اولا ليس لها الحق في اي نشاط جنسي قبل الزواج . وبما ان الاتصال الجنسي يخضع لنظام ، بالنسبة الى الزوجة ، فهناك تجاوز بالرقبة واللذة نحو الملحة الاجتماعية . وبما ان الرجل يجاوز ذاته نحو العام بصفته عاملا ومولما ، فيمكنه ان يتذوق قبل الزواج وعلى هامش الحياة الزوجية ملذات عارضة . ومن جهة اخرى ان الذكر حين يؤدي واجبه التوحي كزوج ومولد فانه يحقق لذته حتما . في حين نجد عند المرأة غالبا افتراقا وتباينا بين الوظيفة التوحيية واللذة لدرجة ان الزواج ان يدهى اكساب حياة المرأة الجنسية وقاروا اخلاقيا ، فانه في الحقيقة يحذفها .

وقد رضخ الرجال عن طيب خاطر بتكيت المرأة الجنسي مستغنين الى نظرة متناقضة ، قد تصل الى التهمك فيقولان : غيبس فقائلن لذة ... وتسمة الشعر الم . ان البعض يقول : ان آلام الولادة ضرورية لظهور فردية الامومة . فطبيعي اذن ان لا يشعر الذكور بأي تحويخ في انكار السعادة الجنسية على رفيقتهم .

يقول برودون بصراحة بأن إزالة الحب من الزواج مطابق للعدالة .

ألا إن مفاهيم البورجوازية خلال القرن التاسع عشر تعدلت بعض الشيء . كانت هذه الطبقة تحاول جاهدة أن تتماهى عن الزواج وتصوره ، ومن جهة فإن نمو الفردية كان يعول دون خلق المطالب النسوية ، لذلك نشأت مسألة ادخال المشاعر الفردية إلى الزواج ، التي كانت مهتلة قبلاً . حينئذ استتبطن مفهوم «الحب الزوجي» المبهم الذي كان ثمرة عجيبة انجبتها الزواج التقليدي . وأن بالزناك يعبر عن عدم تماسك أفكار البورجوازية المعاصرة ، غير أنه يربأ بنفسه أن يشبه نظام الزواج المحترم يسوق عادةً تعتبر فيها المرأة متاعاً . لذلك يصل إلى أفكار متناقضة كما جاء في فيزيولوجيا الزواج :

ويمكن اختيار الزواج ، من النواحي السياسية والمدنية والخلقية كقانون ، كعقد ، كمنظوم . . . لذلك ينبغي له أن يكون محط الاحترام العام .

إن قلب الرجال لا ينظرون إلى الزواج إلا كوسيلة للحصول على الاعمال . إلا أن السعادة لا تنجم عن التماسك أو الملكية . وإن نطلب الحب من فتاة لم نرها إلا بضع مرات في بضعة أيام هو نوع من السخف . ويستطرد بالزناك قائلاً :

«الحب هو توافق الحاجة والعاطفة . والسعادة في الزواج تنجم عن تقاعف روحي تام بين الأزواج ، وعلى الرجل أن يخضع ، إذا أراد السعادة لنفسه ، لبعض قواعد الشرف والكياسة . وينبغي له ، بعد الاستفادة من القانون الاجتماعي الذي يقر بالعاجلة ، أن يستجيب لقوانين الطبيعة

الخطية التي تنفق الماشر . وإذا كانت سعاده في ان يكون محبوبا فما عليه الا ان يحب باخلاص اذ ما من شيء يلاوم الحب العطيني . الا ان اتوله يعني الرغبة العاشية . فهل يوسع الرجل ان يرغب دائما في زوجته ؟ نعم انه يستطيع ذلك .

ثم يسرد بالزرك علم الزواج . ان الزوج لا يتردد في فرض نظام غذائي يرضف المرأة . وينسج عنها كل ثقافة ، ويقسو نحوها في سبيل المحافظة على شرفه . هل للساعة مساعة حب ؟ يبدو ان المفزى الوحيد الذي يمكن استخلاسه من هذه الافكار التهايلة والمهمة ان من حق الرجل انتقاء امرأة تفي بحاجاته ، وعليه بعد ذلك ان يبه حب امرائه بالاعتناء على بعض الوصفات . لكن هل هو حق محب اذا تزوج من اجل الملكية والتناسل . واذا لم يكن محبا فكيف يكون هواه من التمسك بعيت يبه قلب زوجته ؟ هل يجهل بالرك ان الحب غير التبادل بلض للمضجع اكثر من ان يغوي بصورة حسية ؟ انما نرى سوء نية بوضوح في كتابه : مذكرات زوجتين شابتين . وهي قصة تأخذ شكل رسائل وذات فكرة عادية .

تدعي البطلة (لويز دي سولير) تأسيس زواجها على الحب . فيدفعها حبها المبرح الي قتل زوجها الاول ، ثم سموت من فرط غيرتها تها زوجها الثاني . اما البطلة الثانية (روليه دي بستورد) فتضحي بعواشها امام عظامها فتعوضها مباحج الامومة عن ذلك وتبني لها سعادة راسخة ثابتة . انما تسامل اي لعة حلت بالزوجة الاولى ، باستثناء القرار الطوي الصادر عن المؤلف نفسه ، لتضج عن لويز العاشية ما تصبو اليه من امومة . فالحب لم يكن قط حائلا دون الامومة .

ويصف بلزك ليلة العرس بقوله :

«قالت روية لعديقتها :

لقد اشتكى الوحش الذي نطق عليه بحسب تعبيرك اسم زوج ، وحل
محلّه ، لا ادري في اية ليلة حلوه ، عاشق تفلطت كلماته في نفسي وكنت
استند الى ذراعه بلغة لا توصف ... وتبعت فريرة الفضول في قلبي ..»
اطمى انني لم انتقد اي شيء يقتضيه الحب الناعم» .

على ان هذه الاعجوبة لم تكن تكرر في اغلب الاحيان ، افرى
(رواية) بعد عدة رسائل وهي تفرغ الدموع : «كنت قريبا منى شخصا،
اما الآن فاسبحت متاعا» . انا تسائل كيف تحول الزوج الى ساحر ؟
فالوسائل التي يسوقها بلزك في «فيزيولوجيا الزواج» مقتضية جدا :

«لا تبدأ الزواج ابدا بالاحتصاب»

او مبهة :

«ان عبقرية الزوج تكمن في اكتناء انواع اللذة ببراءة ، وتطويرها
واعطائها طابعا جديدا وتعبيرا اصيلا» .

غاب عن بلزك انه ليس هناك مواقف حيادية . وفقدان الحب ،
والضغف والشجر ، تؤدي كلها الى فراغ الصبر والخصام اكثر من ان
تؤدي الى الصداقة الودودة .

اما (كير كنارد) فيعتقد ان التوفيق بين الزواج والحب يتطلب كما
ينجح تدخل العناية الالهية :

«الزواج بأنه من اكتشاف غربا ومما يزيد في غرابته الاعتقاد بأنه عملية عفوية . ما من عملية حاسمة مثل الزواج . . . لذلك ينبغي عمله بصورة عفوية» .

«العفوية هي ما يلي : الحب والميل العاطفي عفويان تماما ؟ اما الزواج فتصميم . الا ان الميل العاطفي يجب ان يسهل بالزواج او بالقرار : ارادة الزواج . الامر الذي يعني ان اكثر الانبياء عفوية يجب ان يكون في نفس الوقت اكثر القرارات حرية . ان هذا الامر يسبب عفويته يصعب تفسيره مما يدعو الى ارجاعه الى قوة الهمة ، ويجب ان يحدث في نفس الوقت نتيجة تفكير قوي جدا بحيث ينجم عنه التصميم والقرار . بل يجب ان يحدث كل شيء في نفس الوقت ، وان يجتمع الشئان في لحظة الختام» .

من الصعب ان نفهم كيف يمكن للحب ان يصبح واجبا ، الا ان (كير كنفارد) لا يخشى التناقض وكل كتابه عن الزواج يهدف الى توضيح هذا المفرد .

صحيح كما يقول وان التفكير يقضي على العفوية . . . ولو كان التفكير ينتقص من الميل العاطفي لما كان هناك زواج ابداً . الا ان «التصميم عفوية جديدة تبلغ من خلال التفكير ويحسن بها صورة فكرة شرقية ، عفوية تناسب تماما مع عفوية الميل العاطفي . ان التصميم مفهوم ديني للحياة المبنية على اسس اخلاقية وينبغي له ، ان صح القول ، ان يسهل السبيل للميل العاطفي ويحميه من كل خطر خارجي او داخلي» . اما المرأة فليس العقل من نصيبها ، ولا تسمح بالتفكير لذلك وتنتقل

من الحب المباشرة الى التدين المباشر . ان هذا الاعتقاد يعني بتعبير
واضح ان الرجل المحب يزم على الزواج بواقع آهي ضمن له توافق
العاطفة وبعد الارتباط . والمرأة لا تكاد تحب حتى تتسنى الزواج .

ينح لي التعرف الى امرأة كاثوليكية تؤمن ايداء سابقا «بالحب
المباشرة الطقوس» فهي اللحظة التي يندف فيها الزوجان كلمة «نعم»
عام المذبح في الكنيسة يصفان بلوايح الحب في قلبهما .

على ان كتاب التمس في القرن التاسع عشر نقل وتوقا بزايا الطقوس
ويحاولون ضمان السعادة الزوجية بطرق اكثر انسانية . وهم يواجهون
بشجاعة اكثر من بلزك امكانية الجمع بين الشهوة والحب الشرعي ،
لكن بتأثير من (بول هيرفيو) سطر في القانون ان «الحب» واجب يقع
على عاتق الزوجين .

ولاسباب اخرى ويطرق اخرى ، يضاف الاميريكون ، الذين
يحترمون الزواج والتفدية معا ، جهودهم للتوفيق بين الحياة الجنسية
والزواج . وتظهر في كل عام كتب كثيرة للتعريف بالحياة الزوجية ،
هدفها ان تعلم الرجل كيف يحقق الانسجام التام مع زوجته . كما يقوم
كثير من الاخصائيين في الشؤون النفسية والاطباء بدور «الستشاريين»
في الامور الزوجية» وهم يقولون بان للمرأة ايضا الحق في اللذة وان على
الرجل معرفة الاسول الكفيلة بتأمينها . الا انهم اذوا ان النجاح ليس
مسألة «اسول» فقط . واذا حفظ الشاب عن ظهر قلب عشرين مؤلفا
مثل : «ما يجب على كل زوج معرفته» ، «سر السعادة الزوجية» ،
«الحب بلا خوف» - فليس من الاكيد انه سيرفد كيف يجتذب قلب

زوجته . فالمرأة تستجيب لجموع الوضع النفسي ، والزواج التقليدي بعيد عن تعقيد احسن الشروط لتثبيته وتثبيت الرغبة عند المرأة .



اكتسبت البكارة قيمة اخلاقية دينية لينة . وهي معترف بها اليوم بصورة عامة . ففي بعض المناطق الفرنسية ينتظر استمحاء الزوج وراء باب غرفة الزفاف وهم يضحكون ويخنون ، الى ان يظهر عليهم الزوج ليعرض عليهم التذليل مطلقا بالدم ، او ان اعطه يعرضونه صباحا على جيرانهم . وعلى كل فان عادة «ليلة العرس» ما زالت منتشرة بشكل اقل وحشية . وما دامت العلاقة الجنسية يبررها المجتمع فلا يسكن العلاقة الشريكين الا ان تكون حيوانية . حيثة يبرز الزواج مغزاه العام التجريدي : رجل والمرأة يجتمعان بحسب حقوق ومزية اسما من الجنس . الا ان النظمين اللذين يجتمعان في الجو المنحدمي للسري هما شخصان حقيقيان ومعينان .

قصت الكتابة (كوليت) انها اسميت لما كانت في الثالثة عشرة من عمرها بارتباك مخيف حين اخذتها صديقتها لرؤية غرفة العرس . فقد احست بتناقض كبير بين مظاهر الاتراح العائلية والفرح الحيواني للسري الكبير المحبوب .

ان الناحية الساحرة للزواج لا تظهر في الحضارات التي تبرز فردية المرأة . ففي الغرب في يومنا هذا يؤخذ الرجل والمرأة على انها فردان . وللدخول الى حفلة الزفاف يتفاحكون لان هذا الرجل بالذات وهذا المرأة بالذات سيؤمنان شخصيا في تجربة فردية سرية ، بعملية مفضاة

بالطقوس والخطب والزهور . ان العروس الشابة تعص ببطء كبير
حين تكتشف فردية التجربة الواقعية . والكتب النفيسة زاخرة بقصص
النساء الشابات اللواتي يمدن عندهن والدتهن ليلة الزفاف والصومع تهتم
من العيّن . وقد استمت الى عدة قصص بصورة مباشرة . امثال هؤلاء
الفتيات يكن عادة قد تلقين تربية عالية دون ان يظلمن على التربية الجنسية
ليفاجأن امام اكتشاف الجنس .

في القرن الماضي كانت السيدة (آدام) تصور انها مضطرة الى الزواج
من رجل قبلها من فيها ، ان كانت تعتقد ان ذلك هو الشكل الكامل
للانجاب الجنسي . وقص سيككل منذ عهد قريب حكاية الزوجة الشابة
التي خلا بها زوجها ليلة العرس فحسبته مجنوناً من تصرفاته فلم تبس
بكلمة خوفاً منه .

ان فتيات اليوم اكثر اطلاعا ، على ان موافقتهم تبقى لها الصفة
التجريدية . ويتقى للاختلاف بين اول مرة طابع الانجاب ، حتى ان
(هافلوك ايليس) يقول : ان حوادث الانجاب المرتكبة اثناء الزواج
اكثر من الحوادث المرتكبة خارجة . وجميع «لوجياور» في كتابه اكثر
من ١٥٠ حالة اميبت فيها النساء بجروح اثناء الجماع . واسباب ذلك
القسوة ، السكر ، الوضع الخطيء . عدم تناسب الاعضاء . وفي انكلترا ،
يروى (هافلوك) ان امرأة سألت ست نساء متزوجات من الطبقة المتوسطة
وعلى جانب من الذكاء ، عن ردود فعلهن ليلة الزفاف فبين ان الجماع
كان صدمة بالنسبة اليهن . كانت التان منهما تجهلان كل شيء جهلا
تاماً والاربع الباقيات كن يحسبن انهن يعرفن شيئا لكنهن مع ذلك
سدمن شيئا . وقد أكد (آدلر) على اهمية ازالة البكارة من الناحية

النفسية . ان اللحظة الاولى التي يتك فيها الرجل كل حقوقه تقرر في اكثر الأحيان مسير الحياة كلها . فالزوج النقيح وغير المحرب قد يزرع بذور فقدان الحساسية النسوية . وقد يؤدي استمرار قسوته وعدم مهارته الى تحويل فقد الحساسية الى تخدير دائم .

يسرد ستيكل الحالة التالية كشكل للبداية التيمية :

نشأت السيدة هـ . ذ . نشأة غنيمة جدا فكانت ترتجف بمجرد التفكير في ليلة الزفاف . وقد خلع عنها زوجها ملائمتها بشيء من العنف دون ان يسمح لها بالاضجاع . ثم خلع ملائمته وطلب اليها ان تنظر اليه وهو عار . . فاختفت وجهها حينئذ سرخ فيها : لماذا لم تسكنني عند اعلك يا باردة ! ثم القاعا على السرير وازال بكتارها بعتفه . ومن الطبيعي انها اصبحت بالبرود الجنسي الدائم .

قد رأينا ، مثلا ، كل المواقف التي ينبغي للعفراء التغلب عليها لتستكمل استعدادها الجنسي . وان اطلاقها يتطلب جهدا فيزيولوجيا ونفسيا . فمن الحقن والوحشية تلخيص الاطلاق في ليلة واحدة . ومن السخف ان تحول عملية الجماع الاولى الصعبة الى واجب . . وما يزيد في شعور الرهبة عند المرأة ان العملية الفرية التي ينبغي ان تخضع لها هي عملية مقدسة اناطها المجتمع والدين والاسرة والمعارف بالزوج كما لو كان سيذاق . ولان هذه العملية تربط كل مستقبلها حيث ان الزواج له سفة نهائية . على ان الرجل نفسه يشعر بالقلق ايضا لان له مضاعبه الخاصة وعقده التي تجعل منه شخصا خجولا مرتبكا او بالعكس متوحشا .

ان الاحترام الشديد يرهق العنواء والاحترام الزائد يذلها . ومن النساء من يبغضن الرجل الذي يحصل على لذته بانانية على حساب الآمنين الا انهن يشعرن بالحرارة الدائمة تجاه الرجل اذا فرضن عليهن في الليلة الاولى . وتذكر (هيلين لانتش) ان بعض الازواج الخجولين يطلبون الى الطبيب ان يزيل بكمارة زوجتهم بسيلة جراحية بحجة انها سببت التكوين عضويا ، وقد يؤدي عجز الزوج الى امراض نفسية عند المرأة كما يتبين من المثال التالي لقرويد :

وكان من عادة احدى المريضات ان تركض من غرفة الى غرفة اخرى تتوسطها طاولة . وكانت تهيء غطاء الطاولة بصورة ما ثم تترك مستديرة الخادمة وبعد ان تترب هذه من الطاولة تصرفها ... حين حاولت ان تفسر هذا الهوس تذكرت ان على هذا الغطاء بقعة وانها كانت تمدد في كل مرة بصورة تظهر هذه البقعة امام الخادمة ... كل ذلك اعادته وتكررا لليلة الزفاف حيث ظهر قصور الزوج الذي ترك غرفته مرات عديدة ليعاود التجربة .

ولما خجلت من الخادمة التي كان عليها ان تهيء السرير صب شيئا من الحبر الاحمر على غطاء السرير ليدخل في روعها انه دم .
ان «ليلة الزفاف» تحيل العملية الجنسية الى تجربة قاسية يخاف كل من الزوجين ان لا يتغلب عليها . ان المشكلة الكبرى المطروحة على الزوج هي انه اذا داعب زوجته بتقني ز^٦ . فقد يجرحها . ويبدو ان الخوف من ذلك يشغل ايضا الازواج لاميركيين خصوصا عند الذين تلقوا تعليما جامعا ، كما جاء في تقرير (كينسي) . الا انه قد ينشغل في تبييه حساسيتها اذا «احترمها» .

ان هذا الوضع يخلقه ازواج الموقف النسائي : فالمرأة الشابه ترغب في اللذة وترفضها في الوقت نفسه . فاذا لم يكن الزوج ذا حظ استثنائي فانه يبدو بالضرورة اما فاجرا خليعا او ساذجا غيبط . فيجب ان لا نعترينا الدعوية اذا بدت «الواجبات الزوجية» ، في اقلب الاحيان ، عينا ملتززا بالنسبة الي المرأة .

يقول (ديدورو) :

«خضوع المرأة لرجل لا يعجها عذاب بالنسبة اليها . رأيت امرأة غاضلة ترتجف حين يقرب زوجها منها . ورأيتها تغطس في حرن الماء ظنا منها انها لم تظهر تنظرا كافييا من دنس الواجب . نحن معاشر الرجال نجعل تحريا هذا النوع من التفرز . ان السعادة القصوى تتخلى عنهن وعن بين احضان حبيهن الميود في حين نشعر باللذة مع امرأة مساوية لا تعجنا . النساء اقل تحكما بعواهن من الرجال ، الا ان الشهوة عندهن ليست سريعة ومضوطة كما عند الرجل» .

نساء كثيرات ، في الحقيقة ، يصبحن امهات وجدات دون ان يتعرفن على اللذة . بل ان منهن من يحاولن التخلص من «دنس الواجب» بالحصول على شهادات طبية او اية وثيقة اخرى . وبين تقرير (كيسبي) ان كثيرا من الزوجات في اميركا يتخرون من كثرة مرات الجباع ويستبين ان يقلل لزوجيهن من مددعا ، وقليلات جدا النساء اللواتي يرغبن في مرات أكثر .

ولكننا رأينا ان امكانية المرأة للجباع تكاد تكون غير محدودة . هذا التناقض بين ان الزواج يقتل الشهوة الجنسية في حين يدعي

انخفاضها لقواعد .

وسف (موريلك) في قصته «تيريز ديكيرو» ودود فعل امرأة زوجت
«زولجا غلباء» ، أمام الزواج بشكل عام والواجبات الزوجية بشكل
خاص :

ولعلها كانت تبحث في الزواج عن ملجأ أكثر من بحثها عن التسلط
والامتلاك ، ألم يكن الضر هو الذي دفع بها إليه ؟ لما كانت امرأة عملية
فانها كانت تستعمل الحصول على وضع نهائي . كانت تريد ان تضمن
نفسها ضد خطر وهمي . ولم تبت قط عاقلة مثلما كانت عليه أثناء
الخطوبة ، وكانت منسجمة تمام الانسجام ضمن إطار النظام العائلي .
واحتت انها ضمنت لنفسها النجاة ، ألا انها احست بنفسها مضيعة يوم
الزفاف الخاطئ في كيبية سان كلير الضيقة . لقد دخلت القفص شبه
ثالثة ولما سمعت ضجة الباب بطن من خلفها عادت فجأة الى رشدها .

بعد ليلة الزفاف فكرت في نفسها قائلة : «كانت ليلة فظيعة» ثم
اضافت «لألم تكن فظيعة تماما» . وخلال رحلتها الى البحيرات الإيطالية
عرفت كيف تكيف جسما مع هذه التضارعات فكانت تشمر بالذمة .
هذا العالم الجهول ، عالم الأحاسيس الذي يدفعها رجل الى دخوله .
كانت مخيلتها تساعد على التصور بانها هي أيضا تستطيع الحصول
على السعادة . لكن لبي سعادة ؟ انها تشبه نعلينا للشمس ونحن نخطو
الى المطر الشمر ، هكذا كانت تكتشف تيريز اللذة .

وهذه شهادة أخرى اوضح من الأولى . انه اعتراف جيمه (ستيكيل)
من امرأة في الثامنة والعشرين ، نشأت في وسط متقف .

«كنت سعيدة بخطوتي إذ شعرت أخيراً أنني في ملجأ وسرت
شخصاً يستدعي الاهتمام . كنت نائمة مدللة وكان خطيبي يحيطني بحبه .
كل هذه الاكثياء كانت جديدة بالنسبة الي . وقد اشعلت القبلات في
التار . وفي صبيحة يوم الزفاف كنت في درجة من العيجان جعلت قيصي
يتبلل بالمرق . كنت افكر في أنني أخيراً ساعرف على المجهول . كانت
لدي فكرة صيالية هي ان على الرجل ان يقول في فرج المرأة
وشعرت في غرقتا بالصدمة لما سألني زوجي فيما اذا كان عليه ان يتعد .
وقد طلبت اليه ذلك لاني كنت اتعمر حقاً بالخجل لان مشهد التعري
لعب دوراً في مخيلتي . ثم عاد زوجي باندي الارتياك بعدما صرت في
السرو . وقد اعترف لي فيما بعد انه لواقع لمنظري : كنت اجسد الشياح
المرح المستلخ بالترقب .

ولم يكذب يظلم ثيابه حتى اطلقاً النور ، وان هي الاقبة حتى حاول
ان يفتلكني رأساً . كنت اشعر برغبة شديدة فطليت اليه ان يتركني
ساكنة . كنت اتمنى ان اكون بعيدة عنه ، لاني التزمت من هذه المحاولة
التي لم تسبقها مداعبات تهييوية . لم يكن في تصرفه قسوة بل قلة في
اللباقة والحساسية . كل محاولاته خلال الليل كانت بلا نتيجة فأخضت
اشعر بالنعاسة . كنت خجلة من حماقتي طاعة اني مخطئة او غير صحيحة
التكوين وأخيراً اكتفيت بقيلانه .

بعد عشرة ايام تمكن من ازالة بنكراتي ، الا ان الجناح لم يدم سوى
بضع ثوان ولم اشعر بشيء . ما عدا ألم بسيط . كانت المسألة بالنسبة الي
خية طن كبرى .

بمدافئ الخفت احس بقليل من البهجة التاء الجناح ، الا ان النجاح

كان شاقا وكان زوجي يجد صعوبة في تحقيق هدفه . وفي مدينة «براغ» شعرت باللذة الكاملة مرة وانا اتخيل شخصا آخر وتكرر ذلك عدة مرات . الا انني في النهاية لم اعد احس بالاكتمال لان اللذة كانت قصيرة جدا . وبعد ولادتين لم اعد ابلغ النشوة الا نادرا اما زوجي فكان يبلغها دائما . فاخضت اتباع العملية بالقلق وكنت احس نجاعه بالبعض اذا ما تركني بعد اكتماله

ان الخطوة من شأنها ان تتيح للفئة التعرف التدريجي ، لكن العادات غالبا ما تفرض على الخطيب عنة بالغة .

ان مصاعب التجارب الاولى يسكن الغلب عليها بسهولة اذا اتزع الحب او الرغبة من الشريكين موافقة تامة . والحب الجنسي يأخذ قوته وكرامته من الفرح المتبادل بين المحبين وهم يشعرون بحريتهم ، ولا تعود العملية مفروضة بل منتقاة . الا ان مبدأ الزواج يجرح العفة لانه يحيل الى حقوق وواجبات تبادل ينبغي ان يؤسس على استعاضة عفوية ، انه يعطي الاجسام صفة آلية ، ان يفرض ان تتعارف بشكل عام . ومن الطبيعي ان الزوجين قد يتجادبان جنسيا منذ اول ليلة . والزواج يسهل استسلام المرأة بازاحة فكرة الخطيئة المرتبطة بالجد . وان التعاض المتناظم يؤدي الى التعة جنسية تساعد على التمتع الجنسي . الا ان ذلك لا يفتح ان المرأة تضامر مقامرة كبرى بتعمدها ان تمام كل حياتها مع رجل لا تعرفه جنسيا في حين ان مصيرها الجنسي معلق تعلقا جوهريا بشخصية شريكها .

من المرأة الادعاء بان الاتحاد القائم بحسب الامسول له حظ كبير في ان يحدث الحب . ومن السخف ان نطلب من زوجين مرتبطين بمصالح

اجتماعية واخلاقية ان يتدقق اللذة على بعضها طول الحياة . الا ان
انصار الزواج العقلي عينا يحاولون ان يثبتوا ان زواج الحب ليس له
خط كبير في تأمين سعادة الزوجين . ان الحب المثالي الذي هو الحب
الذي تعرفه الفتاة غالباً ، لا يجعلها دائماً مستعدة للعب الجنسي . ولذا
كان بينها وبين خطيئها تجاذب جنسي صحيح وشديد فلا يشكل ذلك
اساساً متيناً لبناء مشروع حياة .

كثبت كولايت : لاتحل اللذة في صحراء الحب اللامتناهية زاوية
صغيرة ملتجة . وهي من التأجج بحيث لا يرى المرء سواها في البداية .
لما حول هذه النقطة فيسكن الجهول والخطر .

وحيثما يصحو الزوجان من العناق او حتى من لياة طويلة يبقي لهما
التفكير في العيش الواحد بجانب الآخر . الواحد من اجل الآخر .

وحتى في حالة اقتران ممارسة الحب الجسدي قبل الزواج او تسببه
في بداية ليلة الزفاف ، فمن النادر جدا ان يدوم انهما طويلاً .

ثم ان الواحد ينظر الى الآخر كوسيلة لارواء الحاجات وان كانت
العشمة الزوجية تخفي هذا الامر . وقد لاحظ الدكتور (لانغش) ان
المرأة قد تنظر الى عضو الذكر كمثوية للذة خاصة بها وتحرص على
مراقبتها .

ان الارواء الوحشي للحاجة لا يتكفي لارواء الفريزة الجنسية
الانسانية . لذلك يخفي وراء الصفات والقبولات الشرعية شيء من
القبور . بل كثيراً ما تستعين المرأة بتصورات مبهجة .

يروي ستيكل قصة امرأة تسهر بالليل مع زوجها اذا غابت وجلا

أقوى منه بنية وأكبر سنا وأغلبنا ، دون أن تطلب إليه ذلك ، بصورة لا
تستطيع الدفاع عن نفسها ، وتتصور أنها ضحية لاستبداد ، وأنها تتعرض
للضرب وإن زوجها شخص آخر .

وزاود الزوج احلام ماثلة فيصور في صدر امرأته صدر احدي
الراقصات وكل جزء من جسدها يعيده الى صورة او ذكرى ...

يقول شيكل :

«لا يخلق الزواج بين الترمكين العرافات وتشيبيات تهدد بقطع كل
فاصل بين الحقيقة والخيال» وفي نهاية الامر ينشأ عند الرجل والمرأة
فجور واضح يأخذ احيانا في الزواج شكلا منظما جديا . والحقيقة ان
الحب الجسدي لا يمكن اعتباره لا كغاية ولا كمجرد وسيلة .

* * *

لا تعد البورجوازية الفتاة بالحـب بل تلوح لها بالسعادة على انها
الهدف الاكمل . وفي بعض فترات البهوجة والامن كان هذا المتل الاعلى
عاما عند البورجوازية وخاصة الملاكين الثقارين . ولم يكن يستهدف
التطلع الى المستقبل بل المحافظة على الماضي . والحياة المنفصلة هي الحياة
المادية التي ليس فيها طموح او هوى ، وايام تنوالى دون هدف وتتكـرر
دائما على نفس الوتيرة ، حياة تسير الى الموت سيرا عاديا دون ان تبحث
لنفسها عن اسباب ومبررات .

لقد فقدت هذه الحكمة الزويرة المستوحاة من زنون اعينتها في هذا
اليوم . فأبقاء العالم على ما هو عليه امر غير ممكن وغير مرغوب فيه .

والرجل خلق للعمل وبني له ان يناضل ويبتغ ويوسع ويسو نفسه نحو كلية الوجود ولا نهائية المستقبل . بيد ان الزواج التقليدي لا يتيح للمرأة فرصة الأطلاع مع الرجل بل يتركها في حالة الجمود ، فلا يبقى امامها حينئذ الا تبني حياة متوازنة حاضرها بسند الماضي وتضرب من تهديد المستقبل .

وإذا لم تكن محبة لزوجها قائما بحسن بالحنان والاحترام المسمى بالحب الزوجي . فتقطع عن العالم لتخطئ النوع البشري بين جدران المنزل الذي تسهر على ادارته . على انه ما من كائن بشري يتغلب نهائيا عن الارتقاء والسو مهما كان مصرا على افكاره . فالرجوازي كان يعتقد انه اذا حافظ على النظام القائم وبرز فضائله بنجاحه وبحيويته فانه الاله والوطن والحضارة . وحياة المرأة النزلية تسو نحو غايات ، والرجل هو الذي يلعب دور الوسيط بين فرديتها والعالم . وليس عليها ان لا تضع كيانها بين يديه لينطيه هو المقوى .

المرأة ملكة في الفار ، ناعمة بالهدوء والاستقرار ، اما الزوج فهو الذي يتكفل بحملها خلال العالم والزمان الامتاعي . المرأة زوجة وام وسيدة بيت تجد في الزواج القوة على العيش وتغري للحياة .

اما ينبغي لنا ان نرى كيف يتحقق هذا المثل الاعلى في الواقع :

كان المثل الاعلى للسعادة مثلا دائما في المنزل فمرا كان ام كوخا . بين جدرانها تتشكل الاسرة كخلفية منعزلة تؤكد هويتها عبر الاجيال المتقلبة . اما الماضي فيتخذ شكل اثاث ورسوم للجدود ليجسد سلفا مستقبلا غير محطوف بالاعطار . وتطلع الى الحديقة لترى قلب القصور

الريب فلا الزمان ولا المكان يطلان على الانهاية بل يدوران في حلقة مفرقة .

وفي كل حضارة تستند الى الملكية العقارية ترى آداباً تتغنى بفضائل المنزل . قصة (هانري بورديو) «البيت» تلخص كل القيم البورجوازية : الاخلاص للماضي ، الصبر ، التوفير ، حب الاسرة وسقوط الرأس .

اما اليوم فقد فقد المنزل بهجة السالفة ولم يعد بالنسبة الى كثير من الرجال سوى مسكن لا يكتظ بالذكريات السالفة ولا يقيد العصور المقبلة . على ان المرأة لا تزال تبذل جهدها لتضفي على منزلها التنوير والمعنى اللذين كانا للبيوت الحقيقية .

هذه العناية خاصة بالنساء . فالرجل الطبيعي لا ينظر الى الاشياء المحيطة به الا على انها ادوات ووسائل فيضعها بحسب ما خصصت له . ان تنظيمه — الذي لا ترى فيه المرأة الا نوعاً من الفوضى — هو ان تكون سجاريه واوراقه وادواته تحت متناول يده .

ويرى نفس الشيء عند الفنانين خاصة . فالتعاون والرسامون الذين يقع على عاتقهم عبء اعادة تنظيم العالم لا يباليون بالاطار الذي يعيشون فيه .

كتب (ريلكه) عن (رودان) :

«لما زرت رودان اول مرة فهمت ان المنزل لم يكن بالنسبة اليه سوى ضرورة بسيطة : انه ملجأ ضد البرد وسقفه ينأم تحته . كان يشعر بالملل والاشفاق على حبيبتك عندما لم يكن كعد يوارثي وتصورين انك تشكاه . اما بيته الحقيقي فكان ضمن ذاته» .

أن من ينبغي أن يجد مأواه ضمن ذاته ينبغي أن يكون صاحب مؤلفات واعمال . والرجل لا يهتم الا قليلا بداخل المنزل لان الطريق الى العالم كله مفتوح امامه وبإمكانه ان يؤكد ذاته من خلال اهدافه ومشاريعه .

اما موقف المرأة تجاه المنزل فيعينه نفس النطق الذي يعين موقعها بصورة عامة : انها تحيل نفسها الى قرينة وتحرر عن طريق التنازل . لا توعد المرأة باب المنزل دونها وهي غير آسفة . كانت الارض موطنها والغابات ملكا لها لما كانت فتاة . اما الآن فهي محجوزة ضمن اطار ضيق الجدران . استحات الى مكان صغير مطلق بالنسبة اليها والجدران تسد الافق امامها .

فتستعج الى احدى بطلات (وواله) :

ولم اعد امير الشتاء من الصيف الا من البغار المتجمع على الزجاج .
مع اني كنت فيما مضى اسرح في الغابات وامسند في طرفي الافاقين
والرياحه .

لذلك تعمل المرأة على انكار هذه الحدود القيدة . تستعويض بالرسم عن الطبيعة ، وبزوجها عن الجماعة البشرية . اما طفلها فيصور المستقبل تصورا عبقريا . هكذا يستحيل البيت الى مركز العالم بل يصبح حقيقته الوحيدة . فالبيت ، مهما كان شكله يحسبها من تهديد العالم الخارجي للبهيم الذي يكاد ينفذ واقعيته . وحين يحل المساء وتطلق نوافذ بيتها تحس بنفسها انها ملكة . انها تزجج من ومنش النور في النهار وتسكر كل ما لا تملك في الليل .

تجد المرأة في ربة البيت تعبرا عن شخصيتها • فاليات قسستها
المخصصة لها في هذا العالم ، وهو ايضا تعبير عن قيمتها الاجتماعية
وحقيقتها الحقيقية • وانها تتأكد من استواءها على بيتها عن طريق
العمل المنزلي • فتراها تصدر تعليماتها الى الخدم أمرة ناهية كيما تسب
الى نفسها ما ينجزه الخدم • ومن مهادها ايضا السهر على الغذاء واللباس
والعناية بجمع الاسرة بصورة عامة • هكذا تحقق المرأة ذاتها كشفاط •
لكنه نشاط لا ينتشلها من جهودها ولا يسبح لها بتأكيده فرديتها •

هناك اشمار كثيرة تغني بالاصال المنزلية • من الصحيح ان المرأة
تشف • نتيجة لهذا الاعمال ، وجها لوجه مع المادة وانها تحقق مع الاشياء
نوعا من الالفة التي تغني ذاتها • تصف (مادلين بوردوكسبر) ما تشعر به
البطة من لذة وهي تنظف فرنها في قصة : «البحث عن ماري» بقولها :
انها تحس بالحرية والقدره في نهاية اسابيعها • • وتحدث كاتبات عديدات
بشغف عن الغسيل الكروي وريق ماء الصابون والشرابشف البيض
والنحاس البراق • وبعد ما تنتهي ربة المنزل من عملها تشعر بفرحة
التأمل • ومن الضروري ان تكرس المرأة عايتها بنزل تزهو به كيما
تحس انها تغني نفسها قضاء ايجابها والا فانها لا تعرف مطلقا على لذة
التأمل الذي يكافئه جهودها •

وصف احد الأمريكين ، بعد ما قضى عدة شهور مع البيض الفقراء
في جنوبي الولايات المتحدة ، مصير احدى النساء المهجمات بالعمل والتي
تعمل عبثا على جعل مسكنها الحثير صالحا للسكن • كانت تعيش مع
زوجها واولادها السبعة في كوخ خشبي مغطى بالشعوار وزاخر ببق
القران • حاولت دون جدوى ان تجعل بيتها جيلا ولكن بقي لها نفس

الكوخ الحقر . فقالت والدموع تنهمر من عينها . «أشد ما أبطئ هذا البيت ، يبدو ان لا شيء في العالم يجعله جميلا» .

لقد كتب على كثير من النساء في العالم التعب الدائم المتكرر في معركة لا تؤدي الى النصر . ان نفس المرأة ثوب وهي تمشي في مكائنها انها لا تعمل سوى الابقاء على الحاضر ولا تشعر انها تعمل طيرا ايجابيا بل تحس انها تكافح الشر دائما . وهذه المعركة تتكرر كل يوم .

ان قصة الخادم الذي رفض تطبيع حذاء سيده معروفة . ان قال نفسه : لماذا اعذب نفسي ... ما دعت سأعود العمل نفسه في الغد . وثمة فتيات كثيرات من اللواتي لم يرضخن لمصيرهن يشعن بنفسن اليأس . وهذا يذكر بموضوع كتبه تليفة في السادسة عشرة استهته بما يلي :

«اليوم مخصص للتطيف والتعزيل . ان صوت المكتسة الكهربائية يصل مسامعي ، ان نفسي تلغضي الى الهرب ، ان يكون في بيتي حينما اصبح امرأة كبيرة ، يوم للتطيف والتعزيل» .

يوامح القتل المستقبل كارتقاء دائم نحو قمة مجهولة . وحينما ترى الطفلة انها وهي تغسل الصحون في المطبخ فهم يفتة ان يدي انها تفتس في ماء الغسيل كل يوم وفي نفس الساعة . وستبقى خاضعة لنفس الطقوس حتى الموت .

لا شيء سوى الاكل والنوم والتطيف . السنوات لا تسير سعدا الى السماء بل تتدرج رتيبة على صنعة القية منبسطة . كل يوم يقتدي بسابقه . انه حاضر ابدي عقيم لا امل منه ولا رجاء .

وصفت (كوليت اوسوي) وصفا ماعرا عظم النشاط الذي لا يستطيع

سيئا امام الزمن :

«في اليوم التالي ، عثرت على شيء ، وهي تكس تحت المقعد الكبير
نصيبه اول الامر قطعة قطن او وبرة ضخمة . ولكن لم يكن سوى
كرة من الغبار ، من النوع الذي يتجمع فوق الخزون المهتلة او خلف قطع
الاثاث بين الخشب والحائط . وبقيت ساهمة امام هذه المادة الغريبة .
هكذا قضت لثمانية او عشرة اسابيع وهي تعيش في هذا الدار . ورغم
ضاية جوليت ، اتيج لكرة من الغبار ان تتشكل وتتضخم وهي قابلة
في الطلام . هذه الكرة الصغيرة من الغبار تنبئ عن الازهال ، عن بداية
التخلي . على ان هذه الكرة كانت تمثل وضعا ثانيا ، للغبار المنتصر .

حياتها المشتركة هي السبب في كل شيء . انها مثل غيرها من
الازواج ، يفرزان الاقدار التي يجب التخلص منها ليفسح المجال امام
غيرها . يا لها من حياة ... كل ذلك في سبيل ان يظهر زوجها المهندس
حسن الهندام .

كانت ثمة عبارات تتولد في رأس مرغريت : «السهرى على العناية
بارضى الغرفة او بالصيانة النحاس استعملوا ...» اما هي فكانت
مكثفة بالعناية بالثمن من الكائنات حتى لنهاية العمر .

الانجاب ، الكي ، التكنيس ... هذا يعني إيقاف الموت وايضا
الحرمات من الحياة . فالزمن في حركة واحدة يخلق ويهدم اما ربة البيت
فلا تتلقى الا الناحية السلبية . ان موقفها شبيه بموقف الماتوي الذي
يؤمن بوجود مبدئين : مبدأ الخير ومبدأ الشر . مع العلم ان الخير يبلغ

بالقضاء على الشر وليس بعمل ايجابي . اما المسيحية فليست كالمثوية
ولم وجود الشيطان ، لان الانسان اذا بنى نفسه لرب يحارب الشيطان
ياحسن طريقة .

ان كل مذهب يقول بالتجاوز والحرية يربط قبر الشر بالتقدم نحو
الخير . الا ان المرأة غير مدعوة الى بناء عالم افضل . فالبيت والفرقة
والتياب الوسخة كلها اشياء جامدة . وليس باستطاعة المرأة الا ان تطرد
طردا دائما مبادئ الشر التي تنزلق الي هذه الاشياء . فتهاجم البقع
والغبار والطين وتحارب الخطيئة وتناضل ضد الشيطان . ومن المحزن
ان تلتفت المرأة الثمنا دائما الى محاربة عدو بدل ان توجه نحو اهداف
ايجابية . وقد تصل حد الهوس فتفيد حريتها برفية ما لا تريد فتحمل
على القبار بغضب . ولا يتكاد احدكم يدخل ميدانها حتى تبتق عينها :
«اسبح رجليك ، لا تمس هذا» . حتى انها قد تفقد كل بهجة في الحياة
وتصبح قاسية العينين ويبدو وجهها منهكاً كل الانهك ، دائم التأهب .
وتلذذ من نفسها بالحبيطة والبخل فتفلق التوافق لان الحشرات والقبار
تدخل مع الشمس ، ثم ان الشمس تاكل وير السجاد ... ان بعضهم
الايواخ لا يفصل عن بعضهم الخدام وكل البشر واتخاصهم بالغات .

وعلى كل حال ، ليس هناك سوى نساء قليلات يخترن منذ شباهن
مثل هذه الاخلاق المكفرة ، لان النساء اللواتي يعينن الحياة لا يعرفن
ذلك . تقول كوايت :

«كانت نظيفة متفرزة لكنها كانت بعيدة عن الهوس الذي يدفع الى
عد المناشف وقطع السكر والزجاجات المثلثة» .

ان البرادات والمصدومات من النساء يصبحن حقودات عصبيات المزاج . وقد تعرفت الى سيدة عجوز من عاداتها ان تستيقظ كل صباح في الساعة الخامسة لتفتش خزائنها وتعيد ترتيبها . يبدو انها كانت امرأة مرحة في شبابها . الا انها ماتت نحو الترتيب كما يقبل البعض على الشرب نظرا الى انفرادها في مكان معزول مع زوج مهمل وولد وحيد .

اما (ليزا) التي يتحدث عنها (جوهانندو) فينجم ميلها الى العمل المنزلي من رغبتها الجامعة في بسط سيطرتها على عالم ما ، ومن الرادة للتسلط تدور في الفراغ لعدم وجود مجال لها ، انه نوع من التحدي للزمان والعالم والحياة والرجال والكائنات كلها .

وماذا تفعل ليذا منذ نهوضها حتى لومها ؟ انها تزحزح كل لحرض وكل اثاث وتلمس كل زاوية من ارض الغرف وجدرانها وسقفها . تقول عنها انها انها منهكة جدا حتى انها لا تشعر بوجود شخصها .

يتيح العمل المنزلي في الواقع للمرأة فرصة العروب الدائم والابتعاد عن ذاتها . او كما يقول (شاردون) : «انها تبلغ حالة من الفراغ الذهني تفضي عليها» .

لهذه النسوة تلاحق المرأة بها الاثياء ونفسها طابع جنسي غالبيا . ومن الواضح ان حتى النظافة يأخذ اهمية بالغة في عولادة لان نسائها يتصفن بالبرود . وللحضارات النسكة عادة بالطير والتي تطرب لذائد الجسد مثل اعلى يقوم على النظام والظاهرة . ولا تعيش بلاد جنوبي اوروبا في جو من القفارة المرحة بسبب قلة المياه ، ان حب الجسد وحيوانيته يقود الى تحمل رائحة البشر والقدارة .

ان اعداد الطعام عمل اكثر ايجابية ومرحا من التنظيف ، فهو يتطلب
اولا الخروج الى السوق ، وهذه هي الفترة المفضلة في الحياة اليومية
بالنسبة الى كثير من ربات البيوت ، لان الوحدة تميل على المرأة وخاصة
ان الاعمال المألوفة لا تشغل بالها ، فهي تشعر بالسعادة ، في المدن
الجنوبية ، لانها تستطيع ان تخطيط وتفضل وتحضر الخضار على عتبة
الباب وهي تترنر .

رايت قرية صغيرة واقعة في منطقة القبائل في الجزائر ، حطمت فيها
النساء عين الماء التي بنيت في الساعة ، لان النزول كل صباح الى النبع
لشباب في سطح التل كان التسلية الوحيدة بالنسبة اليهن .

والنساء حين يتسوقن البضائع يتبادلن عبارات يؤكدن بواسطتها
«قيا منزلية» حيث تجد كل واحدة منهن معنى لاهميتها ، ويشعرون
الهن اعضاء مجتمع يجابه مجتمع الرجال ، والشراء خاصة بشكل لفة
صيقة ، انه يكاد يعادل الاختراع ، فينب البائع والمشرية تتكون علاقات
صراع وتعايل ، والمشرية تحاول ان تحصل على احسن بضاعة بأرخص
سعر ، ان الاهمية القصوى التي تضفي على توفير بسيط جدا لا يمكن
تصيرها بالحرص على توازن الميزانية ، بل ان هدف المرأة هو ان تخرج
رابحة ، فحينما تتفحص البضاعة المعروضة تصيح ملكة ، العالم تحت
قدمها يترواه ومصايده كيدا بأخذ فرستها ، وهي تحسن بظفر عاير
حينما تفرغ على طاولتها كيس الثؤن ، وعلى الرف تصف العلب المحفوظة
كفستان ضد المستقبل وتأمل بانسراج الخضار واللحم التي ستضعها
لسطانها .

لقد قضى الغاز والكهرباء على سحر النار ، الا ان النساء في الارياف

ما زلن يعرفن بجهة الحصول على الذهب العمي من الخشب الجاف . ولا
تكد النار تشتعل حتى تصبح المرأة ساحرة . وبحركة بسيطة من يدها
أو بسحر النار تجري تحولا على المواد وتصبح المادة غذاء .

تصف (كوايت) هذه العمليات السيمائية بقولها :

«إن جوامن السحر والالغاز يجري بين لحظة وضع القدر وما فيها
على النار ولحظة رؤية الآلاء على الطاولة والدخان يتصاعد منه» .

وقد نضت الكتابات بشكل خاص بصنع المزيات : انه لمشروع ضخم
ان يمزج الانسان السكر الجاف الصافي بالفواكه . ان المادة الزيدة
المحرقة التي تولد تدريجيا مخطرة . وان ربة المنزل تسيطر على هذه
المادة الشيعة بحسب الراكن ثم تصبها في النهاية في الآلية وهي مزهوة .
ويمكن للمرأة ان تشعر بارتياح خاص حين تنجح في اعداد الطائر لان
الجميع لا يحسنون ذلك بل يجب ان يكون هناك موهبة . كتب
(ميشليه) قائلا «لا شيء اسب من فن المعجنات» .

وقرى في هذا الميدان ايضا ، ان الفتاة الصغيرة تسلي في اقتداء من
هن اكبر منها . انها تحس بسعادة بالغة حين تحصل على قرن صغير حقيقي
كعبة وحينما تقبلها لها في المطبخ وتسمح لها بوق العجين .

الا ان الوضع هنا مثل الوضع في العناية بالزول ، فالتكرار سرعان
ما يستنزف اللذة . فعند الهنود الذين يتخلون خاصة بنوع من المعجنات
تطبخ النساء نصف يومهن وعن يعجن وقلين ويعجن من جديد ، كل يوم
تحت سقف ، بنفس الطريقة خلال العصور : الهن لا يشعرون ابدا بسحر
القرن . ولا يمكن ان تحول كل يوم عملية الشراء الى عملية بحث عن

كجزء أو الشعور بالنضوة امام لمعان العنيفة . ان الرجال والكتابات خاصة هم الذين يفتنون بصورة شعرية بهذه الانتصارات لانهم لا يقومون بالاعمال المنزلية او الهم يقومون بها نادرا . ان هذا العمل اليومي يصبح رتيبا وآليا ، لان فترات الانتظار تتخلله : يجب انتظار الماء حتى تغلي وانتظار القليل حتى يصبح نظيفا . ولو علت المرأة على تنظيم عدة مهام ما لبقي لها لحظات طويلة من السلية والقراخ . هذه اللحظات تفسح المجال امام الضجر ، ولا تشكل سوى وسيط غير جوهري بين الحياة الآتية وحياة القد . فاذا كان النخص الذي يقوم بها منتجا مبدعا التمتع في تاريخ وجوده النماجا طبيعا مثل الوظائف العضوية . لذلك تبدو السخرات اليومية اقل كآبة حين يقوم بها الرجال لانها لا تعمل بالنسبة اليهم سوى لحظات سلية غائرة يتجولون خلالها منها .

ان ما يجعل مصير المرأة — الخادمة جافا هو تقسيم العمل الذي يكرسها تكريسا تاما لما هو عام وثاقه . فالسكن والنفذ اشياء مفيدة في الحياة الا انها لا تجعل الحياة ذات مغزى . والاهداف المباشرة لربة المنزل هي وسائل مادية وليست غايات حقيقية . فليس عجيبا ان تحضر المرأة فرديتها كما تستمتع عطفا ، لذلك تنهني لنفسها طقوسا ونظيرات خاصة ، وتمسك بطريقتها في اعداد المائدة وترتيب البهو وطبخ الكفا ما ، كما تفتح نفسها ان ما من امرأة سواها تستطيع اعداد الشواء مثلا . اما اذا حاول زوجها او ابنتها مد يد المساعدة اليها ، فانها تسحب منها الكسبة او الاميرة قائلة لا يستطيع احدكم خياطة زر .

ان المرأة تهدد كثيرا من الزمن ونهر كثيرا من الجهد في محاولتها

البحث عن الامالة والكمال الفردي ، لذلك يصعب تقدير عبء الاعمال المنزلية تقديرا دقيقا . وبحسب تحقيق لشرته جريئة (كومبا) عام ١٩٤٧ ، يبدو ان النساء المتزوجات يخصصن ثلاث ساعات و ٥٥ دقيقة تقريبا للعمل المنزلي وملحقاته في ايام العمل ، اما في ايام العطل فيخصصن ثماني ساعات . فيبلغ المجموع ثلاثين ساعة في الاسبوع اي ما يعادل ثلاثة ارباع مدة العمل الاسبوعي للوظيفة او العاملة . هذا كثير لا سيما اذا كان للمرأة عمل آخر ، وقليل اذا كان عطفا الوحيد .

والعناية بالاحتمال ، اذا كانوا عديدين ، تزيد كثيرا من متاعب المراقبة والام القوية تستنفد قواها في اعمال غير منظمة . اما البيورجوازية التي تعتمد على المساعدة فتكاد تكون عاملة تماما ، مما يدفعها الى الضجر . ونتيجة لذلك : تفقد نساء كثيرات واجباتهن ويضعفنها الى ما لا نهاية بصورة تصبح معها هذه الواجبات اكثر من العمل الاختصاصي .

واكثر ما يحزن في الامر ان هذا العمل لا يؤدي الى شيء دائم . فالمرأة تبذل الى اعتبار عطفا كافييا في حد ذاته . لذلك تأمل النظائر الخارجة من القرن وتصدر الآهات : من المؤسف اكل هذه النظائر . ومن المؤسف ايضا ان الزوج والاحتمال سيوسخون الغرفة بالقدمهم . ان الاشياء ، اذا ما استعملت ، توسخ او تحطم . لذلك تراودها نفسها كيان تحول دون اي استعمال .

هذه تحفظ المرات حتى يحل بها الغنى ، وتلك تقفل باب البهو بالمتاح . لكن من المستحيل ايقاف عجلة الزمن فالمؤن تجتذب الثران ، كما ان الديدان تتوضع فيها . ليس العالم حطما متحجرا جامدا بل هو مادة معرضة للتحلل . ان ربة المنزل التي تظلم ذاتها على الاشياء معلقة

مثل الاثياء بالعالم كله . الشواء يحترق والزجاج ينكسر ، وهذه مصائب مقلقة لان الشيء الذي ينكسر يضيع الى الابد . لذلك لا يمكن الوصول من خلالها الى الديمومة والاستقرار .

على نتاج العمل المنزلي ان يتدفق بالاستعمال . ويطلب من المرأة ان تتناول دائما عن اعمالها التي لا تنتهي الا بالضياح والخراب . وكما تضحي بها غير آسفة ، ينبغي لها ان تحسن يومضة الفرح امام هذه التضحيات الصغيرة . ولما كانت نتيجة العمل المنزلي تبيث الوضع القائم فان الزوج يلاحظ حين عودته الفوضى والاهمال ، بينما يبدو له النظام والنظافة اثياء طبيعية . وهو يهتم بصورة اكثر ايجابية بالطعام المعد اعدادا حسنا . ولحظة انتصار الطباخة هي حين تضع على الطاولة طبقا ناجحا فيقبله الزوج والاولاد بحرارة ، لا بالكلمات فقط بل بالاقبال عليه والتهامه بفرح ايضا . ان عمل الطباخة لا يجد حقيقته الا في فم المدعوين . هذه الحقيقة تتطلب منهم ان يفوقوا الاطباق ويعبروا عن رأيهم . ولئن كانت الزوجة تريد اسعاد زوجها فانها اميل الى الموافقة على النشاطات التي تفضل في نطاق ما تبنيه هي نفسها من سعادة .

انقضت العصور التي كانت تتميز بشمول هذه الرغبات . فقد كانت السعادة لثل الاطلى للرجل ويجدها قبل كل شيء في ارباطه بيته واسرته . اما الاولاد فكانوا يرضون بالتكيف تبعاً لاهلهم وتقاليدهم وماضيهم . وكانت المرأة سيدة البيت ورئيسة الطاولة مثل الملكة . وهي لا تزال تلعب هذا الدور في اوساط بعض الملاكين المقارين ، وبعض الفلاحين الموسرين الذين يفتدون الحضارة الابوية بصورة منقطعة . على ان الزواج اليوم هو في الغالب من بقايا العادات ، ووضع

الزوجة اسحب ما كان عليه من قبل . ان لا تزال تحصل نفس الواجبات دون ان يكون لها نفس الحقوق . كما لا تزال تقوم بنفس الاعياء دون ان تحصل على مكافأة وشرف نتيجة للتعرض بها . والرجل يتزوج اليوم لانه يريد ان يكون له بيت لكنه يحافظ على حرته في الهروب منه . انه يستقر ولكنه يبقى غافقا في قرارة نفسه . كما انه لا يحترق السعادة ولكنه لا يجعلها غاية بذاتها . ويولد التكرار الملل في نفسه ، فينشأ التجديد والمخاطر ويبحث عن الصداقات التي تنتسله من العيش مع شخص واحد . اما الاولاد فيستنون اكثر من الزوج تجاوز حدود المنزل . وحياتهم تكن في مكان آخر ... امامهم . والمرأة تحاول ان تشكل عاكس من الديسومة والاستمرار على حين يريد الزوج والاطفال مجاوزة الوضع الذي تعلقه ، هذا الوضع الذي لا يشكل بالنسبة اليهم سوى احد المعطيات ، لذلك قد تتجه المرأة الى فرض خدماتها بالقوة .

ان العمل الذي تقوم به المرأة في الداخل ينحها الاستقلال الذاتي لكنه لا يفيد المجتمع مباشرة ولا يطل على المستقبل ولا يتج شيئا . وهو لا يأخذ مكافاة الا اذا الحق بكيانات تسمو نحو المجتمع بالانتاج والعمل . انه لا يعمرها بل يجعلها معلقة بالزوج والاطفال . وهي لا تشكل في حياتهم سوى وسيط غير جوهري لان وضعها يستند الى تكوين الرابطة الزوجية نفسها .

لا يسمح للمرأة ان تقوم بعمل ايجابي وان تفرغ بالتالي نفسها كشخص كامل . ومهما كانت محترمة فانها تبقى تابعة ، ناتوية ، طفيلية . وان العنة الكبرى الحقيقة بما تكن في اهلها لا تسك بغزى وجودها بيدها . لذلك يعتبر النجاح او الفشل في الحياة الزوجية بالنسبة اليها

الخطر - فالرجل مواطن متوجع قبل ان يكون زوجا ، لما هي قائما زوجة قبل كل شيء ، او زوجة فقط - وان عملها لا ينشلها من وضعها لان هذا العمل يستند هو نفسه قيمته من وضعها .

ينبغي لنا اذن ان نرى كيف تعيش في الواقع هذا الوضع الذي يتحدد بصورة جوهرية بخدمة السرور وخدمة الاعمال المنزلية ، وحيث لا نجد مكائنها الا اذا رضيت بالتبعية .

تنتقل الفتاة من حال الى آخر يجعلها في ازمة - وينضم القلق المرتبط بالانتقال الى الاضطراب الذي يعدته الاطلاع الجنسي المفاجيء . ان ارتباطات الفتاة بمنزل والدها اوثق من ارتباطات الشاب . وتتفاوت الاقطاع في حدة الالم بحسب العائلات . فاذا تمكنت من تحطيم الاواصر التي تربطها بوالدها واخوتها وبها خاصة ، فانها تغادرهم دون مأساة . لما اذا بقيت خاضعة لهم فيمكن لها ان تبقى تحت سيطرتهم بصورة عملية ، ولا يكون تغير وضعها ملحوظا جدا .

ولئن كانت تنسى الخلاص من بيت ابيها فانها تحس عادة بصدمة حينما تنفصل عن المجتمع الصغير الذي كانت مرتبطة به ، وحينما تنقطع عن ماضيها وعالم طفولتها ذي المبادئ الاكيدة والقيم المضمونة ، ذلك ان لم تهلك في الحياة الجنسية - على ان الاطلاع الجنسي ، سواء نجح او لم ينجح ، يبيل في البداية الى زيادة اضطرابها .

حين كانت فتاة تعيش في كنف اهلها محمية بسلطتهم ، كانت تستعمل حريتها في الثورة والامل ، وفي رفض ومجازاة حال ترى فيه في نفس الوقت انتها . كانت تسو بنفسها نحو الزواج ، لكن حينما تزوج لا

يعود امامها مستقبل آخر . ان ابواب المنزل تعود من خلفها لتتركها مع
حسنتها في الدنيا . انها تعرف جيدا ما هي الاعمال المخصصة لها ،
وتتكرر امامها دائما تصف الطقوس .

حين كانت فتاة كانت فارغة اليدين ولكنها كانت تملك الاثقل
والاحلام وكل شيء . اما الان فلها زاوية محدودة في العالم ، فتفكر
حينئذ في قلق ولسان حالها يقول : ليس لي سوى هذا الى الابد . الى
الابد هذا الزوج وهذا المسكن . انها لا تعود تنتظر شيئا او تبقي
شيئا مهما !

انها تخشى مع ذلك مسؤولياتها الجديدة . ولئن كان للزوج حنكة
السن والتسع بالسلطة فان سحر نفوذه يزول بمجرد كونها على علاقة
جنسية معه . وهو لا يستطيع ان يعزل محل الاب والام خاصة . كما
انها تصح بالبرد يجري في اوسالها حين تجد نفسها وحيدة في منزلها
الجديد مرتبطة برجل غريب عنها الى حد ما مودعة حياتها كطفلة لتسبح
زوجة كتب عليها ان تصير لانا بدورها ، وتكتشف الضجر وسطحية
الحياة حين تلفي نفسها منفصلة افضالا نهائيا عن كنف والدتها خائفة
في عالم لا يصور لها اي غاية او هدف .

يبدو هذا القلق بصورة ملحوظة في مذكرات الكونتيسة نولستوي
الشابة بعد ما قبلت بحساس الزواج من الشاب الكبير الذي كان بشر
اعجابها :

تزوجت صوفي في ٢٣ ايلول وفي المساء غادرت اهلها :
« كان يتحكمم بخناقني شعور قاس مؤلم . واحسست حينئذ ان لحظة

مغافرة اسرتي واحبائي ووالدي الى الابد قد حلت . وكانت اللحظات
الاطيرة ، لحظات الوداع ، رهبة جدا . وقد حرصت على ان تكون لي
آخر من اودع .

وما ان التزعت نفسي من ضماها وذهبت احتل مكاني في العربة
دون ان التفت نحوها حتى اطلقت سرعة لم انها طول حياتي .

كان مطر الخريف لا يكف عن المطول . واملقت العنان لدموعي
وانا قابعة في الزاوية مرهقة بالجهد ، مما اثار دهشة بل استياء ليون .
ولما خرجنا من المدينة شعرت بالرهبة والما في الظلام الدامس الذي كان
يهدد نفسي هضرا . ولم تبادل اية كلمة حتى وصولنا الى اول موقف
(بيروليوف فيما اذكر) الا انه كان كثير الحنان والرعاية .

في بيروليوف اعطونا الغرف المسماة غرف القصر وهي كبيرة لا
تجذب النفس . ثم جلبوا لنا الساور . وبقيت جالسة محافظة على
السكون كالحكوم عليها . قال لي ليون : ما بالك هلا شرفتنا بالخدمة .
فاطلعت وقدمت الشاي . كنت مطيعة ولم اكن لاستطيع التحرر من بعض
المخاوف ، او مخاطبة ليون دون تكلف بل كنت اتجنب ذكر اسمه ،
وبقيت مدة طويلة اخطبه بضمير الجمع .

بعد اربعة وعشرين ساعة وسلا الى (يا سينا فيورينا) . وفي ٨
تشرين الاول عادت سوفي الى كتابة مذكراتها :

«كنت دائما اعلم بكائن كامل ، نفسي ، نفسي اكرس له حبي ... انه
لصعب علي ان اخطي عن اعلام القنولة» .

وفي اليوم التالي دونت :

والشعر بالقيء . رأيت الليلة اناسية اعلاما مزهجة ورغم اني
اطردعا عن ذاكرتي فاني احسن بوطانها في نفسي . رأيت اني في الحلم
ما سبب لي كثيرا من الشنى . ما انتهني بالنائمة التي لا تستطيع
الاستيقاظ . يبدو لي دائما اني على لعبة الموت . هذا غريب . . . كيف
يحدث الآن بعد ان سألني روح . اني اسمعه وهو دائم فاحسن بالتعرف
وحدى . انه لا يترك لي فرصة الدخول الى ذاته وهذا الامر يحزني .
ويبدو لي كل هذه العلاقات الجسدية مفزقة .

١١ تشرين الاول : ذبا القطاعة التي انطوي دائما على نفسي .
فروحي مريض ، سيء المزاج ولا يعينني . كنت انتظر ذلك انما لم اكن
احب ان ذلك سيكون بهذه الدرجة من البشاعة . من الذي يتم
بسعادي ؟ ما من احد يشك في اني عاجزة عن تأمين هذه السعادة له
والنفس . وقد اسأل في ساعات حزني وشغالي بقولي : لماذا اعيش ما
دامت الامور سيئة بالنسبة الي وبالنسبة الى الآخرين ؟ هذا غريب الا
ان هذه الفكرة تسلط علي . يخيل لي انه يصبح اكثر برودة يوما بعد
يوم اما انا ، بالمعكس ، فازدادت حيا له . اني استرجع ذكرى اهلي فاشعر
بالمعجب ، كم كانت الحياة خفيفة انذاك ! اما الآن فروحي مسزقة يا الهي
وما من احد يفرني بعبه . . . امي العزيزة . . . امه . . . عزيزتي ثانيا . . .
لكم كتنا لطيفتين !

ولم غادرتها ؟ هذا محزن ، مخيف . ومع ذلك فليوتسكا طيب جدا .
فيا نفس كنت اقبل بلهفة على الحياة والعمل . اما الآن فقد حتم القضاء
واقضى الامر . بوسمي البقاء صامتة ابدا كاملة وانا متشابكة الفراغين
مكررة السنن الخالية . كم اود ان اشتغل ولكن لا اقوى على ذلك .

قديمًا كان العرف على البيان مصدر لغة لي أما الآن فنصار مصدر
لزعاج . عرض علي ليوتسكا ببقاء في البيت أثناء ذهابه إلى نيوسكوي .
كان ينبغي لي أن وافق لأحرر نفسي إنما لم تكن لي القوة على ذلك .
أله من مسكين ! انه يبحث في كل مكان عن التسلية والطبوات كيما
يخفي . آه ماذا أنا على الأرض .

١٢ تشرين الثاني ١٨٦٣ : «أقر بالي لا اعرف كيف ملأ فراغ وقتي .
إن ليوتسكا سعيد لأنه يستمتع بالذكاء والموهبة . أما أنا فلا شيء لي
منها . ليس سعيًا على المرء أن يجد شيئًا يصله فالمثل متوفر . لكن
يجب على المرء أن يتفوق هذه الاعمال الصغيرة ويعتاد على محبتها :
القناعات بالحيوانات ، قراءة الأثنياء السخيفة كثيرا ، والأثنياء الهمة قليلا
جدا . لقد نمت يوما عميقا حتى أن سافرتنا إلى موسكو وانتظار ولاءة
طقل لم يسبب لي أي اشغال ، أية بهجة ، أي شيء . من يداني على وسيلة
تبهني وتجعل الحياة تدب في أوصالي ؟ إن هذه الوحدة تغلق كأهلي
وأنا غير معتادة عليها . كان هناك في بيتنا قضاة وحركة أما هنا فلا شيء .
غياة وكل شيء غابس مكفهر . الوحدة امر عادي بالنسبة إليه فهو لا
يشعر متلي باللفة مع اسدقائه بل الاقبال على لشاغله فقد شب بغير
عائلة .»

٢٣ تشرين الثاني : «صحيح أنني عاطلة ، بغير نشاط ، إلا أن هذه
ليست طبعي . لا اعرف بأي عمل اشروع . احسن احيانا بالرغبة الجامحة
في التحرر من تأثيره . . . مالي ارضخ لتفوده ! لم اعد كما كنت من
قبل مما يجعل حياتي في غاية المشقة .»

١٠ نيسان «عيسى الكبير اني لا اجد ذخرًا في نفسي . انه

مهلك جدا في أعماله وفي إدارة أطيانه لما إذا فلا هم لي الملاقاة . ولا
التمتع بأية موهبة . لكم اود أن يكون لي شائل لما ابغني عيلا
حقيقيا . فما مضى ، في مثل أيام الربيع الجميلة هذه كنت احس بالحاجة
الى شيء ما ، بالرغبة في امر ما . ولا يعلم الا الله ليم كنت افكر واحلم .
اما اليوم فلا احتاج الى شيء . لم اعد احس بهذا الميل السخيف اليهم
الى المجهول ، لاني بعدما وجدت كل شيء ، لم يعد انامي شيء ابعد عنه

٢٠ نيسان ويزداد ليون بعضا مني يوما بعد يوم . ان الناحية الجسدية
من العب تلعب لديه دورا كبيرا جدا اما بالنسبة الي فلا دور لها الملاقاة .

نرى ان المرأة الشاب تعاني من فراق أهلها ووحدها ، من الشكل
النهائي لسيرها وتحسن بالليل خلال الأشهر العشرة الأولى . وقد احست
(كوليت) بنفس الملل حتى بلغت حد ذرف الدموع بعد زواجها الأول
الذي فرضه اخوتها عليها .

وقد وصف (مارسيل برشو) في رسائله الى فرنسواز المتزوجة
حيرة المرأة الشاب وارتباكها بعد عودتها من رحلة العرس :

«انها تفكر في بيت أهلها ، بأثاثها من طراز نابليون الثالث ، وبكل ما
فيه من قديم مضحك . كل ذلك ينطبع على صفحة ذاكرتها لحظة كملجا
فعلي ، كعش حقيقي ، حيث احتضنها الحنان الصرف في معزل عمن
التقلبات والاضطراب . اما هذا النزول برائحة السجاد الجديد المتصاعدة
فليس عشا حقيقيا . انها تحس بنفسها حزينة حزينة جدا كما لو كانت
متروكة في الصحراء .»

ينشأ عند المرأة الشاب اعتبارا من هذه الحيرة مزاج سوداوي . وهي

تسمر خاصة بدوامه حريتها الفارغة . يسوق (بير جايه) حكاية المرأة المتزوجة التي لم تكن تستطيع البقاء وحدها في المنزل لأنها كانت تعس بنفسها تحريها وتدفعها الى التطلع من نافذة والقائه النظرات على المارة . ومن النساء من يصررن على رفض وضعهن كساء بالغات مدى الحياة .

مثلا حالة المدعوة ك. ي. التي يرويها (جايه) :

و.ك. ي. ، امرأة في السادسة والثلاثين ، تسلط عليها فكرة ثابتة مفادها انها فتاة صغيرة يتراوح عمرها بين العاشرة والثانية عشرة لا ميبا حينها تكون وحيدة . فتفكر وتضحك وترقص وتعل شعرها وترتكبه بسدول وتتسوج على كفيها وتقصه جزئيا على الاقل . وهي تمنى ان تتساق مع هذا العظم . (من المؤلف انني لا استطيع ان لعب لعبة التخفي امام جميع الناس . . . اود ان يجذوني لطيفة . اخاف ان اكون دمية وارغب ان يقولوا لي انهم يحبوني كما يحبون الاطفال الصغار . الطفل الصغير محبوب لطيفة قلبه ودعاياته . . . وماذا يطلب منه لقاء ذلك ؟ ان يكون محبوبا . . . لا شيء . اكثر من ذلك . الا انني لا استطيع مفاتيحة زوجي فهو لا يفهمي . اتبهوا مثلا . . . اود كثيرا ان اكون صغيرة وان يكون لي اب وام اجلس على ركبتيهما ويدعيان شعري . . . لكن لا . . . انا سعيدة . . . وام لاطفال . يجب ان اعني بدخول المنزل وان اكون جدية وان افكر لوحدي . آه يا لها من حياة)!

وعالما ما يشكل الزواج لزمة بالنسبة الى الرجل . ولا ادل على ذلك ان كثيرا من الاضطرابات النفسية تنشأ في فترة الخطوبة وفي الايام

الأولى من الحياة الزوجية . ولن كان أقل ارتباطاً بالأسرة من أخوانه
فانه يكون عادة تابعاً لعضاة ما ، كالمدرسة او الجامعة او ورشة العمل
او زمرة وفان يشعر معهم انه غير مهمل . انه يقادر هذه الجماعة ليبدأ
حياته الجديدة كرجل بالغ . فهو يخشى العزلة في المستقبل ويتزوج
غالباً ليتجنبها .

باستثناء فترة تأجع الحب القصيرة ، لا يمكن لشخصين فقط ان
يشكلا عالمًا يحيطها امام العالم . هذا هو شعور كليهما بعد الزفاف .
فالمرأة لا تتخلف عن الرجل عبء مسؤولياته بل على العكس تزيدها .
ويكون من نتيجة اختلاف الجنس اختلاف في السن والتربية والوضع ،
ما لا يسمح بأي تفاهم حقيقي . وان كان الزوجان متآلفين فانهما
يقتان غريبين عن بعضهما بعضاً . وفيما مضى كان بين الطرفين هوة
عظيمة دائماً . فالفتاة الناشئة في جو من الجهل والبراعة لم يكن لها اي
ماضي ، في حين ان خطيبها يختبر الحياة وعليه ان يقوم هو باطلاعها على
حقيقة هذه الحياة .

ومن الذكور من يشعر بالزهو ازاء هذا الدور الدقيق . اما اذا كان
الرجل اكثر تبصراً فانه يقيس المسافة بينه وبين رفيقته المقبلة بشيء من
القلق .

وصفت (اديت وارنون) مخاوف شاب اميركي من جيل ١٨٧٠ امام
المرأة المخصصة له :

«أأمل في شيء من الرهبة والاحترام الجبهة الصافية والعينين
الجديتين والهم البريء المرح لهذه المخلوقة الشابة التي كانت على اعبء

وهب نفسها له . كانت هذه الحيلة الرعية للنظام الاجتماعي تبدو له
الآن كأنها اجنبية .. ماذا كان يعرف احتجها عن الآخر ما دام من واجبه
كرجل مهذب ان يخفي ماضيه عن خطيبته ، ومن واجبه ان لا يكون لها
اي ماض ؟ لما الفتاة ، وليدة نظام التعمية المد بالثان ، فكانت بسبب
صراحتها وصفاتها تبدو كلفز معقد جدا . كانت صريحة لانه لم يكن
لديها شيء تخفيه ، وواقفة لانها لم تكن تصور ان عليها ان تلزم جانب
الحيطة والحذر . وكانت مضطرة ، دون اي تهديد ، الى ان تنفس في
ليلة واحدة فيا يسمى (حقائق الحياة ..)

بعدما حوم مائة مرة حول هذه الروح البسيطة ، ارتد مشيط الهمة
لما ادرك ان هذا الصفاء الصناعي ، المد ابتداءا مائرا بفضل تأمر
الامهات والعمات والجدات المتزمتات ، لم يوجد الا ليبي ذوقه الشخصي
وكيما يمارس عليها حقه كسيد ويعطها كبا يعظم تمثال من تلجج .
ان الهوة اليوم اقل عمقا ، فقد سارت الفتاة اقرب الى الطبيعة واكثر
اطلاعا واحسن استعدادا وتأهبا للحياة .

وكثيرا ما تكون المرأة مثل الطفلة لانها فعلا صغيرة جدا بالنسبة
الى زوجها .

كتبت صوفي نولستوي :

«اتي ابذل جهدي كيما اكبح جماح وثبات الشباب ، لانها تبدو
تماما في غير محلها في هذا الوسط الثقيل»

ويرى الزوج من جهة في امراته «طفلة» . انها ليست بالنسبة اليه
الرفيقة المنتظرة ، وهو يشعرها بذلك فتص انها مذلولة . وليس من

شك في انها تريد ان تعيد دليلا مرشدا بعد خروجها من بيت أهلها ولكنها
تريد ايضا ان ينظر إليها على انها شخص كبير ، انها تتنسى ان تلبس طفلة
كما تريد ان تصبح امرأة ، ولا يستطيع الزوج ابدا ان يعاملها بصورة
رضيها ارضاء تاما .

وحشى اذا كان فاروق السن ضميلا فيجب ان لا تنسى ان الشاب
والفتاة قد تلقيا تربية مختلفة ، تخرج المرأة من عالم نسوي تلقت فيه
الحكمة النسوية واحترام القيم النسوية ، اما الرجل فيكون متشبعا
بأخلاق الذكور فيصبح صعبا عليها ان يتفاهها في الطلب الاحيان ولا
يلتفت ان يحل النزاع بينهما .

لما كان الزواج يلحق المرأة بالرجل بصورة طبيعية فبان مسألة
العلاقات الزوجية تطرح بشكل حاد بالنسبة إليها ، ومن مفارقات الزواج
ان له مهمة جنسية ومهمة اجتماعية في نفس الوقت ، وينعكس هذا
الازدواج في صورة الرجل كما يبدو للمرأة ، فهو نصف انه يتشبع
بغزو الرجولة وخطيه ان يحل محل الاب كمدافع ووسم ومرجع ، وينبغي
للمرأة ان تفرغ وتلتصق في طفلة لانه حامل القيم وضامن الحقيقة .
وهو في الوقت نفسه ذكر ، على المرأة ان تشترك معه في تجربة ، غالبا ما
تكون مخيفة ، بغيضة ، قريبة ومزعجة .

انه يبدو زوجته الى الولوج معه في الحيوانية كما سيجها في نفس
الوقت يقدم موطنة نحو المثل العليا .

قد يكون الرجل لحيانا ابا وعائقا فتصبح العملية الجنسية ذات
طابع متدنس ، وتجد الزوجة بين ذراعيه سلما نهائيا تشتريه بخضوعها

الثام . ان مثل هذا الحب الذي يبلغ حد الهوى ياتر الوقوع في الحياة الزوجية . وقد تحب المرأة زوجها حيا نظريا فترفض الاستسلام لهذا الزوج الذي تقدره كثيرا .

مثال ذلك الحالة التالية التي يسوتها شيكل :

السيدة د. س. ارملة فنان كبير ، لها من العمر الآن اربعون عاما . ورغم انها كانت تحب زوجها حتى العبادة فقد كانت مصابة بالبرود معه . ويطي العكس من ذلك قد تستطيع المرأة التعرف على لغة تنقلها كاندثار مشترك تفتل فيها الاعتبار والاحترام .

ان ما يحدث غالبا ان الزوج يبقى بعد التجربة الجنسية جائزا على الاحترام فتتخاض المرأة عن ضعفه الحيواني . او انه يبقى رفيقا طريفا ولكنه يفقد سحره . وقد وصفت (ك. مانفيلد) هذا الازواج :

وكانت تحبه حيا حقيقيا وتكن له الاعجاب والاحترام الشديد . وكانت تعرف اصناف تشبه اكثر من اي شخص في العالم . فقد كان نموذجيا للصراحة والاحترام ، ويطي بسيطاً سادجا يفتن بالتقليل رغم ماله من ثمرس عملي . لكن ايته لم يشب عليها وهو ينجح بفضل موجها اليها عينين نهنتين جدا مولهتين جدا .

كان يفتي بالقوة الا انها كانت منذ طفولتها تفتي الاشياء التي تقلل عليها بسرعة . وكان مغيبا في بعض الاحيان حتى كانت تهم بان تصرخ بكل ما لها من قوة : تكاد تقتلني ! وحينئذ ترحس بالرغبة في قول اشياء مقية ... نعم ... نعم ... ان ذلك صحيح . ولهم كل حبا والقدامها واعجابها كانت تفتي (متألفي) .

كانت كل احساسها بالنسبة اليه دقيقة ، واضحة ، صحيحة . وهذا الشعور الآخر ، هذا البعض كان هو ايضا صحيحا ، وكانت تخشى ان تقدم له هذه الاحاسيس بصورة هدايا ... وان تقدم له هذا الشعور الآخر في النهاية كمنفعة

على ان المرأة تكون بعيدة جدا عن الاقرار باحاسيسها امام نفسها في مثل هذا الصدق . ان حب الزوج والتمتع بالسعادة امران يتطلبهما المجتمع وهذا ما تنتظره اسرة المرأة منها .

فإذا كان اهلها معارضين في زواجها فانها تصر على تكذيبهم فتحيا حياتها الزوجية بسوء نية وتقع نفسها طوعا انها تحب زوجها حيا عظيما . وان هذا الحب يأخذ شكلا متوايما في الهوس والتطك والغيرة كلما تناقص الكفاء المرأة الجنسي . وتصبح لها حاجة ملحة الى حضور زوجها كما تعزي نفسها بنية الامل ، هذه الغيبة التي ترفض الاقرار بها في البداية .

يذكر (ستيكل) امثلة عديدة عن هذا التعلق المرضي :

وبقيت احدى النساء في الاعوام الاولى من زواجها في حالة البرود نتيجة لتثيت حالة الطفولة . فنشأ عندها حب من النوع الذي يرى عند النساء اللواتي يرفضن اظهار عدم اكثر اثنين بزوجهن . كانت لا تعيش الا من اجل زوجها ولا تفكر الا فيه . ولم تـ ... يا اية ارادة . كان عليه ان يهيئ كل صباح البرانچ اليومي وان يـ له ما ينبغي لها شراء ... فكانت تفقد كل شيء بلذاته . واذا لم يبين لها اية مهنة ، بقيت في غرفتها دون ان تعمل شيئا . كانت لا تستطيع ان تبقي وحدها بل تحب ان

تمسكه بيديها . كانت تسيء تطرف الدعج مدة ساعات وترتجف من اجل زوجها واذا لم تكن هناك مناسبة خلقتها .

اما (صوفي تولستوي) فتريد ان يكون زوجها المحبوب بجانبها دائما وحالما يتعد عنها تعذبها سياط الغيرة . فقد كتبت :

١١ - ١ - ١٨٦٣ : «ان غيرتي مرض ولد معي . لعل ذلك ناجم عن اني احبه ولا احب سواه ، لذلك لا يمكنني ان اكون سعيدة الا معه وبه»

١٥ - ١ - ١٨٦٣ : «داود ان لا يفكر ولا يحلم الا بي وان لا يحب احدا سواي . لا اكاد اقول لنفسي احب ايضا هذا الشيء او ذاك ، حتى تراجع عن قولتي واحسن اني لا احب شيئا بعده . . . واني اشعر بدونه بقلق عظيم ، وبتعاقم الحاجة الى عدم الافتراق عنه يوما بعد يوم»

١٧ - ١٠ - ١٨٦٣ : «احسن بنفسي عاجزة عن فهمه جيدا ، لذلك اخلص عليه بكل غيرة» .

٣١ - ٧ - ١٨٦٨ : «من المضحك ان يقرأ الشخص مذكراته افكم هناك من متناقضات اهل يوجد شخصان اسمه منا ؟ ان حيي لا يكف عن الازدياد . احبه دائما بنفس الحب القلق ، المبرح ، المشحون بالغيرة والعائض بالخيال . الا ان هدوءه وقلته بنفسه امور تستلزم احيانا»

١٦ - ٩ - ١٨٧٦ : «بحثت بتعطش عن صفحات مذكراته التي تتطرق للحب وحالما وجدتها اكلتني الغيرة . اني حاققة عليه لانه ذهب . لم اعد اقام ولم اعد آكل شيئا تقريبا . كل يوم تحل بي الحس . . . ورحشات في المساء . هل اتال الجراء لاني افرطت في حيي ؟»

أنا نسر من خلال هذه الصفحات بجهود ضائعة للتعبير عن
فقدان الحب الحقيقي . ان القلق ، والالاحاح والغيرة تعبر عن فراغ
القلب . وكثير من الغيرة المرضية تترفع في مثل هذه الشروط ، فالغيرة
تعبر تعبيرا لا مباشرا عن عدم الاكتفاء الذي تجسده المرأة عادة باختلافها
منافسة لها . وإذا لم تحصل على احساس بالاكتفاء ، فإلها تنظم سلمتها
تنظيما عقليا تخيلها ان زوجها يعونها .

وعالما ما تمنع المرأة في الكذب عن رياء او كبرياء او حياء . يقول
شارفون : كثيرا ما يبقى بنس الزوج مختبئا طول الحياة ويحل محله ما
يسمى بالمزاج السوداوي او غيرة . وتعبر المرأة عن شعور الغضام ببذل
الجهد في رفض تحكم الزوج . فبعد انقضاء شهر العسل وفترة الانسراب
التي تليه ، تحاول المرأة الحصول على استقلالها . وهذا ليس بالامر
السهل . لأن الزوج يتمتع بشيء من النفوذ نظرا الى كبر سنه غالبا ،
كما انه رب الأسرة بحسب احكام القانون ويشع بتفوق معنوي
واجتماعي ، وغالبا ما يكون له - على الأقل ظاهريا - تفوق فكري ،
كما يمتاز على زوجته بالثقافة او على الأقل بالتمرس المهني . ويكون
متصبا الى حزب او جمعية ، ونظرا الى كونه عاملا ومواطن فان افكاره
متسرة بالواقع . وبمضى آخر ان الرجل المتوسط ينحلي بالحاكمة
وتفوق الواقع والتجربة والفكر الناقد . ان ذلك ما تفقده كثير من
النسوات . وإذا سبق لهن قراءة الكتب وسامح المحاضرات فان معارفهن
المكسدة بحسب السوانح لا تشكل ثقافة . وإذا كن لا يحسن الحاكمة
كثيرا فليس مرد ذلك الى نقص في تكوين دماغهن بل لأن الظروف
المعلية لم تفسرهن الى ذلك . فالتفكير بالنسبة اليهن نوع من اللعب

أكثر من أن يكون أداة ووسيلة . حتى ولو كن مستعمات بالذكا ،
والعسافية فانهن لا يعرفن آرائهن واستخلاص النتائج منها .
لذلك يستطيع الزوج وإن كانت الزوجة خيرا منه ، أن يشيت انه على حق
وانها على خطأ ، فيؤدى ذلك الى تقادم شقة الخلاف بينهما . وفي نهاية
الامر لا يبقى للمرأة الشابة الا الصمت والدموع او العنف . فالمرأة
تحاول أحيانا ان تقاوم وتناضل ، الا انها تقبل في أكثر الأحيان ، طوعا
او كرها ، أن يفكر الرجل محلها فيصبح هو ضمير الأسرة . وهي تمول
على الرجل لتكوين لأراء المشتركة في كل المواضيع العامة والتجريدية
عن حياة او كسل او تقص في المهارة . ويحلو للزوج في قلب الأحيان
القيام بدور الموجه والقائد ، لانه حين يعود مساء من احتكاكه مع قرانه
ورؤسائه يروق له ان يرى نفسه رئيسا مطلقا ينشر الحقائق الصائبة .
فيعرض وقائع اليوم ويصوب نفسه لعناء الخصوم ، وهو سعيد انه يرى
في زوجته صورته التي تؤكد لقواله .

إن الزواج يشجع الرجل على تسلط خاتم الهوى . والميل الى
التحكم هو الأكثر شيوعا والحاكما . وإن تقويض امر المرأة بالرجل
يشجع على انتشار البغي في الأرض . فالزوج لا يكتفي غالبا بأن ينال
الاستحسان والأعجاب وإن تصح ويوجه بل انه يصدر الأوامر ويتصرف
كالسيد المطلق . وهو يشرر في البيت من كل احتفائه المتكدسة منذ صباه
وطيلة حياته والمتجمعة يوما أثناء احتكاكه مع بقية الرجال . انه يأمر
ويهي ويصنع الشدة والبأس ويرفع صوته عاليا ويضرب يده على
الطاولة . ان هذه المفزاة هي بالنسبة الى المرأة جزء من الواقع اليومي .
فالزوج ملتزم الى أبعد الحدود بطوقه حتى ان أقل بلادة استقلال من

زوجته تبدو له كعصيان . اما هي فتشقى عليه مع ذلك . ولئن ابتدأت بالاعتراف بفضو الرجل الا ان ذلك سرعان ما يتبدد فتكتشف الزوجة ان الذي امامها ليس قائدا او سيذا بل رجلا ، ولا ترى اي مبرر لقبول العبودية . وحيانا تخضع ظاهريا الا انها تدخل غالبا في خصام متأخر مع هذا السيد وتحاول هي ايضا بسط سلطتها عليه .

وقد يتفاهم الخصام حتى يؤدي الى الانفصال . لكن المرأة بصورة عامة ، رغم رفضها تحكم زوجها ، تريد مع ذلك المحافظة عليه . انها تتاضل ضده لتدافع عن استقلالها وتحارب بقية العالم لتحافظ على الوضع الذي ينفرها للتبعية . ان هذا اللب المزجج صعب ، مما يفسر تفسيراً جزئياً حالة التلق والتوتر العصبي التي نحل بكثير من النساء طيلة حياتهن .

وكما ان اسطياد الزوج فن ، فان المحافظة عليه تتطلب كثيرا من المهارة . خصوصا ان المرأة تقامر باشياء لا تستوجب التفرط : الا من المادي والمعنوي ، البيت الضام ، سكاة الزوجة . وسرعان ما تعرف المرأة ان سرورها الجنسي ليس سوى اوهى سلطتها ، لان تأثيره يخبث مع العادة، كما ان هناك نساء كثيرات يتوددن له كيدا يمجبه ويستهوته . ويصطرح ضمن نفس المرأة غالبا الكبرياء التي تدعوها الى البرود ، وفكرة استهواء زوجها بالهنة الجنسية . وهي تعول ايضا على اشياء اخرى كالحنان على الاطفال وانهاها آداب المجتمع .

الا ان هناك تقاليد كاملة تلقن الزوجات فن اجتذاب الرجل ، اذ يجب اكتشاف نقاط الضعف فيه وامتداحها والموازنة بهارة بين الخضوع والمقاومة وبين الحذر والتساعل . والسلطان الاغبران من الاهمية

بمكان فلا ينبغي التشديد كثيرا على حرية الرجل او التساهل كثيرا فيها .
فإذا كانت كثيرة التساهل فقد تتعرض لفقدها . وإذا ارتفعت
بمراقبتها والحامها آثاره ضدها . وإن عثر المرأة الأكبر في مناوراتها
ولها ودوراتها انها مجبرة على حشر كل كيانها في الزواج . فكيفما تسود
بين الزوجين علاقات الاخلاص والواصر الصداقة فإن الشرط الضروري
الذي لا غنى عنه ان يكون كل واحد حرا تجاه الآخر ومساويا له مساواة
فعلية ملموسة . وما دام الزوج يملك وحده استقلاله الاقتصادي ويشجع
بامتيازات الرجل بحكم القانون والعرف فمن الطبيعي ان يبدو غالبا
كطافية ، مما يدفع المرأة الى الثورة والمكر .

لا احد ينكر مآسي الحياة الزوجية . الا ان المدافعين عن الزواج
يدعون ان النزاعات بين الأزواج تنشأ عن زيادة الاقتراب السيئة وليس
عن نظام الزواج نفسه .

ان (انثوني برونون) احد كبار المحققين للحب الوحيد المطلق
الخالد يضطر الى القول بان هذا الحب قد يخطئه في انتقاء شخص
المحبوب في الظروف الحالية على الاقل .

وليس من شك في ان كثيرا من الأزواج ينجحون في الوصول الى
نوع من التوازن والاتفاق . الا ان هناك لمة تحل بهم ولا يتحررون
منها الا نادرا وهي الشعور بالسأم . فإذا لم ينجح الزوج في ان يجعل
من زوجته صدى وصورة لتفخه او ازوي كل منهما في عالمه الخاص
فلن يكون بينهما بعد بضعة اشهر او بضع سنين اية مشاركة او اي
تجاوب .

ان المشاقعين عن الحب الزوجي يقرون بأنه ليس حيا ، وان هذا السبب بالذات يفتي عليه طابعا صحيا . لان البورجوازية قد استبطلت في السنوات الاخيرة اسلوبا ملحميا شعريا فاصبحت الرقابة مغامرة ، والاخلاص جنونا غلوريا ساميا ، والملل حكمة وتعقلا ، والاحقاد الزوجية اعشق شكل للحب ، والحقيقة انه اذا تاملت شخصان دون ان يستطيع احدهما الاستغناء عن الآخر فالملازمة بينهما لا تستدعي الا الشفقة . والحل الامثل ان لا يربط شخصان الا بالاتفاق الحر لحيتهما .

على ان الحرية لا تعني الخضوع للهوى . فالاحساس نوع من التمسك يتجاوز المحطة العابرة . ولا يكون الاحساس طليقا حرا الا اذا كان غير خاضع للتوجيهات الخارجية ، وكان الشخص يحيا بمسوق لا يعرف الخوف . اما شعار «الحب الزوجي» فيدعو الى كل انواع الكبت والكذب ، واول ما ينبع على الزوجين هو ان يحققا بينهما تعارفا حقيقيا . بينما شفي احد المرضى وجهه بشكوه لاسفقاته وممرضاته ثم التفت الى زوجته التي لم تبارح جواره مدة ستة اشهر قائلا : ولما انت فلا توجه اليك بالشكر لانك لم تفعلي سوى واجبك » . انه لم ينظر الى اية حسنة من حسناتها على انها مزية ، لان هذه الحسنات يفتنها للمجتمع ويضننها نظام الزواج .

يجري الكلام كثيرا عن خيبة امل الرجل الساذج المخلص امام الفكر النسوي والحقيقة ان المرأة مندورة للاخلاق ، لان الاخلاق تضطرها الى تجسيد كيان غير انساني . وما ان تفكر وتعلم وتفتش وتفتش دون توجيهات حتى تخون ما يستلته الرجل فيها . لذلك لا تتساق نساء كثيرات مع ذنهن الحقيقية الا في غياب ازواجهن ، وعلى العكس من ذلك ، لا

تعرف المرأة حقيقة زوجها . فقد لحسب انها ترى وجهه الحقيقي في حين ان حقيقة وجه الرجل هي اول كل شيء في ما يلمعه ضمن العالم مع الرجال الآخرين .

ولي بعض الحالات الموافقة قد تنجح المرأة في ان تصبح رفيقة حقيقية لزوجها . فتناقض مشاريعه وتدني له الصالح وساعم في اماله . الا انها تخضع نفسها اذا طنت انها تعطف بذلك على شخصا . فالرجل يبني الحرية الوحيدة المتسعة بالنشاط والمسؤولية . وينبغي لها ان تكون مولاه بعينه لتجد الفرح في خدمته والا فانها لن تقدر الا بالحق امام حرمانها من نتائج جهودها .

تأخذ الحياة الزوجية ، بحسب الاحوال ، اشكالا مختلفة . الا ان الحياة اليومية تجري بالنسبة الى كثير من النساء على نفس الوتيرة .

يستيقظ الزوج صباحا بمجلة . وتصفي الزوجة بالشراب الى صوت الباب يعلق خلف زوجها لانها تحب ان ترى نفسها حرة ، غير خاضعة للتوجيهات وسيدة في بيتها . وخلال نسي مراحل اليوم تطلب نصيتها ضمن الاطار التالي الذي يتكرر كل يوم تقريبا : الملل ، الانتظار ، خيبة الأمل .

وقد تعرض للمرأة بعض انواع الهروب . الا ان ذلك صعب من الناحية العملية في الارياق حيث تثقل قيود الزواج كاهل المرأة تصيح بعضهن ربوات بيوت طافيات متحككات ويلعب بعضهن دور الضحية المستعبدة .

ولا يبقى للمرأة التي تريد ان تحيا وضعها حياة مناسبة الا الكبرياء

الصابرة في الطب الاحيان . ولما كانت مقيدة بكل الاشياء وبكل
الاشخاص فلا يمكنها ان تعرف سوى الحرية الجنسية اي الحرية
التجريدية .

وعالياً ما تداعب الازواج نفس المرأة في الازواج الاولى فتحاول
ان تعجب بزوجها تعجباً مطلقاً وان تمنحه حياً بغير تحفظ وان تعجب
بنفسها ضرورية لزوجها واملالها . ثم تطالعها مشاعرها الحقيقية فتدرك
ان زوجها يستطيع الاستغناء عنها وان اولادها سينفصلون عنها بمرجيباء
وحين تكف الحياة المنزلية عن حمايتها من حرمتها العارلة ترى نفسها
محرقة مهجورة .

كل الكتابات الصادقات لاحسن هذه السوادية التي تقطن قلب
المرأة في الثلاثين من عمرها وان هذه صفة مشتركة بين بطلات الكتابات:
كأثرين مانسفيلد ، دوروثي باركر ، فيرجينا وولف .

واذا ما قارنا حواشي الانتحار بين العازبات والمتزوجات وجدنا ان
الاخيرات معصومات من البرم بالحياة بين العشرين والثلاثين ثم يسير
الحنى نحو التناقص بعد الثلاثين .

ان بأساة الزواج لا تكمن في انه لا يؤمن للمرأة السعادة الموعودة ،
لان ضمان السعادة امر مستحيل ، وانما لانه ينفقها للتكرار والرتابة
المملة .

وحياة الفتاة حتى العشرين غنية بالمفاجآت ، حيث تجتاز الفتاة
تجارب البلوغ والحياة الجنسية والزواج والامومة . وفي العشرين من
عمرها ترى نفسها سيدة بيت مربوطة بزوجها الى الابد وبين ذراعيها

تعلما ، هذه هي حياتها قد تحدث معالمها الى آخر ايامها ، اما الاتصال
الحقيقية لمشروكة للرجل .



ان الشكل التقليدي للزواج أخذ في التحول ، الا انه لا يزال يشكل
نوعا من الاضطهاد يحس به الزوجان بصورة مختلفة . فاذا لم يأخذ بعين
الاعتبار سوى الحقوق المجردة فانهما اليوم متعادلان تقريبا . فهما
اكثر حرية من ذي قبل في اصطفاء بعضهما . ويمكنهما الانفصال عن
بعضهما بصورة اسهل من الماضي . على ان الزواج ليس بالنسبة الى
المرأة سوى امكانية مجردة اذا لم تكن لها وسائل تأمين حياتها بنفسها .

ان سيادة الرجال ذاتها تجعلهم متقدين . فلاتهم وحدهم يربحون
المال ، زهرتهم الزوجية بطاليبها ، ولاتهم وحدهم يمارسون مهنة ، تفرض
عليهم الزوجة النجاح فيها . وعلى العكس من ذلك ، ليس من شأن
مطمان المرأة الا ايراز تبعيتها .

ولئن كانت العبودية الزوجية اكثر استفزازا للرجل فانهما اكثر عقا
بالنسبة للمرأة . وان وجه الاخلاف الاساسي بينهما هو ان تبعية المرأة
مستبنة ، فهي مستعبدة وان تصرفت ظاهرا بحرية . اما الرجل فحر
مستقل ، وهو غير مكبل بالانحلال الا في الظاهر لان الامياء التي يتحلبها
هي الاكثر وضوحا . والمرأة تتلقف غذاءها منه كفضيلة فلا يمكن لها
اذن ان تكون سيئة مظفرة .

والحقيقة ، كما ان الذكور والاناث هم شعبا النوع من الناحية
البيولوجية ، فانهم يتحلبون وطأة مؤسسة الزواج بصورة مشتركة ، واذا

قلنا ان الرجال يضطهدون النساء اثر الزوج غائبا لانه يحس بنفسه
مشطها ، وهو كذلك في الواقع . .

ان المجتمع الذي شيده الذكور في مصلحتهم قد حدد وضع المرأة
بسورة صارت في الوقت الحالي مصدر عذاب الطرفين .

يجب تعديل الوضع ، بسورة يحظر معها جعل الزواج «مهنة»
بالنسبة الى المرأة ، وذلك في مصلحة الزوجين معا .

فالمرأة تنقل كأهل الرجل لانه محظر عليها ان تستند الى نفسها .
ويستحرم الرجل نفسه اذا تعرت هي وصار لها شيء تفعله في هذا
العالم .

ان الطفل ، بحسب النظرة التقليدية ، هو الذي يضمن للمرأة
استقلالاً ملموساً يشيها عن ان تنذر نفسها لاية غاية اخرى . واذالم تكن
المرأة كزوجة شخصا كاملا فانها تصبح كذلك بفضل الامومة ، فالطفل
هو بهجة حياتها ومرور وجودها . وبفضله تصبح مؤسسة الزواج ذات
مغزى وتبلغ هدفها .

فلنخص اذن هذه المرحلة العليا لتطور المرأة .

الفصل الثاني

الام

لا تستكمل المرأة مصيرها الفيزيولوجي الا بالامومة . هذا هو استعدادها الطبيعي ، لان كل عضوها موجه نحو اداء النوع . على ان هناك من يقول ان المجتمع الانساني ليس متروكا للطبيعة ابدأ ، خاصة ان العجاب الاطفال لم تعد ، منذ قرن تقريبا ، تعدده الصدفة البيولوجية ، بل صار خاضعا لاشراف الارادة والرغبات . فبعض البلاد تبنت بصورة رسمية طرق (مراقبة النسل) ويجري ذلك في البلاد الخاضعة لتأثير الكاثوليكية بصورة سرية ، وبسبب ذلك غالبا نزاعات بين الاخياء والازواج .

فاذا كانت وسائل مقاومة الحمل بدائية اضطرت المرأة الى اللجوء الى الاجهاض .

لا شيء كالأجهاض يترك المجال لرياء البورجوازية . فهو جريمة متزوجة يحول الشرف دون التلميح اليه . فاذا ما وصف احد الكتاب الفراح وآلام الولادة قوبل بالترحاب اما اذا تحدث عن الاجهاض قوبل له ، لانه يتهم بالشرخ في التقادير ويوصف الانسانية وصفا حفيرا وضيقا . الا ان الواقع بين ان عدد حوادث الاجهاض في فرنسا كل عام يعادل

حوادث الولادة . ان هذه الظاهرة من الشيعوع بحيث ينبغي اعتبارها من الطوارئ ، الطبيعية المرتبطة بوضع المرأة .

بصر القانون على اعتبار الاجهاض جنحة . ولا شيء اسخفا من الصحيح التي توجه ضد تشريعه . فيدعون ان العطفية خطيرة ، الا ان الاطباء الشرفاء يقررون مع الدكتور (هيرشفيلد) ان الاجهاض الذي يقوم به طبيب اخصائي في العيادة مع اتخاذ الوقاية الضرورية لا يتسبب هذه الاخطار الجسيمة التي يؤكد القانون الجزائي وجودها . بل بالعكس ، انه يشكل خطرا كبيرا على المرأة في شكله الحالي .

ينبغي لنا ان نلاحظ ان المجتمع الذي يبدى حماسا كبيرا في الدفاع عن حقوق الجنس يتنكر كل التنكر للاطفال بعد ولادتهم . والسلطة تلاحق الجهات بدل ان تبذل جهودها لاصلاح هذه المؤسسة التي يطلق عليها اسم «الاسعاف العام» . ولئن كانت ترفض اعتبار الجنين تابعا للمرأة التي تحمله في احشائها فانها توافق على جعل الطفل لغرضا خاصا باهله . وفي اسبوع واحد رأينا احد الجراحين يتنكر لانه اتهم بمسبات اجهاض ، واحد الآباء يضرب ابنه حتى الموت فيحكم عليه بالسجن ثلاثة اشهر مع وقف التنفيذ ، كما رأينا مؤخرا إحدى الامهات ترفض استعانة الطبيب للعناية بابنتها المريضة بحجة انها تخلت عنها للعناية الالهية والارادة الربانية تخليا غير مشروط ، ولما حاول بعض الاطفال القاء الاحجار عليها غضب بعض الصحفيين واحتج بعض الناس الشرفاء مدعين ان الاطفال يخصون اعلمهم ويعتبر كل اشراف اجنبي مرفوضا .

وفي الفرقيا الشمالية ، لا يمكن للمرأة ان تلجأ الى الاجهاض ، ولكن اذا انجبت عشرة اطفال ومات منهم سبعة او ثمانية فلا يأبه احد لذلك .

زد الى ذلك ان اكثر الرجال احتراماً للحياة الرثيعة هم ايضا اكثرهم
تحسناً وانفعالاً للرج بالتيان الى ساحات الحروب .

ان الاسباب العلية الموجبة ضد الاجهاض القانوني ليس لها اي
وزن . اما الاسباب الخلفية فتتلخص في الحجة الكاثوليكية القديرة
القائلة بان الجنين روحاً فاذا قضينا عليه قبل التعميد حرمانه من دخول
الجنة . ومن الملاحظ ان الكنيسة تسح بقتل الانسان الكامل في
الحروب او في حالة الحكم بالاعدام وتتمتع في اساليبها بالنسبة الى
الجنين . انه لم ينفذ نفسه بالتعميد ... ولكن «الكفار» في زمن
الحروب المقدسة لم يكونوا هم ايضا معذبين ومع ذلك كان يقتلهم
بقس كل تشجيع .

والحقيقة اننا هنا امام فكرة تقليدية راسخة لا تمت بالصلة الى
الاخلاق . وبلغت القسوة في بعضهم حدا عجيبا . وكتاب الدكتور
(روا) نموذج صارخ على ذلك . فقد ألح على اخطار الاجهاض مع انه
اعتبر العلية البصيرة صحية جدا وطالب باختياره كجريمة وليس
كجنحة . ونرى ان يمنع حتى في حالة تعرض حياة المرأة او صحتها للخطر
نتيجة الحمل . اذ اظن ان الانتفاء بين حياة وانثى عمل غير اخلاقي
وبالاستناد الى هذه الحجة تصح بتفحيط الام .

ان روح العناء للمرأة ما زالت حية ، ويرى ذلك في عناد بعض
الرجال واسرارهم على رفض كل ما من شأنه تحرير المرأة .

ان عملية الاجهاض تجري غالبا في شروط غير ملائمة حتى ان كثيرا
من النساء المجهيزات يلاقين حتفن . كتب الدكتور (ديبلا) مقالا في

جريدة (كوبيا) في آذار ١٩١٨ جاء فيه :

• وان المعهد الطبي الشرعي في باريس يفتى جنتين في كل اسبوع .
• وكثير من عمليات الاجهاض تؤدي الى امراض دائمة .

• لقد قيل ان الاجهاض «جريمة راقية» وهذا القول صحيح الى حد
كبير ، لان طريق منع الحمل كثيرة الانتشار في اوساط البورجوازية .
• وان وجود لوفة خاصة للزينة يجعل التطبيق سهلا يمكن العمال
والفلاحين المحرومين من الماء الجاري .

• ومن اسباب الاجهاض ، الفقر ولزومة السكن واضطراب المرأة الى
العمل خارج البيت . ويبدو ان المرأة ، في اغلب الاحيان ، تقرر تحديد
النسل بعد ولادتين .

• ان خطورة هذه التجربة تبدل كثيرا تبعا للظروف . فالمرأة المتزوجة
زواجا بورجوازيا والتي تستند الى رجل ولديها اموال وصلات ، هي
في وضع مميز . فهي تستطيع ، بصورة اسهل من غيرها ، الحصول على
اذن اجهاض «طبي» ، واذا دعت الحاجة فانها تنعقب في سفرة الى
سويسرا حيث يسمح بالاجهاض . وفي اوضاع الطب النسائي الحالية
تعتبر هذه العملية سهلة بسيطة اذا قام بها اخصائي واتخذت كل
الضمانات الصحية .

• وعلى العكس من ذلك ، لا شيء يستدعي الشفقة مثل الفتاة المنزلة
التي لا تملك الاموال الضرورية فتضطر الى ارتكاب «جريمة» لتسحق
اثر «الخطيئة» .

ان الرجل الذي يغوي المرأة هو الذي يتنمها غالبا بالتخلص من

الطفل . فاما ان يكون قد عبرها بعد حملها وانها تريد ان تخفي الامر عنه او انها لا تجد من طرفه اية مساعدة . وهي احيانا لا تتخطى عن الطفل دون اسف ، وعينها تباشر بالتخلص منه لتكون في شعرها الثالث او الرابع او الخامس ، حينئذ يصبح الاجهاض اكثر خطورة واشد لما من الاجهاض في الاسابيع الاولى . ان المرأة تعرف هذا الامر معرفة جيدة ، لذلك تطول التخلص منه وهي في حالة من القلق واليأس .

يجعل الناس في الارياض استعمال المسير . والفلاحة التي ارتكبت الخطيئة تخرج نفسها من السلم او الدرج وغالبا ما تخرج نفسها بغير نتيجة . اما في المدن فالتساء يتبادلن المعونة ، على ان الجراحين الذين يتجند بهم يكونون غالبا قليلي الكفاءة . . هذا اذا لم تهم المرأة نفسها بالمحاولة .

قص علي طبيب ، ان احدى الطبيخات الجاهلات ارادت ان تحطن رحبها بالخل فحقت نتائجها ، مما سبب لها آلاما مبرحة .

يرافق الاجهاض الذي يكون غالبا اكثر مشتقة من الولادة الطبيعية اضطرابات عصبية . وقد يحدث احيانا امراضا داخلية خطيرة او يؤدي الى نزيف مميت .

حدثوني عن ضاربة على لآلة الكناية بقيت اربعة ايام في غرفتها وهي غارقة في دماغها دون اكل او شرب لانها لم تجرأ على طلب المساعدة . لا شيء اسعف من وضع يختلط فيه التهديد بالموت بالجريمة والفسيحة . ولما كانت العملية تجري في جو من السرية والاحرام فان الخطر يتزايد ، وتأخذ العملية طابعا حقيرا مقلقا . وتأخذ الام والمرض

والموت شكل عقاب . ان المرأة تحس بنفسها مغطاة من خلال الاخطار التي تأخذها على عاتقها وهذا التداخل بين الالم والخطيئة شاق ومرهق .
تختلف شدة الشعور بالناحية المعنوية للنساء بحسب الظروف .

فبالنسبة الى النساء «التحررات» جدا ، ونظرا الى ثروتهن ووضعهن الاجتماعي ووسطهن المطلق ، وبالنسبة الى النساء اللواتي عليهن الفقر او اليأس الاستخفاف بالأخلاق البورجوازية ، لا يوجد اية مشكلة .
كل ما في الامر ان عليهن المرور بفترة مزعجة قليلا او كثيرا .

الا ان هناك نساء كثيرات يحسسن بالرهبة من اخلاق لا تزال تحافظ على سلطاتها امام اعينهن وان كسبن لا يستطعن ان يكفئن سلوكهن بمقتضاها . فهن يحترمن احترامنا ضمنيا القانون الذي يخالفنه ، ويتألن لارتكابهن جنحة ، ويتألن لما اكبر لانهن مضطرات الى البحث عن شركاء وشريكات .

يشعرن اولا بذل السؤال : السؤال عن عنوان وطلب رعاية طبيب او ممرضة . انها تطلب هذه المساعدة ، ولكنها ترفضها غالبا ضمن نفسها ، فهي موزعة منقسمة ضمن ذاتها . لانه اذا كان صحيحا ان الاجناس ليس جريمة قتل فلا يمكن مع ذلك تشبيهه بوسيلة بسيطة ضد الحمل . فقد وقع الحادث وهو بداية مطلقة ثم اوقف تطوره . وان بعض النساء تصاحبن ابدا ذكرى هذا الطفل الذي لم يولد .

تروي (هيلين دوئش) في كتابها «نفسية النساء» حالة امرأة متزوجة طبيعية جدا من الناحية النفسية ، فقدت جنين في الشهر الثالث بسبب تكويرها الجنسي فقامت لها قبرين وبقيت تحيطها بحبها وخشوعها

حتى بعد ما ولد لها عدة اطفال .

فلا شك في ان المرأة التي تجهش نفسها بإرادتها تحسن غالباً لها
ارتكبت ذنباً . وقد تعبر السوداوية الرضية عن هذا الشعور بالأثم .
والى جانب النساء القواني يعتقدن ان اعتدين على حياة شخص ، هناك
نساء كثيرات يعتبرن ان جزءاً من ذاتهن قد فصل عنهن ، وعن ذلك ينشأ
حقد ضد الرجل الذي طلب اليهن الاجهاض . واذا كان من النادر ان تصاب
شطح المرأة صلتها بشريكها الرجل قطعاً باناً فكثيراً ما يحدث ان تصاب
بالبرود الجنسي لزاء جميع الرجال او لزاء الرجل الذي حملت منه .

يسهل الرجال الى الاستخفاف بالاجهاض فيمشرونه من الطوارئ
العديدة التي كتبها حبث الطبيعة على النساء ، ولا يقدرن ما يشغنه
من قيم .

وتنكر المرأة كل قيم الانوثة ، قيمها الخاصة ، حين تتناقص الخلاق
الذكور تناقصاً صارخاً . ويترزع كل عالمها الخلقى . في الحقيقة ، انهم
كرروا انماها منذ طفولتها قولهم ان مهمتها انجاب الاطفال وانضوا امامها
بهيبة الامومة . ويرروا مساوية وضعها والاعمال المثلية المطة وكل
شياء بهذا الامتياز العجيب الذي تتمتع به وهو القدرة على انجاب
الاطفال . وما هوذا الرجل يسألها ان تتخلي عن طفرها كائن ، كيان
يحافظ على حرته ولا يقيد مستقبله ولا يهدد مصالح مهنته ، الم يعزوها
عن فرغها امام دم الحيض وهي فتاة بوعدها ببساعح الولادة .

وحتى اذا وضيت بالاجهاض ورغبت فيه فانها تحس به كانه تضحية
بانوثتها ، ويضي لها ان تعتقد اعتقاداً لها ليا ان جنسها كمرأة لمنة تعيق

بها وعجز يلتزمها وخطر يهددها . وقد يصل الحد في بعضهن مبلغ التحول الى السحاق .

على ان الرجل ، حين يطلب الى المرأة التفضية باسكاتياتها الجنسية له سبيل تحسين مصيره كرجل ، يفضح في نفس الوقت رياء القواعد الاخلاقية المذكور . . انهم ينعون الاجهاض بصورة عامة ولكنهم يرضون به بصورة خاصة كحل ملأه . انهم يناقضون القسوم بطيش ، الا ان المرأة نفس بهذا التناقض ، في جسها الجريح ، وغالبا ما تكون شجولة لدرجة يستحيل عليها ان تثور ضد سوء نية الذكور . وهي ، اذا تفكر في انها ضحية ظلم يجعل منها مجرمة بالرغم منها ، تحسن نفسها مندسة مذالوة . انها هي التي تجسد خطيئة الرجل تجسيدا ملموسا مباشرا . فهو يرتكب الخطيئة ويتغلل منها بالقائها على عائق المرأة . وقد لا ينطق احيانا بكلمة ، بل يكتفي بالهجاب ، الا ان صمته وهروبه يشكلا ن تكلفيا سارخا لكل الاخلاق التي شرعها الذكور . والنساء يتعلمن الكف عن تصديق الرجال حينما يشيدون بالمرأة او حينما يشيدون بالرجل . ان الشيء الوحيد المؤكد هو حالتهم التعمية . واعتبارا من اول اجهاض تبدأ المرأة بفهم الحقيقة . ولا يعود للعالم نفس الوجه بالنسبة الى الكثيرات . ومع ذلك فالاجهاض هو الطريق الوحيد المفتوح . وسبق سيكمل بقوله :

وان تحظر الاجهاض قانون غير اخلاقي لان هذا القانون سيخالف حتما في كل يوم وفي كل ساعة .

ان تبني مراقبة النسل والاجهاض القانوني يتيح للمرأة النهوض

بالأمومة في حرية • وتقرر انجاب الأطفال عند المرأة بالأرادة المصممة
كما بالصدفة • وطالما لم يصبح التلقيح الصناعي اجراء شائعا فقد تضمن
المرأة الأمومة دون ان تحصل عليها اما لانها ليست على علاقة مع رجل
او ان زوجها عاقرا او انها سببة التكوين • وعلى العكس من ذلك ، تجد
نفسها غالبا مضطرة الى الانجاب ضد رغبيتها • وتعيش النساء الضلل
والأمومة بصور مختلفة تبعاً لحدوثها في حالات الثورة او الخضوع
او الاكتفاء او الحماض • ويجب الاحتراس من ان القرارات والمواقف
التي تمر بها الام الشابة لا تتفق دائما مع رغباتها العميقة • فبإمكان
التزوجة الشابة التي تستقبل حملها بفرح وافتخار ان تتشاء في صمت
وتكرهه من خلال ذكريات الطفولة التي ترفض هي قصصها الاقرار بها •
وهذا من الأسباب التي تجعل النساء على الصمت حول هذا الموضوع •
وان سمعن نشأ جزئيا من انهن يرتعن الى اساطير هذه التجربة الخاصة
بين بالانغاز •

وأذا ان المرأة تم اعتبارا من طفولتها ببدء مراحل فيما يخص
الأمومة • فحين تكون صغيرة يبدو لها الأمر كالمعجزة ولعبة فهي تجد
في البداية والطفل فرحا تنارس عليه استحوافها وسلطتها • وحين
تصبح بافعة ترى في الطفل تهديدا لسلامة شخصها او انها ترفضه بشدة
او انها تتشاء وتتشاء مما يؤدي الى كل انواع القلق • وبعض الفتيات
يرتنن الى ممارسة السلطة التي تخولها الأمومة ولكنهن غير مستعدات
لضمان ما ينجم عنها من مسؤولية •

مثال ذلك حالة (إديا) التي كانت تعمل في الخدمة وهي في السادسة
عشرة من عمرها • كانت تعامل الأطفال الموكلين لعنايتها بكل مضيعة •

وكان ذلك امتدادا لاجلام الطويلة . الا انها شرعت فجأة باعمال خدعتها
واخذت لا تبالي بالاطفال وتخرج من البيت وتنازل . لقد انتهى بالنسبة
اليها وقت اللعب وبدأت بالاعتماد بحياتها الحقيقية التي لا تحتل فيها
الرفية في الامومة الا مكانا محدودا . وبعض النساء يرفغن خيلة حياتهن
في السيطرة على الاطفال ولكن يرفضن العجاب الاطفال باضهن
فيصبحن مطلقات او معرضات او قابلات ، وبعضهن ايضا لا يدفن عنهن
الامومة بقرف الا انهن يكن منهنكات بحياتهن الغرامية او يهتبن
انها كما لا يدع مجالاً للامومة في حياتهن .

وتحقق المرأة نفسها غالباً بصورة ارادية لما يتجنب الاتصال الجنسي
او بوسائل تحديد النسل . على ان هناك حالات لا تقر فيها المرأة بخونها
من الولد فيمنعها السياق النفسي من الحمل . اذ تطراً عليها اضطرابات
وعائية من اصل عصبي ، تظهر بالفحص الطبي .

يسمي الدكتور (الرتور) مثالا بارزا على ذلك :

ذهبت السيدة هـ . من قبل امها توتة سينة على حياتها كمرأة فقد
كانت امها تسباً لها دائما باقطع الكوارث اذا حملت طفلا . ولما تزوجت
السيدة هـ . خيل اليها انها حامل في الشهر التالي ثم لاحظت خطأها .
وتخيلت نفس الشيء . بعد ثلاثة اشهر ثم شعرت بطفنها . بعد عام ذهبت
تستشير احد الاخصائين في الامراض النسائية فلم ير عندها او عند
زوجها اي سبب للعقم . وبعد ثلاثة اشهر رجعت طبيبا آخر قال لها :
سوف تحبلين طفلا حينما ستقلين من الحديث عن الحمل . وبعد خمسة
اشهر اعتقدت السيدة هـ . مع زوجها ان لن يكون لها طفل . . . فولدت
طفلا في العام السادس .

يتأخر قبول أو رفض الحمل بنفس العوامل التي يتأثر بها الحمل بصورة عامة . فخلال أشهر الحمل تنتشط اعلام الطغولة . ويعيش المرأة حملها بصورة مختلفة بحسب علاقتها مع زوجها ومع ذاتها .

وحينا تصبح المرأة اما تأخذ محل امها التي ولدتها . واذا كانت تحب الحمل حقا فانها تتهج به وتعمل على السير فيه دون مساعدة . اما اذا كانت لا تزال واقعة تحت السلطة ورافية بذلك فانها تلجأ الى ابائهم امها فيبدو لها حملها كآخ او كالأخت لها اكثر من غلظة كيدنها . واذا كانت ترغب في التحرر ولا تجرؤ عليه في نفس الوقت فانها تخشى ان يقيدنها الطفل عوضا عن ان يتفلسفها . مثل هذا القلق يكون من نتيجة احيانا الاجهاض .

تروي (هد. دوتش) قصة امرأة كانت مضطرة الى مرافقة زوجها وترك طفلها عند امها فانجبت طفلا ميتا . وقد شعشت لانها لم تبك كثيرا . انها كانت تستمتع ترك ولدها عند امها التي كان يوسعها التحكم بابنتها من خلال الطفل .

انا نرى من المثال التالي الذي تروي به (هد. دوتش) ما للعلاقة مع الام من اثر سيء :

«السيدة سيث هي الابنة الصغرى لعائلة ذات اولاد عديدين ليس فيهم سوى سوي سبي واحد . كانت امها تنظر اليها نظرة حقد لانها كانت تريد مولودا ذكرا . الا انها لم تكن تقاضي كثيرا من ذلك لان اباعها واشتت الكبري كالا يعطقان عليها . ولما تزوجت واخلقت تنظر ولادة طفل ، لعال الحقد الذي كانت تشعر به سابقا تجاه امها ، فكرة

الأمومة يفضية الي نفسها رغم انها كانت تمنى هذا الطفل بلطفة .
فولدت قبل انتهاء المدة بشهر عظاما ميتا . ولما حملت ثانية خشيت وفروع
حادث جديد ، ولحسن حظها ان احدى صديقاتها القريات حملت في
نفس الوقت وكان لها ام شديدة العطف والمحبة احاطت بها برعايتها
اتناء حملها . الا ان صديقتها كانت تسبقها بمدة شهر ما دفعها الي
الخوف من انتام فترة الحمل وحدها . لكن الجميع دعسوا لى رأوا
فترة حمل الصديقة تمت شهرا زيادة عن المدة المقدرة . وفي نهاية الامر
ولدت الصديقتان في نفس اليوم .

وقررت الصديقتان ان تحملا بالولد الثقيل في نفس اليوم وابتدأت
السيدة سميت حملها الجديد بشرفلق . الا ان صديقتها انشطرت خلال
شهرها الثالث الي مغارة المدينة ، ويوم علمت السيدة سميت بذلك
اجهضت . ولم تحبل بعد ذلك بأى ولد آخر لان ذكرى انها كانت
شديدة الوطء على نفسها .

ولا تقل علاقة المرأة مع والد الطفل في الاهمية عن علاقتها مع امها .
والمرأة التي يفت جدا من التضج والاستقلال قد تريد طفلا ينسها
لفظ . وانذا كان والد الطفل يشاركها في حياتها فانها ترفض ان يكون
له اى حق في نسلها وتحاول ان تتشكل مع صغيرها وحدة منفلقة على
نفسها . على ان المرأة في اكثر الحالات تحتاج الي مساعدة الرجل لتقبل
مسؤولياتها الجديدة . وكلما كانت خجولة اذابت لديها هذه الحاجة .
والمرأة التي تكن حيا لزوجها تكتسب غالبا عواملها مع عوامله
وتقبل الحمل والأمومة بسهولة اذا كان فخورا بذلك ، وتقبلها باستياء
اذا احس بالازعاج . وتنسى المرأة احياء الطفل لتوثيق الصلة مع

رجلها فيتعلق بملها الى الطفل بجراح او قسبل مغططاتها .

وإذ كانت تحس تجاه زوجها بالخصام فيمكنها التمسك بالطفل
تسكاً شديداً يدفعها الى الكثار من الالب فيه او انها ، على العكس ،
تنظر الى الطفل نظرة حقد كما تنظر الى امه البيغض .

على ان الحمل مأساة تصطرح ضمن ذات المرأة ، فتحس به في
نفس الوقت كإفناء وكإقتطاع . والجين هو جزء من جسمها وفي الوقت
نفسه طفلي يستورها وكل منها يستك للآخر . انه كائن جديد
يستعد لرؤية الحياة ويرر وجود له ، وهذه تحس بالمرءة والفخر
الا انها تشعر بنفسها المعربة في ايدي قوى مظلمة .

تصبح مباحج الحمل والأوضاع عند بعض النساء من القوة بحيث
يردن تكررهما دائما . هؤلاء النساء اللواتي يعتبرن «منجيات» أكثر
منهن امهات ، يحثن بنهم عن امكانية التنازل عن حريتهن في صالح
جسمن . إذ يبدو لهن وجودهن مبررا بحدوث الانجاب السليبي
لجسمن . هكذا تصبح المرأة غارقة في تيار الحياة مندسجة بالكل
كحلقة في سلسلة تعاقب الاجيال الامتاعية ، كتلة من اللحم موجودة
من اجل كتلة لاحقة بفضل كتلة سابقة . ان المرأة الحامل تكف عن
كونها متاعا خاصا لشخص آخر وتكف ايضا عن كونها شخصا تحلقه
حرته لتصبح هذا الواقع المتبس : الحياة . ولكنها متوهمة إذ تحس
بنفسها ، كوجود بالذات وكتيبة كاملة .

انها لا تصنع الطفل بل يصنع ضمنها . ولحمها لا يحدث الا اللحم
فقط . وهي عاجزة عن تكوين وجود عليه ان يكون نفسه . ان الخلق

المبحث عن الحرية يضع الشيء كقيمة ووضفي عليه طابع الضرورة .
قد يكون للمرأة أسباب في ان تريد طفلا الا انها لا تستطيع ان تعطي
لهذا «الأخر» الذي سيوجد لهذا أسباب وجودها الخاصة .

فالمرأة تحدث الطفل في عمومية جسده لا في فردية وجوده . وكل
طفل هو آلة يصنع من نفسه انسانا . ولا يمكنه ان يعطى ذاته كشعور
وحرية لذا لم يولد . ان الحقيقة العليا لهذا الوجود الذي يتكون في
احداثها تستعص عليها .

كل امرأة تظن ان ولدها سيكون طفلا ولكنها تخشى في نفس
الوقت ان تلد طفلا ناقصا . وبحسب الاحوال تنصر اما الفكرة الاولى
او الفكرة الثانية الا ان المرأة تتقلب غالبا بين الفكرتين .

كما انها تتأثر ايضا بزدوجة اخرى : فهي تؤكد الحياة ضد الزمن
والموت إذ ترى نفسها محسولة بدوام النوع وتكون لذلك مرشحة
للخلود ، يدانها تحس في جسدها حقيقة كلمة هيجل : «ولادة الاطفال
موت الأباء» . ان مجاوزة الذات هذه ، هي ايضا بالنسبة الى المرأة
لتحسيس مسبق لموتها . وتعتبر المرأة عن هذه الحقيقة بما تشعره من
خوف حينما تصور الولادة ، لانها تخشى ان تفلد حياتها اتمامها .

ان موقف المرأة يتبدل خلال مراحل تطور الجنين . ويجب ان
تلفت النظر اولا الى ان الولد لا يكون حاضرا في بداية سياق التطور ،
وليس له بعد سوى وجود تصوري . تستطيع الام ان تعلم بهذا
المرء الصغير الذي سيولد بعد بضعة اشهر وان تشغل نفسها في اعداد
السرير والملابس ، ولا تحس احساسا ملموسا الا بالاضطرابات العضوية

التي تجري ضمنها . ويدعى بعض كلمة الحياة والخصب ادماء نيبيا :
ان المرأة تعرف من كيفية المدة التي تحس بها ان الرجل جعل منها اما .
هذه اسطورة ينبغي طرحها ، لان المرأة لا يسكنها ان تعرف هذا الحادث
معرفة حدسية جائزة . بل تستقره اعتبارا من علامات الكيدة : إذ
تقطع منها العادة الشهوية وتحس بالثقل والالام في ثديها وتضعف
بالدوار وبالرغبة في التقيؤ . واحيانا تقف فقط انها مريضة فينبهها
الطبيب . حينئذ تصبح فرصة لنوع الذي يفرض عليها قوانينه
المجهولة . ويرجع تقيؤها جزئيا الى التغيير في افراز المصارات . واذ
كانت هذه الارتكاسات ، غير المعروفة عند الحيوانات الثديية ، تأخذ
قسما من الاهمية فذلك لدواع نفسية . انها تظهر الطابع العام الذي
يكتسبه الصراع بين النوع والفرء عند انشئ الانسان . وحتى اذا كانت
المرأة ترغب في الولد رغبة عتيقة فان جسها يتور حينئذ ينبغي له
ان ينجب .

ويؤكد (ستيكل) ان تقيؤ المرأة الحامل في حالات القلق
العضوية ، يمر دائما عن نوع من الرفض للطفل . واذ كانت المرأة
تستقبله بخصام . لاسباب لا تعرفها غالبا . فان الاضطرابات المعدوية
تأخذ في الازدياد .

ويمكن ان تظهر في بعض الحالات الفكرة القائلة بالانجاب عن
طريق الدم والتي يمكن ملاحظتها عند الاطفال . وتشبه بعض النساء
الحمل بمرض في الجهاز الهضمي . تروي «هد» دولتن قصة مريضة
كانت تمنحس تقيؤها بقلق ترى فيها اذا كان هناك اجزاء من الجنين ،
على انها كانت تعلم فيما تقول ، ان هذه الفكرة التابتة سخيفة . ويعبر

النعم وانجاس الشهوة عن نفس التردد بين الرغبة في المحافظة على الجنين والرغبة في تحطيمه ... تعرفت الى امرأة شابة كانت تشكو من قيودات قديمة وقبض شديد ، قالت لي هي نفسها ذات يوم انه يخيل اليها ، انها تحاول في نفس الوقت طرح الجنين والمحافظة عليه .

لأن الامساك والاسهال يعبران دائما عن نفس الخليط من الرقة والقلق ، ويكون نتيجة ذلك اعيانا الاجهاس . وتكاد تكون الاجهاسات المعوية كلها ناشئة عن سبب نفسي . وما يزيد في الزعاج المرأة انها تمزج اليه اعوية زائلة وتزداد في الاصغاء الي نفسها . وخاصة وهم النساء الجبالى المشهور فانه فكرة ثابتة ذات اصل طفولي . وهن يتشهن الاطعمة بصورة خاصة نتيجة لفكرة الغضب المذائي القديمة . وهناك على كل حال ترسيخ للوهم من قبل العقائد فتترب المرأة ان يحل بها وترفض بل وتخرعه . لقد قصوا على حكاية المرأة التي احست بشهوة جنسية الى السباح فعمرت الى السوق لتشتريه وكانت تلتق على الارض بشدة وبصبر فارغ وهي تنظر اليه حين يلحظه . كانت تعبر عن شعور القلق بوحدها ولما كانت تعرف انها لم تكن تستطيع التحويل الا على نفسها فانها كانت تعمل على اكفاء رغباتها بسرعة كبيرة .

وسنت البدوة (دارياتيس) وسلفا مسليا حالة وهم اوجيت الى المرأة ، من الناس المحيطين بها :

وان الاعتناء الشديد يزيد الزعاج ومرضى القلب والم الاصاب وشتى انواع الامم الذي يصاحب دائما حالات الحمل الاولى . وقد غيرت ذلك .. كانت امني هي التي ابتدأت ذات يوم وانا اتناول العشاء خديعا ...

قالت لي بنتي :

— آه يا الهي ، لم أفكر في ان أسألك عن وحيك .

فأجبتنا بقولي :

— لا أشعر به ايها .

قالت امي :

— لا تشعرين بالوحم ، لا تشعرين بالوحم ، ان ذلك لم يحدث
قط ! انت مخطئة . لا شك في انك لم تتبهي اليه . سأحدثك مع حباتك
في هذا الموضوع .

هكذا تناورت الامتان فيما بينهما . وصرت اسبح (جوتو)
يسألني كسل صباح : (اي شيء تشتهين يا لور) . واضافت شقيقة
زوجي العائدة من فرساي الي قائلة الاسئلة ما شاهدته من اشخاص
مشوهين نتيجة لعدم تلبية الوحم .

وفي النهاية حل بي الخوف فأخذت ابحث في رأسي عن الاشياء
التي تعجيبني أكثر من غيرها فلم أجد شيئا . اخيرا فكرت عرضا ان
الاناناس شيء طيب . وما ان اقتعت نفسي بانني انتهيت الاناناس حتى
شعرت برغبة شديدة فيه وازدادت هذه الرغبة لما علمت انه ليس وقت
الاناناس . حينئذ فقط شعرت بهذا الالم الفظيع الذي يجعلك في حالة
الموت او تلبية الرغبة .

ولما حصلت اخيرا على الاناناس دفعت عن الصحن وانا أقول :

— لا اعرف ما حل بي ولكنني لا استطيع ان آكل الاناناس .

ان النساء اللواتي يتلقين رعاية زائلة او يعتنقن بانفسهن كثيرا تظهر
طبعهن العوارض الرضية اكثر من غيرهن . اما النساء المترجلات
واللواتي يتفردن الفهن لوظيفة التاسل فيجتزقن تجربة الحمل بسهولة .

وتتبدل العلاقة بين الام والجنين بامتداد الحمل . ويستقر الجنين
استقرارا واسعا في جوفه امه وتتكيفه البنتان الواحدة مع الاخرى
ويجري بينهما تبادل بيولوجي يسمح للمرأة باستعادة توازنها . ولا
تعود تشعر بانها غريبة النوع بل هي التي تعطفك لمره احشائها .
في الاشهر الاولى كانت لمرأة عادية وفيما بعد مستصبح لما يشكل واضح
فيموض مجد الامومة عن ضعفها . ونساء كثيرات يجدن حينئذ سلا
عجيبا في صطنهن . ولا يعود احد يظن اليهن القيام بعمل او بذل
مجهود ولا يعود من شأنهن الاهتمام ببقية الناس . ان احلام المستقبل
التي كانت تداعب مخيلتهن صارت حقيقة واقعة .

ويرى المرأة نفسها ايضا قد صارت محط الاهتمام . كانت كزوجة
تتألم من تبعيتها للرجل ، اما الآن فلم تعد متاعا جنسيا او خادمة بل انها
تجسد للنوع وواعد بالحياة والطفود . اما الانشغاض المحيطون بها
فيحترمونها وحتى ان نزواتها بالذات تصبح مقدسة .

ان ذلك يشجعها ، كما رأينا ، على اختلاق الرغبات وتصوير الوهم .
تقول (هدم دونش) ذات الحمل يتبع المرأة ان تظهر بعض الامثال بظهور
العقلانية ولولاه لبدت سخرية» .

وهناك نساء اخريات يتطعن مع امهتهن الجديدة وتبين اساطير
الرجال : فيقابلن صفاء الفكر بليل الحياة الضصيب ، والشعور الواضح

بالغاز الباطن ، والعزبة الغصية بتقل البطن . ان المرأة المرشحة للامومة
تحس بنفسها كنبوع ، كجذر . وانما نفت قنومها نوم الفوضى حيث
تخسر العوالم . ومنهن ايضا من يشين الفسهن ويسحرن بالحياة التي
تمو ضمنهن .

وعلى العكس من ذلك ، تألم النساء القوالي يعتبرن الفسهن متاعا
جنسيا ويحببن الفسهن في جمال جسهن من رؤية الفسهن ذميات
مشوهات عاجزات عن استارة الشهوة . ولا يبدو الحمل بالنسبة اليهن
كعيب وانما بل كاتفاض الشخصهن .

نرى في كتاب «حياتي» (لايزوندورا دالكازان) :

«كان الطفل يشعر بوجوده . وكان جسدي الجميل المرمرى يتحطم
وتنشوه ، كنت احس احيانا وانا اسير على شاطئ البحر فيض من
القوة والعزيمة والقول في نفسي : هذا المخلوق الصغير سيكون لي ، لي
وحدي ، لكن كان يخيل الي في ايام اخرى انني حيوان بالسي وقع في
الفيغ . وكنت افكر غالبا وانا القلب بين اليأس والامل ، في تطواقي ايام
صباي وفي ترهاتي الهائلة... كل ذلك كان نيتا قدما ضائعا في الضباب
الذي يؤدي الي انتظار الطفل ، هذه النخبة الغنية الموجودة تحت متناول
اية فلاحه . حينئذ بدأت تتأبني كل انواع الرعب . وحينما كنت اطاول
اتجاج نفسي بان لكل النساء اطفالا وان ذلك امر طبيعي ، ومع ذلك كنت
احس بالخوف . الخوف من اي شيء ؟ طبعا لا من الموت ولا من الام .
كان تشوه جسدي يزداد يوما بعد يوم امام عيني المشدختين . وغالبا ما
كنت احس بنفس ، بالسة مقهورة ، بالرقم مني . الصراع مع الحياة ،
مع هذه العلاقة ، لم يكن صراعا متكافئا ، الا انني كنت انتقل بفكري

الى الطفل الذي سيولد فتبخر كل احزائي . يا لها من ساعات قاسية ،
ساعات الانتظار في الليل ! كم نطمع غالبا لنحصل على مجد الامومة .

وفي مرحلة الحمل الاخيرة يرسم الانفصال بين الام والطفل . وتشر
النساء بصور مختلفة باول حركة من حركاته ، بضربة رجله على ابواب
العالم ، على جوانب الجوف الذي يحبه في منزل عن الدنيا . وبعض
النساء يتلقن بدعشة هذه الاشارة التي تعان من وجود حياة مستقلة ،
وبعض يفكرن في التسهن بترف كونهن يتفنن شخصا غريبا . ومن
جديد يتكفر الاتحاد بين الجنين وجسم الام ونحس المرأة بالضغط
والتور وسعوية النفس . هذه المرأة ، لا يمتلكها النوع غير المميز بل
يملكها هذا الطفل الذي سيولد . قيل لأن لم يكن سوى صورة وانزل
اما اليوم فهو حاضر حضورا قليلا . وان حقيقته تخلق مشاكل جديدة .

كل انتقال مقلق ، لذلك تبدو ولادة الطفل مخيفة جدا . وحينما
تقترب المرأة من الاجل المحدد نمود كل مخاوف الطفولة الى النشاط .
فاذا احست بنفسها ملغوة من قبل انها نتيجة للشعور بالاثم التفت
لنفسها انها ستموت او ان طفلها سيحوت . وقد وصف تولستوي في
قصته «الحرب والسلام» امرأة كانت ترى في الولادة حكما بالانعدام وقد
ماتت بالفعل .

تكتسب الولادة طابعا مختلفا بحسب الاحوال . فلام تتمكن ان
تعاطف في جوفها على كثر اللحم الذي هو قطعة نيرة من ذاتها وتتنس
في نفس الوقت الغلام من شيء مزعج ، تريد ان تسك اخيرا يحصلها
بين يديها ولكنها تخاف من المسؤوليات الجديدة التي سيخلقها تحقيق

هذا العلم . قد تنتظر هذه الرغبة أو تلك ولكن المرأة تكون غالبا موزعة بين الرغبتين . وغالبا ما نزع ان تثبت نفسها وللحيطين بها انها تستطيع التغلب على التجربة بغير مساعدة ولكنها في الوقت نفسه لأخط على العالم والحياة وعلى اقاربها هذه الآلام التي تحمل بها وتنبئ عن احتياج مسلكا سليا . والنساء المستقلات يحاولن جهدهن ان يملين دورا ايجابيا في التحققات التي تسبق الولادة وانهاء الولادة بالذات ، ولذا كن من النوع الطولي غالبا ينزكن امرهن بكل سلبية للقايلة ولامهاتهن . وبعضهن يتعلمن كبرياءهن الى عدم الصراخ كما يرفض بعضهن للقي التوجيهات .

وبصورة عامة ، يمكن القول ان النساء يبرزن في هذه الازمة عن موقفهن العميق تجاه العالم بشكل عام وتجاه الامومة بشكل خاص :

نحن صارت او مستلمات او ملحات او ثلاث ...

هذه الاستعدادات النفسية تؤثر تأثيرا بالغا في مدة وسهولة الحمل الذي يتعلق طبعاً بعوامل عضوية سرفة ايضا . وانه الامر ذو دلالة ان المرأة تحتاج بصورة طبيعية الى المساعدة فتنهض بالوظيفة التي اوكلتها اليها الطبيعة . وهناك فلاحات معتادات على الشدة يلدن بالهضمن الا ان وحدتهن تؤدي غالبا الى موت الطفل او اصابة الام بامراض غير قابلة الشفاء . ومن الطبيعي ان يكون الصراع بين مصلحة الفرد المؤقت ومصلحة النوع ، من الشدة بحيث يؤدي غالبا الى موت الام او الطفل وان توسط البشر عن طريق الطب والجراحة هو الذي اقمض انقاصا كبيرا ، بل ازاح تقريبا ، الطوارئ التي كانت كثيرة الوقوع سابقا . وان

طرق التطهير المنتشرة في أميركا تأتي قول التوراة : «استلذين في الألم» .

تبدو الولادة بالنسبة الى بعض النساء كاستشهاد ، وبالنسبة الى
بعضهن تبدو كتحية سهلة التحمل . وقليلات هن اللواتي يشعرن بقلّة
جنسية بسبب الولادة .

كتب احداهن قولاً :

«التي مخلوقة شهوانية لدرجة ان الولادة نفسها هي ، بالنسبة الي ،
عملية جنسية كانت عندي سيئة جيئة جدا نفسي ولحقتني ، وكان
ذلك كاليا ليضعني في حالة من التهيج الكبير المصحوب بالرعشات
العصبيّة»

وبعضهن يدعيهن انهن شعرن خلال ولادتهن بالقدرة المبدعة . فقد
قمن حقا بعمل ارادي والتاجي . وعلى العكس من ذلك تشعر الكثيرات
انهن سليات وانوات يحل بها الألم والتطبيب .

والعلاقات الأولى بين الام ووليدتها هي أيضا مختلفة . فبعض النساء
يتألمن من الفراغ الذي يشعرن به في جسهن ويخيل اليهن ان كثرهن
قد سبق منهن ولكن كل ام شابة تحس في نفس الوقت بفضول متعجب .
انها لاعجوبة قريبة ان يرى المرء وان . من يديه كأنها حيا تكون
فمن ذاته وخرج من ذاته . لكن ماذا كان بالضبط دور الام في هذه
العجائبة العظيمة التي قذفت الى الارض بوجود جديد ؟ انها تجهل ذلك .
لولاها لما كان الطفل موجودا ولكنه مع ذلك بلغت منها . انها تتحس

بالعزق المتعمد وهي تراء في الطارج متقطعا عن ذاتها او غالبا ما تحس
بغية الأمل ، وهي تريد ان تحس به تأبعا لها بصورة اكيدة مثل بقعا
الغامة .

لها لا تملك اي ماض مشترك مع هذا الطفول الصغير الاجنبي
وكانت تنتظر ان يكون مألوفاً لديها مباشرة . الا انه قادم جديد وهي
متعمشة من الالامبالاة التي تقابلها بها . لقد كان صورة وثيقا لا متاعيا
ثناء الحمل . وكانت الام تلعب في مخيلتها دور امومتها المثالية . وانه
الا ان شخص صغير محدود موجود وجودا واقعا وانه ضعيف وملج .
ويتسارع الفرح بوجوده الفعلي مع الاسف من انه ليس سوى هذا .
ولكن عن طريق الارضاع نجد تالية كثير من الامهات الشابات علاقة
حيوانية البنية مع طفلهن . والارضاع اكثر ارحاما من الحمل ولكنه يتيح
للرضع ان تبتد حالة الفرحة والامن التي كانت تسمح بها وهي حامل .
الا ان هناك نساء لا يستطعن تغذية طفلهن ولذوم لديهن الالامبالاة
الشديدة الغامة بالساعات الاولى الى ان يجدن مع الطفل علاقات
ملموسة .

وهناك ايضا امهات كثيرات يحل بين الخوف من مسؤولياتهن
الجديدة . فخلال الحمل ، لم يكن عليهن الا ان يتوكلن على جسدهن
والم يكن يتطلب منهن اية مبادرة . اما الآن فامامهن شخص له طبيعت
مطوق . وان بعضهن يتفقدن طفلهن ما تبين في المستشفى فرحات ولا
مبايات الا انهن يبدآن بالنظر اليه كعبه حاملا يعدن الى يوتهن . وحتى
الارضاع لا يسبب لهن اي فرح ، بل على العكس ، فمن يغفلن على

صنوبرهن • ان قم الطفل يجرهن ويبدو لهن انه يتص منهن القوة
والحياة والسعادة • وبخض طين عبودية سبعة مع انه لم يعد جزءا
منهن • انه يبدو لهن كطانية فينظرن نظرة الخصاص الى هذا الشخص
الاجنبي الصغير الذي يهدد جسمهن وحرمتن وكل ذاتهن •



وتتدخل عوامل اخرى كثيرة • فعلاقات المرأة بانها تحافظ على كل
العصبتها • تروي (هذه دوتش) حالة مريض شابة كان عليها غضب كلما
زارتها امها لتراعها • وهي تطب المساعدة غالباً ولكنها تغار من العناية
التي تقدمها امرأة اخرى للطفل •

كما ان لعلاقات الاب مع الطفل وما يحس به من عواطف تأثيرا كبيرا
ايضا • وان مجموعة من الاسباب الاقتصادية والعاطفية تبين وضع
الطفل كعبه وفيد او كتحرير ولهن •

وهناك حالات يتحول فيها الغصام الى حقد ظاهر يتجلى في الازهال
البالغ او للعامة السببة •

ويعتبر الخبراء في التحليل النفسي ان الامهات اللواتي عندن فكرة
تأبئة يمتلن شرا باطفالهن واللواتي يتخيلن حوادث لطيفة ، يشعرن كلهن
تجاه امثالهن بدهاء يعاولن كبته •

ان ما يبرز هذه العلاقة عن سائر العلاقات البشرية ان الطفل نفسه
لا يتدخل في الايام الاولى • وليس لانتساماته ونفسياته مدلول الا ما
تفرضه الام • وكما يبدو الطفل ساحرا او مزججا يتعلق الامر كله بالام

لا بالطفل . لذلك نحس النساء البارونات السوداويات اللواتي كسبن
يتوخين فيه الصحة والدفء بخيبة الأمل .

إن حدث الانتقال إلى الأئمة كغيره من حوادث الانتقال يسبب
غربة أمل مكشوفة عند الانطساق الذين يأملون أن يكون بوسع حدث
خارجي أن يجلد حياتهم ويررها .

هذا هو الشعور الذي نجده عند صوفي تولستوي . فقد كتبت :
« كانت هذه الأشهر التسعة الطع ما رأيت في حياتي . أما الشعر العاشر
فالأجدر أن لا نتحدث عنه » .

وهناك أمثلة أخرى تثبت عدم وجود «فرقة» الأئمة . هذه الكلمة
لا تطبق أبدا على النوع البشري . إن موقفه الأم يتحدد بمجموع
وضعها وطريقة أخذ هذا الوضع على عاتقها .

ولذا كانت بعض النساء اللواتي يكن «منجبات» أكثر منهن أمهات ،
يتوقفن عن الاهتمام بالطفل حالما يبلغ المقام أو حالما يولد ، ويتسبن أن
يحلن من جديد ، فإن كثرات من النساء يشعرون ، على العكس ، بأن
الانفصال نفسه هو الذي يعطين الطفل ، فهو لم يعد قطعة غير متميزة
من ذاته بل هو قطعة من العالم يمكن رؤيته ولمسه .

تعبر (سبيل سوافاج) عن هجة الأئمة المطلقة المستحودة بقولها:

عائسا حبي الصغير
على سريرك الكبير
بيكيني شك في حيور
ووزن شأن عندك الضمير

يا مرحبا نسائي الصغير
من السما واللحم والسرور
يا صوري وثورة الشعور

وتأخذ الامومة شكلا آخر حينما يكبر الطفل ، ففي الايام الاولى لا يكون سوى طفل مثل غيره من الاحفال وليس له الا وجود عام ، ثم تأخذ فرديته بالظهور شيئا فشيئا . والنساء للتحكمات يشعرن حينئذ بجاعه بالبرود ، وعلى العكس من ذلك ، يبدأ بعضهن الآخر بالاهتمام به . وتصبح علاقة الام بالطفل متزايدة التعقيد . فهو صورتها ولكنه في نفس الوقت شخص مستقل قد يمضاها . انه موجود وجودا حقيقيا ولكنه موجود في اعماق المستقبل وجودا خياليا تصوريا كياض وبالغ . هو ثروة وكثر من جهة ، وغيب وطافية من جهة اخرى .

ان الام كالعاشقة تشعر بالخيلاء اذ ترى نفسها ضرورية ، فهي ترى تبريرا لذاتها في استجابتها لما يطلب منها . على ان سموية حب الام وعظمتها لا يستند الى المبادلة . فالمرأة لا ترى امامها رجلا او بطلا بل كاتنا صغيرا يمتنع بالشعور في جسم ضعيف . وليقن امامه وحيدة ولا تنظر منه اي ثواب مقابل عطاياها التي لا تجد تبريرا لها الا في حرية المرأة ذاتها . هذا الكرم يستحق المدبح الذي لا يتكف الرجال عن افدائه على المرأة . ولكن التسمية تبدأ حينما يعلن «دين الامومة» ان كل ام نموذجية . يمكن التضحية الام ان تكون نموذجا كامل الامالة ، ولكن الامومة هي عادة توفيق عجيب بين الافاية والغيرة والعلم والصدق وسوء النية والتضحية والقسوة .

ان الخطر الاكبر ، التي تعرض عاداتنا الطفل اليه ، هو ان الام التي

يسلم إليها الطفل تسليما تاما هي تقريرا امرأة غير مكتفية ، فهي باردة
او عطشى من الناحية الجنسية ، وتشمع انها أقل من الرجل من الناحية
الاجتماعية وهي غير متمكنة من العالم والمستقبل ، لذلك تحاول التعويض
عن هذا الكبت من خلال الطفل . فإذا ادركنا الى أي حد يجعل وضع
المرأة صعبا عليها ان تحقق ازدهارها التام ، وما يمكن في اسواق نفسها
من رقيات وثورات ومطالب فإنا نخرج لأن امر الطفل الاعزل يترك اليها
وكنا كانت تهدهد وتغيب دميته بصورة دورية لما كانت طفلة ، فإن
سلوكها الحالي مسلط ومزبي ، إلا ان هذه الرموز حقيقة واقعة شديدة
بالنسبة الى الطفل . فالأم التي تضرب الطفل لا تضربه وحده فقط ، او
انها لا تضربه مطلقا اذا جاز القول ، بل تنتم من الرجل ومن العالم ومن
ذاتها ... ولكن الطفل هو الذي يتلقى الضربات .

والى جانب هؤلاء الامهات الساديات ، يوجد كثيرات من ذوات
التزوات وان ما يسهرن هو التحكم . فالطفل ذمية اذا كان صغيرا جدا ،
وفيما بعد يردد ان يكون عبدا يطيعهن اطاعة عبياء . والنساء لا يرهطن
غالباً في الحصول على مكانة من العناية التي يوفرها للطفل ، انهن
يصفن من خلاله كأننا غياليا يرى ان له تستحق الاعجاب ويفرض عليه
ان يشبه زوجهن او ، بالعكس ، ان لا يشبه ، او ان يجسد ابا او اما او
جدا مجالا .

ان هذا العناد في التربية وهذه السادية الخاضعة للنزوة يتمازجان
غاليا ، وتحثج الام عن غضبها بانها تريد اعداد طفلها .
وان بعض النساء كما يوضحن عن فراغ قلبهن ويجازين خصومه

لا يردن الإقرار بها ، لا يحتمل ابتعاد الطفل عنهم ويتخلين عن كل لغة
وعن كل حياة شخصية ، مما يسمح لهم بالظهور في مظهر الضحية ، ثم
يستخلصن من هذه التضحيات حق ابتكار كل استقلال للطفل . إن
مشاهد الخضوع هذه تسبب لدى الطفل شعورا بالانتماء يؤثر في كل
حياته . وإن العذر الكبير للام أن الطفل بعيد جدا عن أن يجلب لها
استكمال الذات ويحدث به منذ طفولتها ، فتنقص منه عن التعمية التي
كانت الام ضحية لها . كانت تستطيع التصرف بدمياتها دون أن تكون
خاضعة للمسؤولية ، أما الآن فالمجتمع وزوجها وأبها وكبرياتها الخاصة
يسألونها الحساب عن هذه الحياة الصغيرة الأجنبية كما لو كانت من
صنعها .



إن مصالح الأبرين ومصالح الطفل لا تلتقي دائما ، وعن ذلك تتجم
المأساة . فهو لا يفهم التفسيرات التي تحاول أمه أن تبديها ، وهي لا
تستطيع النفوذ إلى داخل شعوره ، وإن أحلامه ورغباته تشكل عالما
مغلقا غير شفاف . والام لا تستطيع أن تنظم إلا من الخارج وبصورة
متخفية هذا الكائن الذي يشعر بهذه القوانين التجريدية كعنف سطيف
لا معنى له .

وحيثما يكبر الطفل يبقى عدم التفاهم هذا . فالطفل يدخل عالما من
المصالح والقيم تجهله الام . وإن هذه قد يبلغ نيتها حد ذرف الدموع
لأنها تحاول قيادة كائن لا يسكن التجاوب معه .

إن الوضع يختلف بحسب كون الطفل صبيبا أو بنتا . ورغم أن

الصبي اصعب قيادا من البنت فان النساء يفضلن الذكور لما لهم من قوة
وامتيازات فعلية . فمن يقن : وانه لعظيم ان تنجب الام ذكرا . قلنا
انهن يعلمن بانجاب «بطل» والبطل يكون عادة من الجنس للذكر .
فالابن سيكون قائدا رجالا ومبدع اعمال ، وسيفرض ارادته فوق سطح
الارض وستساهم امه في طوره وسيعطيا هو ما لم تستطع هي عمله .
ومن خلاله ستستحوذ على العالم .

ان للمرأة موقفا ملتصبا ازاء سبب الذكر . واذا كانت حياتها الزوجية
او الفرادية قد جعلتها معادية للرجال فانها تحس بالاكتماء حينما تتحكم
بالمخلوق الذكر في شكله الطفولي . وان احلامها اكثر تناقضا فهي
تريدها لا متناهية وواقعة في قبضة يدها في نفس الوقت . ومن حسن
حظ العالم انه يستطيع بسهولة التحرر من هذا التسلط لان العادات
والمجتمعات تشجعه على ذلك . والام نفسها ترشح للامر لانها تعرف ان
الصراع مع الرجل صراع غير متكافئ . وتعزى نفسها بان تصيح الام
الحزينة او ان تغذي الكبرياء بانها انجبت قاهرها .

الا ان الام لا ترى في بنتها فردا من الفئة المختارة المهيمنة بل تبحث
من خلالها عن صورتها لذلك يأخذ الصراع بين الام وابنتها شكلا حادا .

هناك نساء راضيات عن حياتهن رضاء يدفعهن الى اعطاء بناتهن
نفس ما كان لهن من حظ . وبعضهن يدفعهن الاستمزاز من جنسهن الى
اعطاء بناتهن تربية الذكور . وقد ينظرن الى الفتاة التي هي صورة
منهن ، على انها مظلومة من النوع السامي ليعوضن عن نقصهن ، او
انهن يحاولن ان يفرضن على ابنتهن نفس مصيرهن . فتقول الواحدة

منهن لايتها : وما كان حسنا بالنسبة الي فهو حسن بالنسبة اليك .
ولا تنشأ النزاعات الحقيقية الا حينما تكبر الفتاة . كانت هذه ترضى
وهي صغيرة ان تؤكد استقلالها وكان ذلك يدعو الي عين الام انكارا
بخيفا لا ياتيها وفضلها . فهي لا ترضى ان تصيح صورتها شخصا آخر .
عكفا يهدم استقلال البيت آماليا . فتشعر بغيرة مزدوجة : فهي تغار من
الناس الذين يأخذون ابنتها منها كما تغار عن ابنتها التي تغزو وتسرق
منها جزءا من العالم . وتسلمط هذه الغيرة اولاً على علاقات البيت
بايها . لان الام تحب ان تسود سيادة تامة على عالمها النسوي وتريد
ان تكون الوحيدة التي لا يسكن الاستعاضة عنها : وها هي ذي ابنتها
الشابة تبديها الي وتبينها العامة الصرفة .

فإذا غابت يومين مثلاً عن البيت فانها توبخ ابنتها اذا وجدت البيت
في حالة فوضى ولكنها تبلغ ثورة الغضب اذا تبين لها ان الحياة العائلية
سارت سيراً تاماً بدونها . انها لا ترضى ان تصيح ابنتها حقاً وفعلاً
لسطة تالية عنها تحل محلها . ولما كانت هي حبيبة الحياة الجديدة فانها
تعهد ابنتها على كل الشاغل والتسليات التي تشتتها من مقل الحياة
المرزية .

وتنتهي الام بقبول انكسارها طوعاً او كرها وتسود بينها وبين ابنتها
الشابة صداقة معذبة . الا ان الام تبقى الي الابد غالبة الطن شاعرة
بالحرمان في حين تعتقد البيت غالباً ان اللعبة تلاصقها .

ان الوصف السابق يظهر لنا خطأ اعتقادين شائعين :

الاول ان الامومة تكفي لارضاء المرأة .

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية



ليست الأسرة مجسومة منغلقة على نفسها ، بل هي على اتصال مع
خارجها اجتماعية اخرى . وليس المنزل (حياة داخلية) يقع الزوجان ضمن
حدودها فحسب بل هو ايضا تعبير عن مستوى معيشة وثروة وذوق
يشقي ان يعرض امام عيون الآخرين . وعلى عاتق المرأة خاصة يقع عبء
تنظيم الحياة الخارجية . فالزوج مرتبط بالجماعة كمتج وكمواطن
يوثاق التضامن المعنوي القائم على تقسيم العمل ، اما العائلية فهي
شخص اجتماعي يتحدد بالاسرة والطبقة والوسط والعرق . والمرأة هي
الاقدر على تجسيدها لان علاقات الزوج المهنية لا تتلق غالبا مع قيمته
الاجتماعية بينما تستطيع المرأة المتحررة من رباط العمل ان تكرم
نفسها على معايرة امثالها . وان واجهها الاجتماعي الخارجي في تشيل
العائلة يختلط مع ما تشعربه من مسرة في اظهار نفسها .

انها تعني بملابسها وقت الخروج او الاستقبال . كما ان لزيارتها
صفتين : تهدف الزينة اولا الى ابراز مقام المرأة الاجتماعي وتجسد ايضا
الانانية النسوية . ان العناية بالجمال واللباس نوع من العمل بالنسبة الى
المرأة التي يبدو لها انها تصظمي ذاتها وتخلقها خلقا جديدا . هكذا

تسطرها الاعرافه الى ان تطلع نفسها على صورتها . وان المجتمع نفسه
يطلب من المرأة ان تجعل من نفسها متاعا جنسيا وان هدفه الازياء التي
تضخ المرأة لها ليس ان يبرزها كغرد مستقل بل ليقدّمها فريسة لرغبات
الذكور .

ان مفلس الحرير التام يعرض عن قسوة العالم الجنسي . وانما
كانت اكثرية المساحقات يرندن اللابس على طريقة الذكور فليس ذلك
من اقتداء بهم ومن تعدد للمجتمع فقط ، انهن غير محتاجات الى دفعه
المطل او السائل لانهن يتلقفن مزاياه السلبية على انجم النسوي .
والمرأة توحد ذاتها مع غنى العالم وتغلوب في ثروته . والتي لا تتحكم
بجها للاشياء الثنية وما تحويه من رمز تنسى وجهها العانس وقد تعني
لباسها بصورة غريبة . فالفتاة الصغيرة مثلا تحب نفسها جميلة اذا
تحتت بالشرائط لانها توحد ذاتها مع زينتها المعجبة . . وقد ندهش
احيانا لرؤية بعض المجازر التي تلفت النظر الى تجاميدهن ولكنهن يكن
قد زهدن في الاعجاب وسارت الرضة بالنسبة اليهن مجرد لعبة كما كانت
ايام طفولتهن .

وعلى العكس من ذلك ، قد يمكن للمرأة الايقه ان تشد الفذائل
الحسية او الجمالية في زينتها ولكن يجب ان توفق بينها وبين السجم
صورتها . انها لا تحب الاشياء التي تزنها بل تحب نفسها مرنة .

ليست الرنة تبرجا فقط بل هي ايضا تعبر عن وضع المرأة
الاجتماعي . والموسى وحدها تظهر الناحية الاولى فحسب لان مهنتها
ان تكون متاعا جنسيا . وكما كانت تعلن عن مهنتها سابقا بتغطية تبرجا

بالورود فانها تملن عنها اليوم بالاحذية العالية والساتان المتصنق بجسمها
وتبرجها الفاضح وعطرها الثقيل . ويوجه اليوم عادة الى المرأة التي
لبس مثل القومسات ، لان مزاج المرأة الجنسية تفسح بالعبادة الاجتماعية
ولا ينبغي لها ان تبرز الامن خلالها .

وإذا كانت المرأة التي تستير بوضوح رغبة الرجل توحي بسوء
النوع فان التي تنفرد ليست احسن منها ، إذ تبدو كأنها مساحقة تقتدي
بالرجال او مصروعة تحاول لفت النظر . والاعراف هي التي تتكفل
بتعيين الحد الوسط بين الحشمة وعرض المقائين .

ان هذا المدلول الاجتماعي للزينة يسبح للمرأة بان تعبر عن موقفها
نجاح المبتغى ، بطريقتها في اللبس . فإذا كانت مستتة للنظام القائم اسبغت
على نفسها شخصية رسمية والا فانها تؤكد باسالتها الخاصة رفضها ما
هو متعارف عليه . وما يلفت النظر ان المرأة «المتحررة» في كثير من
الروايات ، تبرز نفسها بعراقتها في الزينة التي تظهر صلتها كستاع جنسي،
اي انها تبرز تبعيتها .

وحتى لو ليست كل واحدة بحسب وضعها فذلك نوع من التثليل .
فعلما تبدو المرأة مترتبة متبرجة فانها تصبح مثل الفوحة او التمثال لو
المستل على المسرح . ان هذا الخلط بينها وبين شيء خيالي وكامل مثل
ابطال التمسح هو الذي يجعها وهي تبذل جهودها كيما تذب في .
وكلما تبنت زينة جديدة حسبت نفسها شخصا جديدا . ويوما بعد يوم
تتكرر هذه اللازمة : «كنت فاتنة في اللون الاسود...» في اللون الرمادي
كنت فاتنة ... كنت في اللون الابيض فاتنة» . فإذا كانت الزينة تكسب

هذه الاعية البالغة بالنسبة الي كثير من النساء ولائها نفع بين ايديهن العالم وفانهم بصورة وعية .

وبنا ان المرأة متاع امسح من القهوم ان تعدل طريقة لباسها وتبرجها من فيتها النفسية . وتعتبر الالفة سلاها ومدعاة للاحترام ورسالة نورية .

ولكنها عبودية في الوقت نفسه ، لان القيم التي تنجم عن الالفة لا تأتي مجالا بل يجب دفع ثمنها غالبا لدرجة ان مفوضي الشرطة يتفاجئون احيانا في المظارن الكبرى اعدى نساء المتحج او اعدى المسلمات وهي تسرق عطورا او جوارب حريرية ... وبعض النساء يتعاطين البقاء او وقيلن المعونة ، كيا يلبسن . والزينة هي التي تعين مقدار حاجتهن الي التقود .

على ان حسن اللباس يتطلب ايضا زنا وعناية ونجم عن مثل هذا العمل احيانا هجة حلقية . وفي هذا الميدان ايضا مجال للاكتشاف كنوز خفية ، والمفاسلات والحيل والاستباط ، وانما كانت المرأة ماهرة فقد اصبح مبدعة . وتبدو ايام المرض بالنسبة اليها كتعاطرات جنونية ، والتوب الجديد هو وحده بمثابة عهد .

وتستطيع المرأة اليوم ان تعنى بجسها وتكفيه بالرخصة والاستحمام والتدليك والنظام الغذائي فتحكم بوزنها ولون بشرتها ، كما تسمح لها اسول التسجيل الحديثة ان تضيف الي جمالها مزايا ايجابية . ولكن عليها ان تجابه الزمن لان الجسم يلى مع الوقت . وان ما تقول اليه كل سريرة حية من الحطاط سفيف يدفع بعض النساء الي باردات او المعرومات الي الفرغ من الحياة نفسها .

ويضعف هادمن السلي حياتهن وحيات الآخرين : الضحك الزائد
يجعد الوجه ، الشمس تصد البشرة ، الامومة تجعل الوجه والجسم
تسيبن ... الخ . الا ان كل هذا الاعتناء لا يمنع ظهور الشعر الأبيض .
وهو يعرف منذ طفولتها ان لا تفر من هذا المسير .

لما مطالب الزوج فتصف بالازواج . فاذا كانت زوجته جذابة
جدا لص بالغيرة ، يد ان كل زوج يود ان تكون زوجته اليقة . وقد
رأينا ان القيم الجنسية والاجتماعية في الزواج لا تتسجم تماما . هذا
التناقض ينعكس هنا ايضا . فالمرأة التي تبرز جاذبيتها الجنسية تبدو
رديئة بالنسبة الى زوجها . واذا ليست ببساطة فانه يفرها على ذلك
ولكن يروء . انه لا ينظر اليها بعينه الخاصين بل يتفحصها من خلال
عيون الآخرين . واذا كان الرجل يحب امرأة في عريها حيا ملتها فانه
يحوها بنفس النظر عن تيرجها . وعلى العكس من ذلك ، اذا كف عن
حيا فاجمل ثوب في العالم يصبح عديم الجدوى . ان الزينة تصلح ان
تكون وسيلة للفرد ولا تصلح ان تكون سلاحا دفاعيا . ومرتها الخاصة
انها تخلق السراب وتعرض للنظر شيئا طاليا . الا ان السراب يتهدد في
العشرة اليومية والمواقف الزوجية مثل الحب الجنسي تجري في ميدان
الواقع .

كثيرا ما يقال ان المرأة تليس كما تثير غيرة النساء الاخريات . هذه
الغيرة هي اشارة واضحة الى النجاح ولكنها ليست هدفا . ان المرأة
تبحث من خلال الآراء المعجبة عن تأكيد مطلق لجمالها وادائها وذوقها
اي عن تأكيد بذاتها . انها تليس لتظهر نفسها ، وتظهر نفسها لتصبح ،
شخصا كائنا . وبذلك تظنح نفسها لتبعية مزدوجة . ان تضحية ربة

البيت القاعة وإن لم يعترف بها ، أما جهد المثاقفة فيذهب هباء إن لم يطلع عليه احد . فالمرأة تشد تقيما نهائيا لغاتها وهذا التطلع الى الطلق يجعل بحثها مرهقا ، إذ يكفي ان ينتقد شخص واحد فقط قبعتها حتى تكون هذه القبعة غير جميلة . والثناء يخذلها ولكن يكفي تكذيب واحد لتهديبه . ولما كان الطلق لا يتجلى الا بسلسلة من القهور لا متناهية فلا يسكتها ان تروح نهائيا . لذلك تكون المثاقفة حساسة متأثرة ولذلك أيضا قد يمكن لبعض النساء الجيلالات ان يقتعن بحزن انهن غير جيلالات وغير انبقات وانهن يحتجن الى استحسان علوي يصدر عن حكم مجهول الهوية . انهن يشتمن جوهرها ذاتيا يستحيل تحقيقه . والادوات من المثاقفات اللواتي يجسدن بذاتهن قوانين الالاقة ولا يسكن لاحد ان يبيب هنية لانهن من اللواتي يبنن قواعد النجاح والفشل . فلوئك من القادرات على اعتبار القسمن ناجحات لاجلها نموذجيا ، ولكن هذا النجاح مع الاسف لا يجدي شيئا ولا ينفع احدا .

وتقتضي الزينة الخروج والاستقبال بل ان ذلك هو الهدف الاسلي منها . وفي اغلب الاحيان ، ينصرف الزوج الى اعماله اليومية يقوم المرأة بواجباتها الاجتماعية . وقد وصفه السام الذي يخيم على هذه الاجتماعات النسائية كثيرا : ينجم ذلك عن ان النساء المجتمعات للقيام بالتراماتهن الاجتماعية ليس لهن ما يتناقلنه . فلا يوجد هناك مثلا اية مصلحة مشتركة تربط بين زوجة المحامي وزوجة الطبيب . اما الحديث عن الاطفال والشباب المنزلية فوقه غير حسن في محادثة عامة . فلا يقنى امامهن الا الكلام عن القلق وعن آخر قصة شهيرة الاهتمام ويعبر بالانكسار العامة المستعدة من لزوجتهن .

ولا يعني الاستقبال ، بالنسبة الى ربة البيت ، تلقي الآخرين في بيتها الخاص فحسب بل انها تعرض ما لديها من اواني فضية وزجاجية وما شاكل ذلك .

ان الصداقات النسوية التي تعقدتها المرأة لعينة بالنسبة اليها وتختلف في طابعها عن العلاقات السائدة بين رجال . فهؤلاء يتناقلون فيما بينهم بصفتهم انحصاسا مشارعهم الشخصية من خلال الافكار . اما النساء فيتبادلن الاسرار والوصفات ، وتحدثن مع بعضهن بعضا ليشكلن عالمًا معاكسا لعالم الرجال ، وقارين بين تجاربهن . ويصبح الحمل والولادة والاطفال والشؤون المنزلية الاحداث الاساسية في التاريخ البشري .

ان قيمة هذه العلاقات تجلج في صدقها وصحتها . فالمرأة امام الرجل مشكلة وهي تكذب اذ تعرض امامه شخصية خيالية من خلال زينتها وحركاتها ، اما مع النساء الاخريات فهي ليست في حالة حرب بل منهمة في تهيئة زينتها واعداد حيلها . والنساء يشعرن بتضامتهن شعورا غفورا اكثر من الرجال . ولا يلتفتن نحو عالم النساء بل يلتفتن جميعا نحو عالم الذكور ، وكل واحدة منهن تتسنى ان تحسك قيمة لشخصها ، على ان كل واحدة منهن ترى في الاخرى غريسة في ميدان التبرج والحب خاصة .

النساء هن لبعضهن بعضا وقيقات في الامر وانهن يتبادلن المعونة كما يتحملن سجنهن والتهمة هروبهن اذا اقتضت الضرورة ، ولكن للثقل لا يأتي الا من عالم الذكور . وبالنسبة الى نظية النساء يفقد الزوج من تأثيره ، الا ان الرجل يبقى مع ذلك حفيظة العالم والسلطة العليا وباعت اللذة والطمانية .

الفصل الرابع

موسمات ومخيمات

بعد الدعاية من مناسبات الزواج الحتمية . وقد قال مورجان : «إن المعه يتبع البشرية في موكب حضارتها كظل رهيب يخيم على العائلة» . وقال مانديل في كتاب له أحدث طبعة كبيرة : «من الواضح انه توجد ضرورة تدفع المجتمع الى التضحية بقسم من النساء في سبيل المحافظة على القسم الآخر» . اي ان وجود طائفة من «الفتيات التاهات» يسبح للمجتمع بمعاملة «المرأة الشريفة» بالاحترام والتقدير اللائقين بها . وتشكل الموسم بالنسبة للرجل مبررا لقباحاته ، فهو يحصلها فتابع تصرفاته الشنيعة ، ثم يتذمها من المجتمع . وسواء كانت الموسم تنارس الدعاية في ظل نظام قانوني يضعها تحت مراقبة سلطات الامن ، او كانت تعمل في السرية والخفاء ، فانها تعامل من قبل الناس في كلا الحالتين كالمبتدعة .

غير ان حالة الموسم من وجهة النظر الاقتصادية تبائل حالة المرأة المتزوجة . وقد قال مارو : «ان الفرق بين النساء المواتي وبين الصنهن عن طريق الدعاية والبيغاء ، وبين المواتي وبين الصنهن بواسطة الزواج ، ينحصر في ثمن ومدة عقد البيع» . ويكون العمل الجنسي بالنسبة

للطرفين عبارة عن خدمة للزوم بها الثانية (المتزوجة) مدى الحياة تجاه
 رجل واحد ، واما الاولى (الموسم) فتؤديها لعدد من الزملاء الذين
 يدفعون الثمن بصورة مجزأة . ومن وجهة نظر ثانية ، تتمتع المرأة
 المتزوجة بحماية رجل واحد ضد كل الرجال اما الاولى فانها محمية من
 قبل جميع الرجال ضد اعتكافها لحساب رجل واحد . لكن الاختلاف
 الرئيسي بين المرأة المتزوجة والموسم يكمن في ان المجتمع ينظمه المرأة
 الشرعية بصفتها امرأة متزوجة ، لكنها تفتي احترامه بصفتها انسانا بشريا
 وقد بدأ هذا الاحترام يتغلب بشكل جدي على الاضطهاد الذي للمرأة
 المتزوجة ، اما الموسم فانها لا تتمتع بأي حق من حقوق الانسان البشري
 بل تلخص حياتها بنفس الوقت جميع اشكال العبودية الاثوية .

ما هي العوامل التي تدفع المرأة الى مزاوله الدعارة ؟ لم يعد هناك
 اي انسان يعتقد بصحة نظرية (الميروزو) التي تساوي بين الموسمات
 والمجرمين ، ومن المحتل ان نتائج الاحصاءات التي تؤكد بان المستوى
 الفكري للموسمات هو ادنى من الوسط ، هي نتائج صحيحة ، لان
 النساء اللواتي لا يتمتعن بعبارة فكرية كافية يفضلن اختيار مهنة لا تتطلب
 منهن اي جهد فكري او اي اختصاص في فرع من الفروع . لكن هناك
 عدد كبير من الموسمات يتمتعن بمستوى فكري عادي ، ومن بينهم عدد
 من فائزات الذكاء . ودلت الدراسات من جهة ثانية على ان جنوحهن الى
 البغاء لا يعود في اغلب الاحيان الى اسباب وراثية او عاهات جسدية .
 ولا شك في ان السبب الرئيسي في انتشار الدعارة يعود الى العاقبة
 والشقاء والحرمان التي يعانيها قسم كبير من سكان البشرية وسوف
 نرى على الدوام منظر الموسمات ومن يتسكنن في الشوارع طالما بقيت

مؤسسات البغاء والشرطة موجودة في عالمنا المليء بالتناقضات . وإذا كان يوسع التومس ان تكسب عيشها بطريقة اخرى ، فان اختيارها لهذه المهنة لا يجب ان يدلنا للحكم عليها بوجود ميول فطرية داخل نفسها تدفعها الى امتنان البغاء ، والاخرى بنا ان توجه التوم الى هذا الملتصق الذي جعل من مهنة البغاء في نظر التومس اشد المهن سهولة واكثرها ربحا .

ان الناس يتساءلون : لماذا اختارت هذه المهنة ا والاخرى بهم ان يتساءلوا : لماذا كان الواجب ان لا يقع اختيارها عليها . وقد لوحظ ان عددا كبيرا من (الفتيات) يأتين من اوساط خادعات المنازل ، لان الخادمة تعرض خلال عملها في اغلب الاحيان الى مختلف انواع الاستعباد والعبودية ، ولا تعامل الا كأداة ، وقد تضطر في بعض الاحيان الى تحمل مضايقات وتحرشات رب البيت الجنسية ، ولذلك يجب ان لا نعجب اذا العفرت من العبودية النظرية نحو عبودية اخرى ، لا تنظر اليها الفتاة على انها اشد اهانة لكرامتها بل قد تعظم بانها ستجلب لها السعادة والحرية اللطودتين .

وقد دلت التحقيقات العملية على ان اغلب محترفات الدعارة يتخفرون من اسل ريفي او من بعض الاوساط المالية . ولوحظ بصورة خاصة انه بقدر ما تحيط البورجوازية العمل الجنسي وبصورة خاصة البكارة العفوية بحالة من القدسية والتمنع والتحریم فان بعض الاوساط الريفية والمالية تعتبرها امورا عادية الاهمية . فهناك عدد كبير من فتيات هذه الاوساط يسمن بازالة بكارتهم من قبل اول رجل يتعرفن عليه ثم يحدثن من الطبيعي بعد ذلك ان يمتحن القسمن لكل غاير سبيل . وقد

دل تحقيق شمل (١٠٠) مومسة ان واحدة منهم رالت بكارتها وعمرها لم يكن قد تجاوز (١١) عاما و (٣) منهم حول ال (١٢) سنة من العمر و (٣) حول ال (١٣) و (٦) حول ال (١٤) و (٧) حول ال (١٨) و (٦) حول ال (١٩) ، اما الاخرى فقد ازلت بكارتهن بعد سن ال (٣١) . وقد صرح نصلب هذه الفتيات بالهن منحن انفسهن عن حبها اما الاخرى فمن جهل تام بالموضوع .

وقد اشار (كومانغ) في احدى دراساته الى (٥٧) فتاة صغيرة تتراوح اعمارهن بين ١٢ - ١٧ عاما ، سجنن بازالة بكارتهن من قبل الشخاص مجهولين ، لم يتيسر لهن بعد ذلك رؤيتهن مرة ثانية ، وقد وافقن على العملية بدون اي اهتمام ودون الشعور بأية لذة جنسية .

واليكم بعض الحالات التي وردت في دراسة الدكتور (بيزار) :

— الالة ج . . . من بورديو : تخرجت من معهد التدريس وعمرها (١٨) سنة ، تركت احد سكان الغاية وهو مجهول الهوية ، يجرها بدافع الفضول وبدون اية نية سيئة من طرفها نحو عربة المهجورة ، حيث ازال بكارتها .

— ر . . . ازلت بكارتها حوالي السابعة عشرة من عمرها ، من قبل شاب لم يقع نظرها عليه في السابق صادفته لدى احد الاطباء حيث عرض عليها توصيلها في سيارته الى بيتها ، لكنه تركها وحيدة في احد الشوارع المهجورة بعد ان نال وطرها منها .

— ب . . . ازلت بكارتها حول الخامسة عشرة من عمرها ودون ان تفكر ماذا تعمل ، من قبل شاب لم تره من قبل في حياتها ، وقد انجبت

طفلا جيلا على ام ما يكون من الصحة بعد تسعة شهور .

— من ١٠٠٠ ازيلت بكارها في الراجعة عشرة من عمرها من قبل شاب
اصطحبها الى منزله بحجة ترفها الى اخته . والواقع انه لم يكن للشباب
اي اخت وانما كان مريضا بالزهري الذي نقلت عدواه الى الفتاة
الصغيرة .

يفسر البعض هذه السهولة في الاستسلام لدى بعض الفتيات ،
بوجود بعض التخليلات الوهمية حول مزاوله الدعارة التي تكلمنا عنها
سابقا ، بسبب حقد عائلي او بسبب استمزاز الفتاة من العواطف والعقل
الجنسي ، او بسبب رغبتها في لعب دور المرأة الكبيرة . وقد لوحظ ان
بعض الفتيات يقدن في سفرهن الفتيات ، فيتزين ويتبرجن بشكل يلفت
الانظار . هن يفتعن ذلك بشكل صيالي في عمر لا يشعرن فيه باية
عاطفة جنسية فيحسن ان يوسعن اللعب بالنار دون اي ... الى
ان ياتي يوم فيصادفن رجلا يأخذ التشيل على انه حقيقة واقعة فيحدثون
من الاحلام الى الاعمال .

حين يفتح احد الابواب فانه من العسير بقائه مطلقا هذا ما صرحت
به موسى شابة تبلغ الراجعة عشرة من عمرها . ومع ذلك فمن التامر ان
تنزل الفتاة الى الشارع لممارسة مهنة الدعارة ، الرثالة بكارها ، بل هي
تمر بمراحل عديدة فتستقل من عشيق الى آخر ، الى ان يشجعها على
مزاوله المهنة طمعا في الربح . ويحدث في بعض الاحيان ان تدفع الاسرة
نفسها ، بناتها لممارسة البغاء ، كما تضطر بعض الفتيات اللواتي هجرن
اعلمن الى النزول الى الشارع بعد ان يكون الجوع قد اوهقهن . ومن
المعروف كذلك ان موجة الدعارة والبغاء نشبت خلال فترات الحرب

والازمات التي تعيقها .

تقص مؤلفة كتاب (حياة مومس) المشهور جزئيا في مجلة (الازمنة الحديثة) ، قصة خطواتها الاولى على النحو التالي (اشرت المؤلفة قصتها تحت اسم مستعار هو ماري تيريز) :

«تزوجت واليا لم تتجاوز السادسة عشرة من عمري ، من رجل يكبرني بثلاثة عشر عاما . ولقد تزوجت منه لئلا في التخلص من جو العائلة القبيح الذي كنت اعيش فيه . ولم يكن زوجي يعلم سوى بالعجاب الاطفال ، كان يقول لي : «وهكذا فالك ستطيرين الى البقاء في البيت وان يسنى لك الخروج منه» . ولم يكن يوافق على استعمال مواد الترتبة او يصحبني الى السينما . وكان علي بالاضافة الى ذلك ان اتحمل حساباتي التي كانت تتردد على البيت كل يوم وتأخذ جانب ابنا اللعين في كل المناسبات . كان (جاك) اول سبي انجبه .. وبعد اربعة عشر شهرا من ولادته ، انجبت بطرس ... وبما اني كنت اشعر بالملل كثيرا فقد اخلت في متابعة بعض الدروس في التمريض ، وكان هذا الاتجاه يسرني جدا ، فدخلت مستشفى في إحدى ضواحي المدينة ، وتعلمت من ممرضة شابة انشاء كثيرة كنت اجهلها ، ثم مكثت في مستشفى الرجال ستة شهور دون القيام باية مقابلة . وفي احد الايام دخل غرقتي شاب ضخم الجثة كالقبرة ، لكنه كان ميبا جميلا ، والهمني اني استطيت تغيير طراز حياتي اذا ذهبت معه الى باريس حيث استطع ان اجد عملا يفر علي الربح الوفير .. كان يعرف تماما كيف يستطيع اقناعي .. فقررت الذهاب معه ، وكنت سعيدة جدا خلال شهر واحد .. وفي احد الايام سحب مع امرأة تتميز بالاناقة ثيابها ، وقال لي : «انظري الى هذه ، انها

تعرف كيف تدافع عن نفسها وتكسب أموالا طائلة بكل سهولة . أم
واقف في البدء على التهاج منها ، حتى التي توصلت إلى إيجاد عمل
لي في أحد المستشفيات ، لكنني البت التي لا أريد أن امتن مئة غنيات
الشوارع ، لكنني لم استطع المقاومة طويلا . كان يقول لي : « لا تلتلا
نحيتي » . حين تحب المرأة رجلا ، عليها أن تعمل وتفرض لاجله ، وكنت
أبكي وأشعر بالحزن وأنا تعمل في المستشفى . أخيرا ... سمعت لهم
بان يأخذوني إلى مصنف الشعر وبدأت أتجول في الشوارع ، بينما كان
(جول) يعني من الخلف ليرى فيما أنا كنت اليوم بهام المنة خير قيام ،
ولكن يندري فيما إذا خطر للبوليس مداخلته المكان ..

تنطبق هذه القصة من عدة وجوه مع القصة الكلاسيكية للفتاة ،
التي قدر لها النزول إلى الشارع وسارسة البغاء تحت ضغط صديقها
وحايبها . ويحدث أحيانا أن يلعب زوج الفتاة هذا الدور كما قد تقوم
به امرأة أخرى .

وقد أجرى (ل. فيشر) عام ١٩٣١ تطبيقا حول (١٥٠) موسى شابة ،
فوجد أن (٦٨٤) منهن ، كن يعشن لوحدهن ، ١٣٦ مع صديق و٩٤ مع
صديقة تربطها معها روابط السحاق ، وتشهد بذلك بعض التفتقات من
رسائلهن الحافلة ، بالغلط الإملائية :

سوزان ١٧ سنة . انصرفت إلى البغاء مع بقية المومسات . وقد
احتفظت بي أحدهن زمنا طويلا وكانت تغارني وتداهمني كثيرا ، لذلك
تركزت شارع ...

المرء ١٥ سنة ونصف . تركت اعلي لايمش مع صديقة لي صادفتها

في إحدى الحفلات الراقصة ، وتبينت بسرعة أنها تريد أن تعجني كما يفعل الرجال ومكثت معها أربعة شهور ثم ..

ولا تعتبر المرأة البغاء في اغلب الأحيان الا وسيلة موقنة لزيادة دخلها المحدود ، لكنها تجده نفسها في جميع الحالات مندفعة في برائن دوامه عارمة لا قبل لها بمقاومتها . وإذا كانت (حالات الرقيق الأبيض) حيث تجر الفتاة جرات تحت تأثير العنف والضغط المادي ، نحو البغاء ، نادرة الحدوث نسبيا ، فإن الفتاة في الحالات الأخرى الأكثر حداوة ، مضطرة في اغلب الأحيان على البقاء في المهنة رغم إرادتها ، إذ أن حاميها الذي يسلفها المال اللازم للمباشرة في ممارسة المهنة ، يصبح ذا حقوق عليها ، ويضع يده على أكبر قسط من أرباحها استثمارا لماله ، ولا يمكنها بحال من الأحوال أن تتحرر ماديا .

جملت الكتابات الجديدة حول اللومس وحياتها الخاصة وجه (جول) تسميا فهو يلعب في حياة الفتاة دور الحامي والنقذ وسلفها الأموال اللازمة لتشتري بها ما يلزمها من أدوات الزينة ، وهو يدافع عنها ضد منافسة النساء الأخريات ضد البوليس - يحدث بعض الأحيان أن يكون الحامي أحد رجال البوليس - وعند الزبائن - ذلك إن هؤلاء يكونون في غاية السرور إذا استطاعوا قضاء وطرحهم لدى الفتاة دون أن يدفعوا الثمن ، كما يلجأ بعضهم الى اشباع ميولهم (السادية) في شخص الفتاة اللومس . ومنذ عدة سنوات كان بعض الشباب الفاشيست في مدريد يلهون ويسلون انفسهم في قذف المومسات وسط النهر خلال الليالي القارسة ، وفي فرنسا كان الطلاب يسحبون بكل جوارحهم النساء نحو الريف حيث يهجرونهن وحيضات وسط القمام عاريات عراء فلما .

ان الموسى في حاجة لحماية رجل لكي تستطيع ان تحصل على موارد
وزقها وتتحاشى المعاملات السيئة . ويقدم (الحامي) للموسى دعما
معنويا . (لانها تعمل بنشاط اقل اذا تركت لوحدها) كما تقول بعض
الموسسات . وفي اغلب الاحيان تكن الموسى للحامي حيا عينا لانها
تكون قد رضيت بالانحدار الى هذا المستوى تحت ضغطه ورغبة في
ارضائه .

الا انه تحدث في بعض الاحيان ان تبدي الموسى خصومة وحقدا
شديدين نحوه وفي هذه الحالة لا تتاج الموسى القيام بدورها الا خوفا
منه لتجأ لطلب الاحيان الى اختيار احد زبائنها عشيقا لها .

وكثيرا ما تعزي الموسى نفسها بيزولة علاقات عاطفية مع امرأة
اخرى . وقد دلت الاحصاءات ان عددا كبيرا من الموسسات يزاولن
السحاق وقد رأينا ان السبب في اختيار بعضهن لمهنة الدعارة يعود الى
الرغبة في ارضاء صديقاتهن اللواتي يارستا معهن علاقات عاطفية شاذة .

اما علاقات الموسى مع الزبائن فهي تختلف بحسب الاحوال وقد
الضح ان الموسى تحتفظ لعشيق قلبها باختيار تمييزها من فيها الذي يعد
تعبيرا عن عاطفتها الحرة التي لا علاقة لها بالمهنة .

كالت ماري ليريز (التي استخدمنا بقصة حياتها سابقا) تبدي خلال
ميزولة مهنتها عدم اهتمام تام ، لكنها مع ذلك انشابت الى شعورها في
بعض الليالي باللذة الجنسية ، فقد كان لها حسب ما تقول بعض الفاعرات
العاطفية الصحيحة مع بعض الزبائن ، كما أكدت في كتابها ان رفيقاتها
يصادقن نفس الشعور في بعض الاحيان . وحدث كثيرا ان الموسى

ترفض تقاضي الثمن من احد زبائنها الذي اثار إعجابها ، كما تلجأ في بعض الأحيان الى مد العون له اذا كان في حاجة الى المساعدة . لكن المومس بشكل عام تعمل (يرود) ولا تشعر بعضهم الا بعدم الاهتمام وحتى الاحتقار نحو زبائنهم . كتبت ماري تيريز تقول : «اوه يا لهم من خنازير هؤلاء الرجال وكم نستطيع المرأة ان تضحك عليهم ونمزأ بهم ا» . ولكن بعض المومسات يشعرون بالحق والامتنان تجاه الرجال الذين يحاولون التقن في معاشرتهم . كانت ماري تيريز تشتكي بصورة خاصة من ان الفرنسيين يشتمون بخيال خصب لا حدود له في هذا المجال وقد اسرت بعض المومسات المريضات الى الدكتور بيزار بأن «جميع الرجال بصورة عامة يحبون التقن في اساليب المعاشرة الجنسية» . وقد تحدثت إحدى صديقاته بصورة مطولة مع مومس شابة ذكية جدا في مستشفى (يوجون) فقالت بانها بدأت حياتها كغادمة وكانت تعيش مع حاميها الذي كانت تحبه لدرجة العبادة ، كما صرحت بأن «جميع الرجال يحبون التقن في اساليب المعاشرة الجنسية الا رجلي ولهذا فانا احبه ، ولن اتردد في هجره اذا حاول ذلك يوما ما . ان الزبون يبدو ياديء ذي بدء عاديا طبيعيا فلا يجرأ على المطالبة بتتويج الاساليب لكنه حين يتردد عددا من المرات على البيت ، يبدأ في طلب بعض الاشياء القليلة .. انت تقولين ان زوجك لا يستسيغ هذه الاشياء ا سوف تزين انهم جميعهم يطلبون ذلك»

ويجوز كره بعض المومسات لنوع خاص من الرجال عن بعض الرواسب الطبقة . وقد وسفت (هيلين دوتش) باسهاب قصة (آنا) للمومس الشفراء الجميلة ، اللعوب اللطيفة . الا انها كانت تعرض الى

حالات عصبية عتيقة إذا صادفت بعض الرجال . كانت تنسحب الى عائلة
صالية ، وكان ابوها يكثر من معاقرة الخرة بينما كانت لها فرسة
للمرض . وقد دفعها حجة هذه الاسباب الى الشعور بكرة حياة الاسرة
بصورة عامة لدرجة انها لم توافق مطلقا على الزواج على الرغم من انها
خطبت كثيرا خلال مزاولتها المهنة . وقد نقلت الى المستشفى في آخر
الامر نتيجة لاسابها بالسل ، فاحضت تظهر كرها شديدا للاطباء : وكانت
تحتقر الرجال المحترمين ، ولم تكن تتحمل السلوك المهذب فتقول : والا
نعلم ان هؤلاء الرجال يفقدون بسهولة تامة قناع لطيف ومزيم وبرودة
اصابعهم ، ويتصرفون عندئذ كالحيوانات .

لكن مصاعب حياة المومسات لا تنحصر في حالتهم الاخلاقية
والنفسية والما في شروط حياتهم المادية كذلك . مستشرات من قبل
حايهن ، تبيع المومسات في جو من الفسق والقلق المادي . ان ثلاثة
ارباعهن لا يملكن شيئا يذكر في الحياة ويقع /٧٥٪ منهن في ظرف خمس
سنوات فرسة للأمراض الزهريّة ، اما القاصرات اللواتي لا خبرة لديهن ،
فالهن يصبن بالعدوى بسهولة مخيفة وتصاب المومسات بالسل بمعدل
واحدة كل عشرين ، ويصاب /٦٠٪ منهن بالاضمان على الكحول ، كما
يموت /٤٠٪ منهن قبل الأربعين من العمر .

ولكن الدعاية اذا كانت في درجتها الاخيرة شاقة للغاية ، اذ تضطهد
المرأة فيها جنسيا واقتصادية وتتحمل مضايقات البوليس ، والرقابة
الطبية ، والاعيب الزبائن ان يصعها محتوم فلا بد ان تقع فرسة
للجرائم والأمراض والبؤس والشفاه . . فتتحدّر الى مستوى الاشياء .
هنالك درجات عديدة بين المومس من الدرجة الاخيرة والمعظية

الكبيرة . والفرق الأساسي بينهما يكمن في ان الأولى تتاجر بجسها بشكل عام كمرأة عادية ، فتقبلها النافسة الشديدة في مستوى حياة منخفضة بالنسبة ، بينما تحاول الاخرى التيات وجودها كتنخبة لها كيانها . وتتميز بصفات خاصة ، فاذا ما نجحت في ذلك استطاعت بلوغ مركز مرموق في المجتمع .

وقد وجدت على الدوام بعض الصلات القامضة بين الفن والبغاء ، لان الناس يخلطون بين الجمال والجنس في اغلب الاحيان وتعددت في الايام الاخيرة مظاهر عرض الاجسام العارية تحت اسم الفن ، كما ان الرجال المسنين يؤكّدون ان «العرى هو طهارة» ويجمعون تحت اسم «العرى الفني» مجسوعات من الصور الطليعة . ولم تعد المومس التي تطمح في الحصول على منزلة خاصة ، تكتفي بعرض جسها ومحاسنها امام عيون الناس ، بل هي تحاول بشتى الطرق ايراز مواهب اخرى كالمثلة لديها . وفي الماضي كان «عارفات الناي» يسحرن الرجال بسويقاتهن ورقصاتهن ، كما ان بنات النيل اللواتي يرقصن رقصة البطن ، والاسبابيات اللواتي يرقصن ويضين في بعض اماكن اللهو ، يعرضن انفسهن بطريقة راقية تحت ستار الفن الى هواة الدعارة . وبالطبع فانه توجد رقصات عاريات وعارضات للازياء وفتيات للقلانق ، ومغنيات وممثلات ، لا يسعهن بحال من الاحوال الامور الجنسية بالتدخل في حياتهن الفنية . لكن المرأة التي تظهر امام الجمهور تضطر في اغلب الاحيان ، لكسب عيشها الى عرض مفاتيحها الجسدية . وتتنس المحظية على العكس ، مزاوله مهنة تكون بمثابة ميرر لها في ممارسة الدعارة ، فتتشد الظهور بمظهر الفتاة ذات المواهب ، ويصبح بوسمها

بواسطة هذه الطريق ان تحصل على حررتها التامة واستقلالها الاقتصادي .

يحدث في كثير من الاحيان ان تستغل الخدمات او الاموال التي تجنيها
الحظية من الرجال ، تمويضا لها عن مركب نفسها الاثوي ، وحينئذ
تلعب النفود دور المظهر وتفضي على نضال الجسدين . واذا كان بعض
النساء يجدن لذة كبيرة في الحصول على اكر كية مسكنة من الشيكات
والهدايا من الرجال فهذا لا يعود الى طمعهن وجشعهن ، وانما لان هذه
الطريقة تحول الرجل الى اداة في ايديهن ، وبهذه الطريقة تنتم المرأة
لنفسها كاداة جسدية في يد الرجل ، الذي يحسب انه يمتلكها ، لكن هذا
التسلط الجنسي سطحي بعض الشيء ، ما دامت هي التي تملكه في ميدان
الاقتصاد ، الامر الذي يشيع عزة نفسها وكبريائها .

الفصل الخامس

من النضوج إلى الشيخوخة

يتعلق تاريخ المرأة - بسبب دورها الأثوي - أكثر من الرجل بمسيرها الفيزيولوجي ، والحظ البياني لهذا المسير هو أكثر ترجيحاً والقطعا من الحظ البياني لمسير الرجل الفيزيولوجي . إن كل فترة من حياة المرأة ، تتنازع برئاستها وركودها : لكن الانتقال من مرحلة إلى الأخرى يجري بشكل فجائي خطير ، وتنتج عنه التزامات شديدة حدة من الأزمات التي يتعرض لها الرجل في مختلف ادوار حياته: البلوغ، التقرب الجنسي، سن اليأس . ويتنازع يهرم الرجل تدريجياً وبصورة مستمرة ، نجد المرأة نفسها فجأة مجردة من الوئام ، فتتخذ وهي لا تزال شابة نسيباً ، الجاذبية الجنسية ، التي تستمد منها أمام المجتمع ، تبرير وجودها وحفظها في السعادة : لم يبق لها سوى أن تعيش محرومة من كل مستقبل خلال نصف حياتها تقريباً .

تتيز (السن الخطيرة) بعض الاضطرابات العضوية لكن قيمة هذه الاضطرابات العضوية تشكل مرحلة عامة من حياتها . وتشعر المرأة بالازمة الجديدة في حياتها بشكل أقل حدة فيما إذا كانت لم تعلق في حياتها الماضية أهمية كبيرة على عناصر الوئام فإذا كانت تعمل في البيت

أو في الخارج فانها تستقبل بارتياب تام اقطاع الدورة الشهرية وتعود بهويتها ، كما تصبح المرأة الرضية أو العاملة سعيدة جدا حين تتخلص من مظاهر الحمل المشكور ، ولا تنتج عن وعيها بطول هذه الفترة العسية من حياتها . وبدأ الأزمة النفسية لديها عادة قبل حلول المظاهر الفيزيولوجية بوقت طويل .

بدأت باشير هذه الأزمة حين يتصرف الرجل الناضج نحو مشاخر واعمال يعتبرها أكثر اهمية من الحب ، فتصبح ميوله الجنسية أقل حدة مما كانت عليه في سباه ، وما دام المجتمع لا يتطلب منه صفات سلبية في مظاهر حياته فإن تعبدات وجهه وزهرل جسمه لا يهدم جميع امكانياته في اثره الاعجاب . وعلى العكس من ذلك حين يبلغ المرأة الخامسة والثلاثين من عمرها تكون قد تغلبت على جميع ما يتسدى لها من موانع في حياتها الجنسية وبلغت مرحلة تفتحها الجنسي الكامل فتفتتح لمرآها وتصبح أشد عنفا وتود من صميم قلبها انسيابها لانها عقلت في حياتها على القيم الجنسية لعية أكثر من الرجل فقد كان عليها كي تحافظ على زوجها وتحصل على الحماية الكافية في مختلف المهن التي تمارسها ، ان ثير الاعجاب فنجاحها في الحياة لا يمكن ان يتحقق الا بواسطة الرجل . ماذا يحدث والحالة هذه حين لا يعود لها اي تأثير عليه ؟ هذا ما تتساءل عنه باستمرار ويقلق خلال السنين التي تبدأ فيها جاذبيتها الجنسية بالانحلال والضعف ، انها تتأمل فتصنع السائق المختلفة وتجري العمليات التجريبية ، لكن كل هذا لا يفيدنا الا في اعادة حالة النزاع الأخير لانسبابها ، ولكن حين تبدأ التطورات للقفرة التي لا يمكن سدعا أو وقفها والتي مستخدم في نفسها البنيان الذي اتادته خلال عهد البلوغ.

تشعر المرأة كأنها أصبحت بحتية الموت نفسه ، وقد يتبادر الى الذهن ان
 المرأة التي تمتت اكثر من غيرها بحساستها وشبابها ، بتأها القلق
 والاضطراب وتعرض لتسى انواع الضيق النفسى ، لكن الواقع هو على
 العكس من ذلك ، لان الفتاة المولمة بنفسها وبجمالها اى الفتاة الرئيسية ،
 تفكر دائما بنفسها وبمصيرها ولا بد وانها اعدت لمرحلة من اليأس
 عدتها وضمت لنفسها مركزا تتراجع اليه . ولا بد لها بالطبع من ان
 تتعذب من هذا القصر الذي يجعلها لكنها ان تفتأ به بسبب توقع
 حدوثه . اما المرأة التي ليست نفسها وقضت حياتها مضحية بكل شيء
 لديها قالها تعرض لصدمة شديدة حين تكتشف حلول هذا التغيير
 الجديد في حياتها : فإلم يكن لدى سوى حياة واحدة ليعيشها فانظروا
 ما آل اليه مصري . وتتأها حينئذ للعشة المحيطين بها تغيير جذري
 لانها تكون قد استفاقت فجأة على واقع حالها فتكتشف ان جسما
 اصبح بدون امل وان احلامها ورغباتها التي لم تحققها في الماضي ستبقى
 كذلك الى الابد ، وفي هذا الجو المضطرب تلتفت نحو الماضي وقد حان
 الاوان للتفكير به واجراء الحسابات بشأنه . انها تترعد من شدة ما
 قسرت نفسها على الانطواء وعدم التمتع بإمكانياتها ، وامام هذا التاريخ
 القصير المخيب للامل ، المعبر عن حياتها التافهة تجد نفسها مضطرة الى
 رفض النهاية في حياتها فتقاوم فقر وجودها بثروة وكمال شخصيتها .
 ويبدو لها بسبب كونها امرأة تعلمت مصيرها بسلبية وخنوع ان المجتمع
 قد سرق حظها في الحياة وخذلها وانها قد ازلت من الشباب الى
 الضووج دون ان يأخذها الوعى بشخصيتها . انها لتكتشف ان زوجها
 ووسطها ومشائخها لم تكن في مستوى إمكانياتها ، ولذلك فهي تشعر

بأنها غير مضمومة من الناس فتعزل عن المحيطين بها لأنها تتخيل نفسها متفردة عليهم ، وتحاول دراسة إمكانياتها التي لن تيسر لها فرصة الاستفادة منها فتكتب على تحرير يومياتها الخاصة ، وإذا ما وجدت اشخاصا تركز اليهم فانها تفتح لهم مطالب قلبها في احاديث طويلة لا تنتهي ، معمرة في كل مناسبة ليلا ونهارا عن حشرتها وانها ماثمة . وكما تعلم الفتاة الصغيرة بما سيكون عليه ماضيها ، وتتخيل بنفس الوقت الغرض التي فشلت في اتهازها وتشيء نفسها قصصا طرفة سحرية عن ماضيها القائل . تقص علينا (هد. دوتش) قصة امرأة قطعت علاقاتها الزوجية وهي شابة بشكل مبكر ثم تزوجت بعد ذلك وقضت سنين طويلة بقرب زوجها التالي . وحين بلغت الخامسة والاربعين من عمرها بدأت تتحسر بحرارة على زواجها الاول وانطوت منزلة على نفسها في ظلمات حزن عميق . تستسلم المرأة في بعض الاحيان الى حالة من الكتابة العالة السلية ، لكنها تحاول في اغلب الاحيان ان تنقذ حياتها الفاشلة فتراها تشيد بمزاياها وتطالب بنفس في ان تصف وتفكر بأنه قد يكون في وسعها لو اتاحت لها الغرض في ان تنقم من نفسها وتبرز قيمتها . انها تحاول بالسة ان توقف الزمن . فنرى مثلا المرأة الام تؤكده بانها تستطيع ان تنجب الأطفال بعد سن اليأس فتحاول بحماس شديد ان تخلق الحياة من جديد . وتحاول المرأة الشهوانية ان تحصل على عشيق جديد لنفسها ، كما تظهر المرأة التبرجة لها وحيا اكثر فأكثر لاثارة الاعجاب . انهن يصرحن جميعا بان نداء الشباب لا يزال يجري في عروقهن ويحاولن اقتناع الآخرين بان مرور الزمن لم يؤثر عليهن مطلقا . فنرى المرأة الناضجة ترتدي من جديد ازياء الشباب وتتكلم بلهجة

الفتيات الصغيرات ، تعرف المرأة المشرفة على الشيطونة بأنها اذا لم
لقد تصلح لان تكون متعة جنسية فهذا لا يعود الى كون جسدها لم يعد
يقدم للرجل ما تشتهي نفسه ، انما يعود كذلك الى ان ماشيتها ونجرتها
جعلها منها رغما عنها او برضاها شخصية مستقلة ، فقد تأملت واحبت
وارادت وتمذبت وتبعت لحسابها . . ان هذا الاستقلال ليبحث الخوف
في نفسها ولذلك فهي تحاول رفضه وعدم الاعتراف به مبالغة في اثرتها
مضاعفة كمية الساحيق والروائح العطرة متكلفة اللطف والاستسلام
الاشوري بيدي اعجابها نحو الرجال بساطة كساطة الاطفال ذاكرة من
حين لاخر بشكل مشر حياتها وقصصها حين كانت شابة صغيرة . . ولجأ
المرأة في هذه السن عوضا عن ان تتكلم الى الصياح وضرب اليدين
بعضها البعض والقفزة بصوت عال . وتجعلها هذه الالهية الجديدة
والرفية العميقة في التزاع نفسها من برائن حياتها الماضية الريبة
والاطلاق نحو حياة جديدة . . . كل هذا يجعلها تتخلل نفسها وكأنها
تبدا الحياة من جديد .

والواقع ان الامر لا يمكن ان يشكل بالنسبة اليها بداية جديدة لانها
لا تكتشف في الحياة اهداما تسعى الى تحقيقها بحركة حرة خيالية ، وانما
تتخذ ثورتها شكلا متناقضا لا جدوى منه هدفها التمويض رمزيا عن
خطاياها الانسية ولذلك فهي تحاول ان تحقق قبل فوات الاوان جمع
رغباتها حين كانت طفلة او رائدة . فهذه تباشر دروسا في العزف على
البيانو ، وتلك تمارس الرسم او الكتابة او تقوم برحلات واستفار ، او
تتعلم التزلج على الجليد ، او تتكلم باللغات الاجنبية .

وقد تظهر المرأة في هذه السن استمراريةها من زوج كانت تشعر بلذته

الحياة الجنسية معه فإذا بها تجد نفسها باردة بين ذراعيه ، أو تلجأ على العكس من ذلك إلى ترك المجال لحساس الجنس الذي كانت تكتبه بعض الشيء فتتهكك بطلباتها ، وقد تعود إلى مزاوله العادة السرية التي هجرتها منذ أيام طفولتها ، كما قد تتحول في بعض الأحيان إلى السحاق ولو لم تكن قد عرفته قبلا أثناء شبابه .

تظهر الحدود بين الخيالي والحقيني لدى المرأة الناضجة بنفس الغموض الذي كان يظهر فيه لدى النساء اليافعة . ومن الظواهر الأكثر حدا لدى المرأة المثرة على الشيخوخة هو شعورها بإزدواج شخصيتها الذي يفقدها كل مفاهيمها الموضوعية . وقد أكد بعض الناس الذين اشرفوا على الموت ثم نجوا منه ، أنهم شعروا بإزدواج الشخصية : لست (أنا) الذي تعرض للموت دعسا بواسطة السيارة : لست (أنا) هذه المرأة المسنة التي تعكس المرأة خيالها . إن المرأة التي لم تشعر بنفسها أكثر شيئا منها الآن ، والتي لم تكن في يوم من الأيام أكبر سنا مما عليه في الوقت الحاضر ، لا تتوصل إلى التوفيق بين هذين المظهرين من ذاتها ، لأن الوقت يجري وينساب والحقيقة يتعمد وتتضائل . وما دام الحب لا يزال كما كان في السابق ، شعلاها الشاغل قسطن الطبيعي إذن أن تستسلم لوهم الشعور بأنها محبوبة .

١٠ - إلا أن القدرة على تجاوز الحقيقة والواقع بهذه البراعة لا تشر لجسج النساء بل لشعر أكثرهن بألم الحرمان من الحب فيلجأن إلى الله لاستمداد الموت منه . وتنجح المرأة في هذه الفترة من حياتها إلى التقى والورع ، والأيمان بالمعجزات والسحر والخزيبات والشعوذة ، وقد يؤدي بها الأمر إلى اقتحام ميدان الأعمال الخلقني بنفسها في مختلف

المنارح والمغامرات وتشمرك وألها تمثل بطة من بطلات الحرية وعامة
لشعل الحكمة والتطل .

تتضم ازمة سن الياس حياة المرأة الى شطرين بشكل جذري . وهذا
الانقطاع هو الذي يعطي للمرأة وهم والحياة الجديدة انه عهد جديد
تسلك اليه بحية النائية ، نحو الحب ، والحياة والنم ، وألها ماتت
وتبعث اليوم من جديد . والها لتنظر الى العالم بعين من سير نحو
الأرض وهذا الى اسرارها ، ويغال اليها انها تخلق في الفضاء نحو القسم
الشمسة التي لم تمل اليها يد الألسان .

غير ان الأرض تبقى ثابتة في مكانها لا تتبدل ، والقسم الشمسة تبقى
فوق مستوى الألسان ، والأقوار الساطعة تغبو وتتضائل ، ولا يقى
امام المرأة سوى طيف امرأة شاعرت يوما واحدا منذ البارحة . فتتبع
لحظات النبوة والحساس ساعات يشغ الغم خلالها قبضته من جديد حول
عقبا . لقد استغفلت أسباب حياتها دون ان يستقبلها الموت على احتاب
داره وبألها من حياة مقبلة ، تنقعها في آخر الأمر الى التخلي عن التمسك
والانصراف الى تغييس حياتها وحياة من يحيط بها من الناس ، فتتأثر
الانتماءات من فنها ، وتتصاعد الحشرات من صدرها وتتمور ان الجيران
يدبرون ضدها المؤامرات ، ويحكيون من حولها النسايس وقد تظهر
فجأة عوائلقة الفرة العمياء على زوجها ، فتغار من اسدقائه واخواته
ومهته وتتهم كل انسان تصادفه في طريقها بأنه سبب تهاستها . واذا كانت
لا تملك سوى محاسنها كراسمال لها في حياتها فإنها تاضل خطوة خطوة
للمحافظة عليها ، وتعارض معجزة لابقاء فراثها على حالتها من التفتح
والانطلاق ، ويروي ان الأميرة (ميترنخ) اجابت على سؤال وجه اليها ،

عن السن التي تتوقف فيها المرأة عن الشعور بالفرجة الجنسية فقالت :
ولا أعلم إذ ليس لي سوى ٦٥ سنة من العمر !!

إلا أنه لا بد وأن يأتي يوم تضطرب فيه المرأة الى الاذعان والاعتراف
بكبر سنها وحينئذ تبدل حالتها . كانت حتى الآن امرأة شابة متحصة
للتفصال ضد مركزها الضئيل في المجتمع ، لكنها تصبح شخصا آخر لا
يشعر بالمعاطفة الجنسية وتنتع بخبرة كبيرة : انها امرأة مسنة . ولكنه لا
يجب ان نستنتج من ذلك بان الحياة أصبحت سهلة لانها اذا كانت قد
تخلت عن التفصال ضد حتمية الزمن ، فليها بعد ذلك ان تخوض حريا
جديدة ... يجب عليها ان تعالظ على مكان نفسها فوق سطح الأرض .

تحرر المرأة في غرف حياتها او في شئاتها من قيودها ، وتعتبر كبر
سنها مبررا لها لتخاطب تحمل الالتزامات التي كانت تتحمل كاعلمها . انها
تعرف طبيعة زوجها بعد هذا العمر الطويل ، ولذلك فهي تنظم حياتها
بشكل من الاشكال الى جانبها - في جو من الصداقة او عدم الاهتمام
او العداة - فالذا ما اتتار زوجها قبلها ، تراها تتسلم زمام قيادة البيت
من جديد وتعالج الناس والرأي العام ، وتعمل بنفس الوقت التزاماتها
الاجتماعية ، والعناية بسلامتها وجناتها .

تكتشف المرأة اخيرا حرثها بعد فوات الاوان وهذه الظاهرة تتكرر
دائما في حياة كل امرأة . انها تكتشف حرثها في الوقت الذي لا تجد
امامها ما تصنع في الحياة ، ولا يسكن اعتبار هذا التكرار وليد الصدفة
المحضة ، لان المجتمع الذي يرتكز على سلطة الرجل يضي على جميع
الوجهات النسائية شكل العبودية ، ولا تستطيع المرأة التخلص منها الا
حين تفقد كل فعاليتها . لقد علمنا الناس طوال حياتها ان تخلص لشخص

ما ، ولم يعد هنالك اي انسان يرد التسع باخلاصها ، غير ذات فائدة ،
ولا يمرر لوجودها ، تأمل المرأة الناضجة هذه السنوات الطويلة بدون
امل ، هذه السنوات التي بقي عليها ان تحياها في عزلة تامة ، تفهم
حينئذ لنفسها قائلة : ولم يعد هنالك اي انسان يحتاج الي انا .

وحينئذ توجه آمالها نحو اولادها ، فهم لا يزالون في ربيع العمر ،
والمستقبل لا يزال مفتوحا امامهم . وفي هذا المجال تسع المرأة التي
استغفها الحظ بالجانب اولادها بصورة مبكرة بامتياز على غيرها من
النساء ، فهي لا تزال شابة تستطيع ان تستمتع بسعادة اولادها كأنها
سعادتها ، لكن الام بصورة عامة تبلغ الاربعين من العمر في وقت يبلغ
فيه اولادها مرحلة الاستقلال وفي هذه اللحظة التي يفلتون من سيطرتها ،
تجدها تحاول ان تعيش من خلال حياتهم ، لتعوض النقص والحرمان
الذين تعانتها ، فتصرف نحو اولادها وتحاول التدخل في حياتهم كأنها
حياتها الخاصة ، لقد انجبت من نفسها جسدا في شخص ابنها وهي تحاول
الآن ان تجعل حياته حياتها ، فأصالة أمهاتها ، وفرحة فرحها ، وحزنه
حزنها .

لكن الامور لا تجري دائما على هذا المتوال ، فقد يكون الابن دون
مستوى نسيات امه . وهذه ترعب في ان تسجم مشاريع (ابنها الاله) مع
مثلها الاعلى في الحياة . وكل ام تريد ان تنجب بطلا عبقريا ، لكن جميع
امهات الابطال والعباقرة يشكون من ان اولادهم قد حطوا قلوبهم
وآمالهم ، وقد توافق الام على مشاريع ابنها لكنها تبقى دائمة التشكي ،
يزق قلبها هذه التناقضات المائلة التي تعذب قلب الفتاة المعية . ولكني
يرر الرجل حياته - وحياة امه - يجب عليه ان يتشد الاهداف الجديدة ،

وهو مضطر والحالة هذه الى ارضان سحنة والتعرض للاضطرار ، لكنه يشكر في نفس الوقت قيمة ما سحته اياه امه ، حين يضع نصب عينيه اهدافا لا تنصرف على مجرد العيش البسيط ، وهذا ما يثير استكراهها لانها لا تسود على الرجل وتسيطر عليه الا اذا اعتبر هذا الجهد الذي انجزته شيئا مفضيا ، فلاحق له في عدم هذا البناء الذي شيدته من خلال العذاب والآلام . وسوف تعب نفسك ، وستعرض للعرض وسيميكك مكرهه اذا ... الخ لكنها تعلم مع ذلك انه مجرد العيش لا يكفي الانسان والا لاصبح التناسل امرا عديم الفائدة ، وهي اول من يستاء اذا كان ولدها كسولا او جبانا . وانما تتنسى عودته من الحرب ، لكنها تفضل ان يعود اليها وسمره محطى بالنيابطين . وهي تتنسى من كل قلبها ان ينجح في حياته لكنها تخشى عليه التعب والاجهاد ، ومهما فعلت فان حياته تجري امامها دون ان يكون في مقصورها ان تحولها او تتحكم فيها . انها تخشى عليه من ان يخطيء الطريق او يفشل في حياته او يسقط مرضا ، لكن فوق السن يجعل من المتعذر عليها مساعدته والمساعدة عمليا في بناء مستقبله .

مهما يكن الامر ، اذا كانت الام لعجب بابنها وتفخر به وتجد في الانصراف الى التفكير بمستقبله تعويضا لها عما تلاقية من احوال في حياتها الجديدة ، اذا كانت تشعر هذا الشعور فانها تبقى مع ذلك غير راضية لانها لا تستطيع ان تدخل في حياة ابنتها بشكل ايجابي ، وهي بحاجة لان تشعر بضرورتها في كل لحظة من لحظات حياتها ، كما ان زوجة ابنتها تجردتها من وظائفها . لقد كتب الشيء الكثير عن العداوة الذي تشعر به الام تجاه هذه الاجنية التي (تأخذ) منها ولدها . انها هي التي

منحة الحياة ولذلك تشعر بترتب بعض الالتزامات عليه تجاهها اما هذه
الاجبية زوجته فانها لم تعلم شيئا بل كان يجهل حتى وجودها منذ امد
قريب . وانها تنتظر ان يتكشف فناع الزوجة المزيغ في يوم من الايام ،
يشجعها في تفكيرها هذا خرافة الام الطيبة التي تعزي ابنها من سوء
معاملة الزوجة الشريرة وانها لتتخص على الدوام وجه ابنها لكي تعثر
على ملامح النعاسة والشفاه وقد كتكتشف هذه الملامح رغم انكار ولدها
وتاكيده بأنه سعيد ، ثم هي تصرف الى تفحص (كتنها) وتتقد حركاتها
وتصرفاتها وسكناتها ، وتشر امام ما تحدثه من تجديد في البيت سلاح
التقاليد والمعادن التي تعطي الاهلية في البيت الى ام الزوج ، ان كلا
منهما تفكر على طريقتهما في اسعاد الرجل الحبيب فالمرأة ترى فيه رجلا
تستطيع من خلاله ان تثبت وجودها في العالم ، اما الام فهي تحاول ان
تعينه الى عتواته . وهي تقاوم مشاريع المرأة الشابة التي تنتظر ان يصبح
زوجها نسيا او شخصية هامة في الحياة ، باشهار سلاح العطف والحنان
او الرفق به فهو لا يتحمل الشدائد في نظرها ويبنى الا يجهد نفسه في
العمل . وهكذا تطور الضمومة بين الماضي والحاضر وتناقض حين تجد
المرأة الجديدة نفسها حاملة بدورها وان ولادة الاطفال تعني موت
الاهل ، وحينئذ تتكشف الحقيقة الساطعة بكل قوتها ؛ فنتهم المرأة
التي كانت تأمل ان تدوم العيش في شخص ابنها بانها محكوم عليها
بالموت ، لقد منحت الحياة لكن الحياة لتدوم سيرها بدون معوتها .
انها لم تمد (الام) وانما هي حلقة من سلسلة طويلة . . . نعم لم تمد هذه
المرأة التي قاست الامرين لتحصل على حريتها وشخصيتها وهي ليست
سوى مخلوق اتهم لمره وولى زمانه ، وحينئذ تشعر في الحالات الشاذة

جدا بالكره . يحتاج نفسها ، هذا الكره الذي قد يؤدي بها الى بعض الحالات العصبية العنيفة او يدفعها نحو الجريمة وهذا ما فعلته السيدة (لوفيفر) التي شعرت بان كبتها حاملة فكرتها زمنا طويلا لم قررت قتلها وتغلبت ذلك .

ولكن العيرة تغلب في الحالات العادية على كراهيتها وعدائها فتصر لحياتها على اعتبار المولود الجديد وليدها الوحيد تحب جدا غيضا ديكتاتوريا ، لكن الام تقاوم بصورة عامة هذا الاتجاه لمن حياها وتعلن حرب العيرة سجالا بينهما وتبدل عواطفها نحو صغيرها فتصبح عدائية ، فتكرهه تحت ستار من القلق والعطف المصطنع .

ويحدث في بعض الاحيان ان لا يكون للمرأة اولاد او انها لا تهتم باولادها وحينئذ تراها تحاول ان تخلق نظائر لهم بشكل مصطنع فتعرض على بعض الشباب عطفها الاموي ، وسواء كانت عواطفها عذرية ام لا فانها لا تتعد عن الحقيقة حين تصرح بانها تحب صغيرها الشاب كما تحب (ابنها) . وتسطحي المرأة في اغلب الاحيان بعض الفتيات فتعرض ليهن الجنسان الذي تستع فيه ، وترتدي هذه العلاقات في بعض الاحيان الطابع الجنسي ، وعلى كل حال سواء كانت هذه العواطف عذرية بحتة او خالطها نية من الشعور الجنسي ، فان ما تشده المرأة هو تفرغ عواطفها في شخص تعتبره ادواجا لشخصها ، وقد تلجأ في بعض الاحيان الى تبني بعض الامثال الصغار كما تفعل العبات المسنات . على انه من النادر في جميع الاحوال ان تجد المرأة في خلفها الطبيعي او الاستطاعي تيريرا لحياتها السائرة نحو الانحطاط لانها لا بد وان تغفل في جعل حياة احد هؤلاء الشباب تيريرا لحياتها . وليس امامها سوى ان تصر على متابعة

جهودها للوصول الى هدفها فتستهلك حياتها في صدام وامن ، تعيب
املها وترتكها محطمة متهورة ، ولما ان تستسلم الى قدرها ، فتساهم
بدور بسيط ضئيل في حياة ابنائها وهذه هي الحالة الطبيعية . لكنها لا
تجد حينئذ لديهم اية معونة في محتها القاسية والقي مهلطة وسط صحراء
المستقبل ، فرسة للوحدة والحسرة والملل .

ان هذا الوصف يعبر اسبق تعبير عن مأساة المرأة المسنة : فهي
تعرف ان لا فائدة لها في الحياة ، وتتساءل في خيرة خلال حياتها الطويلة :
كيف قتل وقتها ؟ ولم تستكر (الاعمال السوية) الا لسد الفراغ الذي
تسمر به المرأة في هذا التطور من حياتها ، ليداعها تشتغلان الصوف
وتطيطان الالبسة ، لكن هذا لا يعتبر عملا مفيدا بالنسبة اليها وانما هو
وسيلة لتضية وقتها واشغال نفسها . وكثيرا ما تختار المرأة شخصا تهديه
تاج عليها ، او تمسحي منقطة خيرية او تهديه بكل بساطة الى احدى
صديقاتها ...

انها تسلية سخيفة كما يصفها باسكال ، لان المرأة تسج الدم في
حياتها بواسطة الابرة . كما تمارس الفنون كالرسم والموسيقى والقراءة ،
الا انها لا تلبث ان ترمي الكتاب جانبا وتفتح البيانو ثم تطلقه ، وتعود
الى شغل الابرة والصوف ثم تتألم وتنتهي باسماك ساعة الهاتف
لتنظيم زيارة او رحلة او ما شاكل ذلك والواقع ان المرأة تنتهي الى
تشدان التسلية وتضية الوقت في سحب الحياة الاجتماعية ، تنحصر
جميع حفلات الزواج ، كما تسير في مواكب الجنائز ، تنفخص الناس
وتعلق عليهم ، وتعرض بطاقتها بشر الاستقادات والتفانح حولها ، كما
تضع تجربتها في خدمة هؤلاء الذين لا يطلبون منها اية خدمة . وقد

تفتح ندوة اودية اذا عوفرت لديها الوسائل المادية ، تستقبل فيها الالام
والقوانين والشخصيات . وهناك طرق اخرى لدى المرأة اكثر فعالية
للتدخل في حياة الناس . ففي فرنسا تنشر الجمعيات النسائية ومؤسسات
الاعمال الخيرية ، ولكنها تكثر بصورة خاصة في امريكا حيث يجتمع
النساء في نوادي خاصة فيلمبن (البريدج) ويسمن الجوائز في المسابقات ،
ويقمن بمختلف المشاريع الاجتماعية المختلفة . ومن الصفات الاساسية
لهذه المنظمات ان الاهداف المعلن عنها في نظمتها ليست سوى ميرر
رسمي لوجودها وبقائها . وهكذا يبنى نساء الجمعيات جل اوقاتها
في تنظيم اعمالهن ، فتجري انتخابات المكتب الاداري ، وتناقش الاطمة ،
وتتصارع المنتسبات فيما بينهن للوصول الى مركز الادارة ، كما يعارضن
المنظمات الاخرى المناهضة ، فلا يجب على اي سائان ان يجرا على سرقة
(قراهن) و (مرضاهن) و (جرعاهن) و (ايتامهن) وانهن على استعداد
تام لتترك هؤلاء المساكين يمولون دون عناية مسن التخلي عنهم الى
جيرانهن . ولا شك انهن بعيدات كل البعد عن تضي وجود مجتمع تعمد
فيه المقام والسائل الاجتماعية الامر الذي يجعل اعمالهن عديدة الفائدة .
وانهن لياهجن بالشكر ويباركن الحروب والمجاعات التي تحولن الى
خيرات محسنتات تجاه البشرية .

لا تجد المرأة المحسنة عادة حدودها وطاقتها الا في اواخر ايام
حياتها حين تكون قد تغلقت عن التفاضل وحين ينقلها دنو اجلها من قلقها
وخطونها على مستقبلها وكثيرا ما يكون زوجها اكبر سنا منها فتحضر
مشهد الهيار زوجها يسكون الراضي ، ولأنها تنتم في شخصه من الحياة .
وإذا ما توفي قبلها لراها تتحمل سرور العداد المفروض عليها . وقد

لوحظ في عدد كبير من الحالات ان الرجال يتأثرون اكثر من النساء من حالة الحمل المتأخر لانهم يستفيدون اكثر من المرأة من نعم الزواج وبصورة خاصة خلال الايام الاخيرة لان محور حياتهم في تلك الفترة يتركز في البيت . كما ان الرجل يصبح غير ذي فائدة على الاطلاق حين يفقد عمله لسبب كبير منه ، لكن المرأة تحافظ على الاكل على ميزة ادارة البيت ، وهي ضرورية لزوجها في وقت لم يعد يقدم لها اية خدمة وحينئذ تستمد المرأة من حرمتها نوعا من الكبرياء فتتظر لأول مرة نحو العالم بعينها لا بعيني رجل الاعلاماء فتكتشف انها كانت طوال حياتها مذبذوبة ، هدفا للتلاعب والاحتيال . ولكن اذا كان بوسعها ان تكتشف الاكاذيب وطرق الاحتيال فانها لا تتوصل الى اكتشاف الحقيقة بكاملها لان حكمة المرأة المسنة تبقى سليمة حتى نهاية حياتها : انها احتجاج وشك ، وانها مرفض ، لا تستطيع في اية مرحلة من مراحل حياتها ان تكون فعالة ومستقلة .

الفصل السادس

وضع المرأة وطبائرها

يمكننا الآن ان نفهم لماذا تتعاهد تقاطع مشتركة في الحملات الموجبة ضد المرأة منذ عهد اليونان الى الوقت الحاضر ، فقد بقي وضعها على ما هو عليه رغم الثورات السطحية ، وهذا الوضع هو الذي يعهد ما يسمى طبع المرأة : فهي لا تملك الحس بالحقيقة وهي تقية ، كاذبة ، مبرجة ... ان هذه التأكيدات تنفس شيئا من الحقيقة ، الا ان سلوك المرأة لا تفرضه عليها هورموناتها ولا لتكون دماغها بل هو نتيجة لوضعها ، لذلك سنحاول ان ننظر الى هذا الوضع نظرة ركيبة لتفرك ما يسمى بالانثى الخالدة في مجسوع الشروط الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية .

يقابل بعضهم احيانا بين « العالم النسائي » و « عالم الذكور » ولكن ينبغي ان نؤكد ان النساء لم يشكلن قط مجتمعا مستقلا مطلقا بل كن دائما مندسجات بالجماعة المحكومة من قبل الذكور ، انهن متحدثات فيما ينهن بتضامن آلي وليس ينهن هذا الترابط العضوي النسبي تأسس عليه الجماعات الموحدة . فقد اجتمعن دائما ليؤكدن «عالمنا معاكس» ولكنه يبقى عالما مطروحا في كنف عالم الرجال ، عن ذلك

يشأ تناقض وضمن : فمن يتبع عالم الذكور ويتبع في نفس الوقت
حلقة ينكر فيها هذا العالم . لذلك يصاحب خضوعهم دائما نوع من
الرفض والانكار .

ان المرأة ترى بان العالم في مجوعه عالم ذكور . فالرجال هم الذين
صانوه واداروه وهم الذين يحكمونه هذا اليوم . وهي تتلقف نفسها
ككيان سلمي امام هذه الالمة التي لها وجود البشر والتي تحدد الغايات
والقيم . اما نصيب المرأة فتقديم الخضوع والطاعة وابداء الاحترام .

لا يبدو العالم للمرأة كمجموعة أدوات تلعب دور الوسيط بين
ارادتها وغاياتها ، بل هو ، على العكس ، مقاومة عنيدة لا يمكن
ترويضها ، يتحكم فيه القدر وتظلله النزوات الشهية . وان الاعمال
المنزلية تقرب من النشاط الفني الا انها بدائية جدا ومن الرثابة بحيث
لا تقنع المرأة بالقوانين والسببية الميكانيكية . وعقلية المرأة تخطه عقلية
الحضارات الزراعية التي تعبد الفضائل السحرية للارض . ولا يكتس
الزمن بالنسبة اليها سفة التجديد ولا يشكل ينبرها للابداع . ولما كانت
منذورة للتكرار فهي لا ترى في المستقبل الا سورة مطابقة للماضي .

انها لا تجهل ما هو العمل الحقيقي القادر على تبديل سطح العالم
فحسب بل انها ضائعة وسط هذا العالم كما لو كانت في قلب السديم .

ولما كانت لا تعمل شيئا في ملكة الرجال فان تفكيرها لا يتميز عن
الحلم ولا تنطق الحس بالحقيقة . على كل حال ، ليس من شأنها التبصر
بالاشياء فقد علموها ان ترضخ لازادة الذكور . فبا عليها اذن الا ان
توجد في النقد والتفحص وابداء الاحكام تاركة كل هذه الامور للطبقة

العالية . لذلك يبدو لها عالم الذكور كواقع متسام ، كشيء مطلق .
وتحب النساء خاصة أن يتجدد النظام والقانون في رئيس . وعن
عجزهن وجهلهن ينشأ هذا الاحترام الذي يوليه للإبطال ولتوانين عالم
الرجال . وعن يقبلن ، بصورة عامة ، ما هو موجود والرضوخ احدى
الصفات التي تميزهن .

لا تؤمن المرأة بتحريرها لانفسها ، على الاخص ، لم تستر قط
بإمكانات الحرية . ويبدو لها أن العالم يديره قدر غامض لا يمكن
مواجهته . ولكن اذا ما فتحنا امامها ابواب المستقبل فلن تثبت
بالماضي . وكثير من المثالب التي تؤخذ على المرأة كالحجول والخمول
والخفة والعبودية تعبر في الحقيقة عن ان الافاق مسدودة امامها . ولذا
ما بدت ثائرة فانها تعزي نفسها عن بذاتها مستعينة عن الافعال
المستحيلة ... بالكلام . يعيون عليها خنوعها واستعدادها الدائم
للارتواء عند اقدام سيدتها وتقبيل اليد التي ضربتها ، ولكن ماذا تستطيع
المرأة ان تعمل دون ان يدعها الرجل الذي هو بالنسبة اليها الوسيلة
الوحيدة والسبب الوحيد للعيش ؟ ولئن كانت تفتية غير طموحة فذلك
لانهم يفرضون عليها الامهات الرتيبة التي لا تخلق العظمة وعلو النفس .
انها لا تنتج الا الوسائل كالأكل واللباس وهذه وسائل غير جوهرية بين
الحياة البهيمية والوجود الحر . والصفة الوحيدة المرتبطة بالوسائل غير
الجوهرية هي المنفعة . وهكذا تحتل المنفعة في سماء ربة المنزل مكانة اعلى
من الحقيقة والجمال والحرية وهي لا تواجه العالم كله الا من خلال
هذه الزاوية .

اما تجسس المرأة في المطبخ او في المخدع وبعد ذلك تدعش اذ ترى

انفعا محدودا ، وقلص جناحها ثم تشكو من انها لا تعرف التحليق .

كل الذين يتلقون اسرار المرأة كالأطباء مثلا يعرفون جيدا ان التشكوى هي القمة الاساسية . ولكن الآخرين هم السبب فيما يحل بها ، لذلك هم المسؤولون عن مصائبها وشقاها . فهي دائما ضد شخص ما او شيء ما . وهي تظن ان كل ما يحدث هو مثلا بسبب اليهود او الماسويين . ولما كانت يدعا لا تقع على هؤلاء المسيئين فانها تبحث عن منهم تستطيع ان تحقق عليه بصورة ملموسة ، فيكون الزوج الضحية المختارة .

فيه يتجسد عالم الذكور ومن خلاله يتكفل المجتمع بالمرأة ويحيطها بالتمعية ، انه يحل نقل العالم ، واذا ما سارت الاشياء سيرا سيئا فهو المسؤول ، وعندما يحل النساء فانها تشككي اليه من الاطفال والياحة والطقس . . وهي تريد ان يحس بنفسه مذنباً . هذا الخصام الذي تحسه نساء رجلا يربطها به بدل ان يجعلها عنه .

ليس من شك في ان حياتها المرتكزة الى اساس من الثورة العاجزة هي سبب سهولة ذرف الدموع عندها بالاضافة الى كونها تقل من الرجال سيطرة على اعصابها . واذا ظهر لها ان الدموع غير كافية للتعبير عن ثورتها فانها تلجأ الى تمثيل الادوار العنيفة . لما الشفذ الاخير فهو الاتعار ولكن يبدو انها تقل لجودا اليه من الرجال . ولئن كانت تمثل لعبة الاتعار اكثر من الرجال فانها لا تريد ارادة فعلية .

هناك تصرفات كثيرة لا ينبغي ان تفسر الا على انها احتجاجات . فالمرأة غالباً لا تخون زوجها رغبة في اللذة بل عن تعذ ، وهي تفسر

عبدا في مشرباتها لأن زوجها منظم ومقتصد ، وتجمع روح المأساة الذي يؤخذ عليها غالبا من حرمانها من ميدان مستقل ، ومن عدم تمكنها من مجابهة الذكور بقيم ايجابية ماثلة، لذلك لا تستطيع سوى انكارها . لقد خصصوا للمرأة دور الفضولي والفضولي يلجأ حتما للاستثمار . وراود لها الرجل ان تكون ماثلا فجعلت من نفسها ماثلا . ويعرف الرجال جيدا ان مساوي المرأة تعبر عن وضعها . ولما كانوا يحرصون على ابقاء التسلسل والتمايز بين الجنسين قائم يشجعون لدى النساء نفس الصفات التي تطول لهم احتقارهن .

لا تطك المرأة الحس بالتسول بل يبدو لها العالم كمجوعة مبهمة من الحالات الفردية . وليس من شك في انها تكن الاحترام للكتب ولكن هذا الاحترام يمر بالصفحات المكتوبة دون ان يلم بحتواها . وعلى العكس ، تكتسب العادة او القصة التي يرويها شخص ما في احد اماكن التجمع سعة دافعة . كل شيء في ميدانها معاط بالسر وكل ما في الخارج تعيط به الاتماز لذلك لا تفتح بالتجربة المباشرة .

وهي تؤمن بحالات الكشف التي تمر بها اكثر من المحاكيات الصحيحة بالنسبة الى الجميع ، معتقدة بسهولة ان هذا الكشف منزل عليها من الآله او من ارواح مبهمة مجهولة . ومن النادر ان تمتع بالتجربة بل تنتقل من فضل الى آخر دون ان تستفيد من مجموع تجاربها . ولهذا السبب لا تنجح النساء في بناء «عالم معاكس» واسع الاركان كبناء يتحدون الذكور .

يعيش الرجل في عالم مناسك ، في واقع يخضع للتشكيك ، اما

المرأة فعلى اتصال مع واقع سحري لا يستجيب للفكر تهرب منه بالاعتقاد على أفكار خاصة ذات مضمون واقعي . وبدل ان تأخذ وجودها على عاتقها تأمل في الساء فكرة مصيرها الصرفة ، وبدل ان تعمل تصيب في الخيال هيكلها وبنائها ، وبدل الاعتناء على المحاكمة تسبح في الاحلام . هكذا وتم كونها مادية ارضية تجعل من نفسها كائنا اثريا .

ان هدفه التبعية المزدوجة للعالم المادي والعالم الشعري لعدد الحكمة التي تعود بها المرأة بصورة متفاوتة الظهور . واحد مفاتيح العالم السوي هو مفهوم الانسجام الذي يستدعي الكمال ضمن السكون والتبرير القوي لكل عنصر اختيارا من الكل ومن مهابته السلية في المصوغ .

تحتاج المرأة الى الدين شأنها في ذلك شأن النسب ونظاما للنسب الاسباب . فحينما تحكم على احد الجنسين او على افراد طبقة ما بالجنود فلا يد من ان تقدم لهم سراب الصعود والسامى . ومن مصلحة الرجل ان يقدم بضمان الاله مجموعة القوانين التي يصنعها يده . وخاصة لما كان يمارس على المرأة سلطة الحاكم المطلق فمن المستحسن ان تكون هذه السلطة منوطة له من الكائن الاعلى المطلق .

ان خشية الله تنقذ عن المظهد كل رغبة في الثورة .. ولكن الايمان الصادق يساعد الطفلة كثيرا على تجنب كل مركب نفس لانها لا تكون حينئذ ذكرا او انثى بل من مخلوقات الله .

والدين يفتدي احلامها ويلا فراغ ساعاتها ولكنه ، على الأخص ، يؤكد النظام السائد في العالم ويرر الرضوخ ، بانعاشه الامل في مستقبل

أفضل وفي ساء لا تفرق بين الجنسين .

لرى ان مجموع طباع المرأة اى معتقداتها ، قيسها ، حكمتها ، اخلاقها ، ذوقها ، سلوكها تفسر بوضعها . ولما كان التسامح محرما عليها فان ذلك يشكل حائلا دون بلوغ المواقف الانسانية العليا كالبطولة والشجاعة والابدياع والاختراع . الا ان هذه المواقف ليست كثيرة الحدوث حتى عند الرجال انفسهم ، فهناك رجال كثيرون مقيدون مثل النساء ببندان الوسائل غير الجوهرية . ان العامل يهرب من وضعه بالعمل السياسي سعيرا عن امانة ثورية ، اما الرجال التاهبون للطبقة المتوسطة مثل التجار والمستخدمين فيقومون باعمال متكررة رتيبة مثل اعمال النساء ولا يشهدون في الحياة الا شيئا من الراحة .

من السخفة الآن ان نتحدث عن المرأة بصورة عامة او عن الرجل الخالد . لما كان وضعهما مختلفين اخلاقا عيقا اصبح من المفهوم ان تعتبر باعثة غير مجدية كل المقارنات التي تستهدف تقرير نبيا اذا كانت المرأة اعلى او ادنى من الرجل او مساوية له .

من الواضح ، اننا اذا قارنا هذين الوضعين بالذات الهينا ان وضع الرجل خير من وضع المرأة ، بمعنى ان له امكانيات ملموسة اوسع ليظهر حرته في العالم . ويضجم عن ذلك ان انجازات الرجال تفوق كثيرا انجازات النساء اللواتي يحرم عليهن تقريبا عمل اى شئ .

ان الحرية الكاملة في كل منهما تامة كاملة . وبما انها تبقى حرية فارغة مجردة لدى المرأة ، فان الطريق الوحيدة المفتوحة امامها هي طريق الثورة ، طريق المجازين عن بناء اى شئ . وليس الرضوخ الا نوعا

من الاستسلام والهروب ولا يوجد امام المرأة مثقل سوى العمل على
تحرير نفسها .

هذا التحرير لا يمكن ان يكون الا جماعيا ويستدعي قبل كل
شيء انتهاء التطور الاقتصادي لوضع المرأة . ولكن كان ولا يزال هناك
سواء كثيرات يحاولن بصورة منعزلة تحقيق خلاصهن الفردي . انهن
يحاولن تيرير وجودهن ضمن اطار الجسود . نجد هذا الجهد النهائي
للرأة المحبوسة التي تحول اقل سجنها المحدود الى ساء واسعة ؛
وعبوديتها الى حرية عند محبة ذاتها ، وعند العاشقة وعند المتصوفة .

مجله علمی
پژوهش‌های علمی

قسمت علمی

پژوهش‌های علمی

این مجله علمی پژوهشی است که در زمینه‌های مختلف علمی و فنی به چاپ می‌پردازد. هدف از تأسیس این مجله، فراهم کردن بستری برای انتشار یافته‌های علمی و تبادل نظر بین محققان و پژوهشگران است. این مجله به‌طور منظم و در هر دو فصل به چاپ می‌رسد و به‌عنوان یکی از مراجع معتبر علمی در کشور شناخته می‌شود. در این مجله، مقالات علمی پژوهشی، مروری، و کاربردی در زمینه‌های مختلف علمی و فنی پذیرفته می‌شود. همچنین، این مجله به‌عنوان یکی از مراجع معتبر علمی در کشور شناخته می‌شود و به‌طور منظم و در هر دو فصل به چاپ می‌رسد.

الفصل الأول

عاشقة ذاتها

من الناس من يدعي أحيانا أن عشق الذات هو الموقف الأساسي لكل امرأة . ولكن هذا المفهوم يتهدم إذا تجاوزنا الحدود في توسيعه كما هدم (لاروشنوكو) مفهوم الانانية . والواقع أن «الانانية» في حالة عشق الذات تصبح غاية مطلقة ، فينتوي الشخص على ذاته . والشروط في الحقيقة ، تدفع المرأة أكثر من الرجل إلى الالتفات إلى ذاتها وإلى أن تدبر حبا لنفسها .

إن كل حب يستلزم ازدواج بين شخص وفرض . وشعر المرأة نحو عشق الذات عن طريقين متلاقيين . فهي كتشخص تحس بانها محرومة ، لذلك تخلع على نفسها أهمية مطلقة لأنها لا تجدي أي شيء مهم مباشر لها . ولكن كانت تستطيع أن تعرض نفسها لرفياتها الذاتية فلأنها تبدو لنفسها كعرض منذ سنواتها (ماري باشكوتسيف) التي يطلق عليها «نسي» .

والحقيقة ، لا يمكن للمرء أن يكون شيئا آخر بالنسبة لنفسه بصورة موضوعية ، ولا يستطيع أن يعيش الازدواج إلا في العلم . الغيبة هي التي تجيد هذا العلم لدى الطفلة . ولكن المرأة تجد

عونا كبيرا في جهودها لمناصرة ذاتها والالتقاء مع نفسها بسحر المرأة ،
بعكس الرجل الذي يحس بنفسه كغاية وأبى أن يتعرف على ذاته في
الصورة الجانبة . والمرأة الفارقة في صورتها المنعكسة تهيمن وحدها
على الزمان والمكان وتحس ان لها كل الحقوق على الرجال .

ولئن كانت المرأة اداة الازدواج المفضلة فانها ليست الوسيلة
الوحيدة ، بل هناك ايضا الحوار الداخلي . والمرأة التي تعالي الوحدة
والسأم تتسلى بتحويل شخصها الى حلم . والمعلوم ان النساء يتسكن
بذكريات الطفولة نسكا كبيرا لانهن كن آنذاك يشعرن بسلطة الاب
كما كان يقفن مباحج الاستقلال .

وليس من حاجة الي ان تكون المرأة جميلة كيما تعبر عن شخصيتها
في زينتها وفي باطنها وتتناسب الصورة في لباسها وامساتها مع ذكاء
المرأة وعنادها ومدى الخفافها . واذا لم تصور المرأة في نفسها الجمال
والسمادة فانها تختار شخصية الضحية .

وهناك نساء كثيرات يؤمن بتفوقهن ولكنهن عاجزات عن ابرازهن
امام اعين الناس ، فيدفعهن الطموح الى الاستعانة برجل يقنعهن
بمواعين . اتهم يلتفتن اذن الى الرجال المتشبعين بالشهرة آملا ان
بالتواجد معهم اذا ما صرن ملهفات لهم .

مثال ذلك (مايبل دودج) في علاقتها مع (الورلس) .

«كنت اريد ان اسحر فكريه وان ادفعه الى التاج بعض الاشياء ...
كنت بحاجة الى نفسه وارادته ومخيلته المبدعة ورؤيته للنيرة . كان ينبغي
لي السيطرة على دماغه كيما اصبح سيده لهذه الوسائل الجوهرية» .

كما ان (جورجيت لوبلان) كانت تريد ان تكون للشاعر ماثرا لك
«غذاء» ولهاياء ولكنها كانت تريد ايضا ان ترى اسمها مذكرا على
كتاب الشاعر .

ان عاشقة ذاتها لا تتحمل رؤية العرائس الآخرين عنها . فاذا نأكلت
انها ليست معبودة فسرعان ما تقترض انها مكروهة .

على ان مهولة عشق الذات تجري على حساب الحياة الواقعية ،
واذا ما صارت المرأة فريسة لنفسها فلها تفقد تمسكها من العالم للموسم ،
ولا تحرم على إقامة أية علاقة واقعية مع الآخرين . ولما كانت الصورة
غير موجودة فان عاشقة ذاتها تتعرض الى فشل جذري . ومن الخطأ
الاعتقاد انها تتحرر من التبعية ، بل على العكس ، تزداد عبوديتها .

الفصل الثاني

العائفة



ليس للحب ابدا نفس المعنى الى كل من الجنسين وهذا من اسباب سوء التفاهم الخطير الذي يتصل بينهما . وصدق (بيرون) بقوله ان الحب بالنسبة الى الرجل احد المشاغل فقط اما بالنسبة الى المرأة فهو حياتها بالذات .

مما تدله الرجل في حبه فان المرأة المحبوبة بالنسبة اليه تبقى قيمة من بين قيم اخرى في حين ان الحب بالنسبة الى المرأة خضوع تام لمصلحة سيد .

والحقيقة ان ذلك لا يعبر عن قانون طبيعي ، بل ان الاختلاف وضعهما هو الذي يعكس في المفهوم الذي يتبادر للرجل والمرأة عن الحب . فالمرأة تعلم في الاتحاد والتسارع مع كائن اسنى وليس امامها من مخرج سوى ان تذوب جسدا وروحا في الشخص الذي حدد لها على انه المطلق والجوهري . ولما كانت مقيدة بالتبعية فالأفضل لها ان تخدمها من ان تطيع طائفة . وتصل بها الهلثة في ارادة العبودية حد اعتبار هذه العبودية كتعبير عن حريتها . ويصبح الحب دينا وعبادة بالنسبة اليها .

تسنى الفتاة الساذجة دائما ان يلمس الحبيب جوهرا الرجل . الا ان ما يحدث غالبا هو ان المرأة لا تتحج في تحويل اي رجل الى اله .

ان المرأة لا تستطيع التوفيق للنسجم بين الشيق وعشق الذات الا بالحب ولكن التضاد بينهما يجعل تكيف المرأة مع مصيرها الجنسي صعبا جدا . فالتحول الى متاع جنسي ، الى فرسة ، يناقض ما تكنه المرأة من عبادة لذاتها . لذلك يصطفي بعض النساء البرود الجنسي طنا ممن هم يحافظن هكذا على سلامة ذاتهن ، في حين ان البعض الآخر يفصل بين اللغات البهيمية والمتاع السامية .

وتحس العاشقة برفقة ولهن في تخطي حدودها الخاصة لتصبح غير محدودة الاقناع بفضل شخص آخر تفتح امامه ابواب الواقع اللاتماهي . انها تستسلم للحب في الاول كما تنفذ شهيا ولكن التناقض الكامن في الحب المتعبد هو ان العاشقة تنتهي بها الامر الى انكار ذاتها .

ان الهدف الاخير للحب البشري كما للحب الصوفي هو التوحد مع ذات المحبوب . ولما كان قياس القيم وحقيقة العالم في وجدانه ، فليس كافيا ان ان تخدع المرأة ، بل انها تحاول ان ترى بينيه .

الحب الصحيح ينفي له قليل التواضع والحدود في شخص المحبوب ولا يدعي ان يكون سوى علاقة انسانية . اما الحب المتعبد فيكسب شخص المحبوب قيمة مطلقة ، وهذه كذبة اولي تفضحها انتشار الآخرين . وحتى لو كان جدرا باعق حب فلان حقيقته انسانية وطيبته بشرية .

ان رفض تطبيق القياس البشري على شخص المحبوب يفسر كثيرا
من تصرفات النساء المتناقضة . فما دام العيب محبوبا فانه يرفع الى
مرتبة الالهوية ومتى كفت المرأة عن عبادته عملت الى توسعه بالانقلام .
لا تكاد المعبدة تدوب في شخص المحبوب حتى تعمل على انتحال
ذاتها . انها تستسلم له بكليتها ولكن ينبغي له ان يكون مستعدا
بكلية يستلم هذه الهدية .

الا ان المرأة لا تقبل حقا ان يكون الرجل سجينها ولا شيء سوى
ذلك ، وهذا من المتناقضات المؤلمة الكامنة في الحب . لان الاله اذا سار
سجينا نعى من الوهية .

وتبدل الماشقة الحظرة الجهود كيما تحول هوى عشيقها الى حنان
وسدافة او تحاول ان تربطه بوشاح شينة كالظنل . ولا يعتبر فشل
الحب المطلق تجربة خصية الا اذا بقيت المرأة قادرة على التحكم بنفسها ،
مثل هذه الماشقة التي اقتضت نفسها باهتمامها بإدارة احد الأديرة ، اي
انها بنت نفسها كيانا مستقلا .

يجب ان يؤسس الحب الصحيح على الاعتراف المشترك بوجود
حريتين دون ان يتخلى اي من الحيين عن نزوعه الى الارتقاء .

يوم تستطيع المرأة ان تحب بقولها لا يضعفها ، لا تهوب من ذاتها
بل لتكتشف نفسها ، في ذلك اليوم يصبح الحب للمرأة كما للرجل ،
ينبوع حياة لا مصدر خطر قاتل . وفي انتظار حدوث ذلك ، يلخص
الحب اللعنة التي تحيق بالمرأة المحبوسة في العالم السوي والمعجزة عن
كفاية نفسها بنفسها .

المصل الثالث

المتصوفة

كتب على المرأة الحب كغاية قصوى ، وحينما تحب رجلا ما قالها تبحث فيه عن الآلهة . فإذا حالت الظروف دون ان تحب حبا انسانيا او صدمت في قلبها او كانت كثيرة الالحاح قالها تبيل الى عبادة الالهة في الآلهة نفسها . والنساء بعكس الرجال ، يعشن لعفتهن الصوفية بصورة عاطفية لا فكرية . والمحبوب يبقى غالبا ولكنه يتصل بعبادته عن طريق الرموز المبهمة . وليست المرأة في حاجة الى الرقبة واللمس كما تحس بال حضور الى جانبها ، وتتأزج الحب الانساني والحب الالهي لا على ان الحب الثاني تصعيد للاول ، وانما لان الحب الاول هو ايضا وثبة نحو السامي ، نحو المطلق .

يشاهد لدى كثير من الوردات هذا الخلط بين الرجل والآلهة . وان ما تصبو اليه كل متصوفة هو بلوغ ينبوع القيم الاسمي . وهي بحاجة احيانا الى الرجل كوسيط نحو السموات ، على ان ذلك ليس ضروريا دائما .

ويعني بعضهم احيانا ان فقر اللغة يضطر المتصوفة الى استعارة المفردات الجنسية ، ولكنها لا تستعير من الحب الارضي الكلمات فقط ، بل تستعير ايضا بعض التصرفات الجنسية ، فيصدر عنها كما

تعب نفسها للرب ، نفس السلوك الذي يصدر عنها حينما تهب نفسها
للرجل . على ان ذلك لا يظل ابدا من قبة مشاعرها .

لا تقاس قبة التجربة الصوفية بالخرقة المعاشة شخصيا بل بحسب
اعينها الوضوعية . فالقديسة تبرر طرح مشكلة العلاقة بين الفرد
والكائن الالهي بصورة فكرية ، ولكنها تشكل استثناء لان الاكثرية
تقدم لنا صورة نسوية من العالم والخالق .

ان المرأة تبحث في الحب الالهي ما تشدهه المحبة من حب الرجل .
والغلب التصوفات لا يكتفين بالاستسلام السلي للاله بل يقبلن
بكل نشاط على افناء ذاتهن باحترار ولعظيم جسدن . وهذا الاله
يظهر لهن غالبا في صورة الزوج .

التشوة والرؤى والحوار مع الاله هذه هي الاتياع ، هذه هي
التجربة الفنية التي تكفي بعض النساء . الا ان هناك اخريات يشعرن
بالحاجة الى الاتصال بالعالم من طريق الافعال . وتأخذ الصلة بين
الافعال والتأملات شكلين مختلفين جدا : فالنساء مثل (جان دارك)
يعرفن اهدافهن تمام المعرفة وتستنيطن عن بصورة الوسائل ليلولنها .
وهناك نساء لا يضمن الا ان يملن شيئا ما ، مهما يكن هذا الشيء .

ان كل هذه الجهود لتحقيق الخلاص المردي لا يسكتها في حد ذاتها
ان تؤدي الا الى القنصل . فالمرأة اما ان تتصل بشيء غير واقعي او انها
تطلق علاقة غير واقعية مع كائن واقعي ، لذلك تبني حريتها خاضعة
للتسمية . وليس هناك سوى طريقة واحدة لاستكمال هذه الحرية
استكمالا صحيحا وهي ان تقذف بها في اعمال ايجابية ضمن المجتمع
الانساني .

نحو تحمُّر المرأة

القسم الرابع

الفصل الأول المرأة الحرة

لم تعد الطيبة القوانين المدنية تتضمن نصوصاً تلزم المرأة المتزوجة ببطاقة زوجها والولاء له . كما أن كل مواطنة أصبحت تستع بحق التصويت . لكن هذه الحريات المدنية تبقى خيالية إذا لم يصحبها استقلال المرأة الاقتصادي ، وما دامت المرأة تعيش على عاتق الرجل — سواء كانت زوجة أو محظية — فإن بطاقة الانتخاب لا تكفي لتحريرها من سيطرة الرجل ، وإذا كانت العادات في الوقت الحاضر تفرض عليها التزامات أخف وطأة مما كانت عليه في الماضي ، فإن هذه الحريات السلبية التي حصلت عليها لم تغير حالتها ووضعيتها بصورة جذرية ، فهي لا تزال تعيش ضمن نظام التبعية للرجل . وقد قطعت المرأة خطوات واسعة من المساواة التي تفصلها عن الرجل بفضل العدل ، الذي يستطيع لوحده أن يضمن لها أن تستع بحرية واقعية ملموسة وأن تستمر بالنتيجة بسؤالياتها بواسطة الاموال والحقوق التي تملكها ، وتحس بشخصيتها المستقلة . الا انه يجب علينا ان لا نعتقد ان مجرد حصول امرأة على حق معنوي ، ومزاوتها مهنة من المهن يشكل بعد ذاته تحريراً كاملاً لشخصية المرأة : ان العدل في يومنا هذا لا يعني مطلقاً الحرية ، ولا يمكن

للرأفة ان تحرر تحررا تاما بواسطة العمل الا حسن المجتمع الاشتراكي ،
لان اظنية العمال في المجتمع الرأسمالي ، مستثرون من قبل رأس
المال . كما ان البيئة الاجتماعية من جهة ثانية لم تتغير تغيرا جذريا
نتيجة لتغير شروط حياة المرأة المصرية . ان هذا العالم الذي كان
يعتبر ملكا للرجال ، لا يزال يحافظ على الشكل الذي طبعه به هؤلاء ،
ويجب ان لا يغيب هذا الامر عن اناعتنا حين نتعالج قضية ممارسة المرأة
للعمل ، وتأثير ذلك على اوضاعها الاجتماعية . وقد أكد اظنية عاملات
مصانع (ريزو) للسيارات تفضيلهن البقاء في المنزل عوضا عن العمل
خارجه ، كما يجب ان نلاحظ ان هؤلاء العاملات توصلن الى استقلالهن
ضمن طبقة مشطهدة اقتصاديا ، وان اعمال المرأة خارج البيت لا تعفيها
من القيام باعمالها المنزلية . وفي يومنا هذا لا تستطيع اظنية النساء
العملات التعرف من الحكم النسوي التقليدي ولا تقنين من المجتمع
او من الأزواج اية مساعدة ، لكي يصبح حقيقة مساويات للرجال ،
ولا يستثنى من ذلك سوى النساء اللواتي يؤمن بعقيدة سياسية وتنظي
في صفوف النقابات ، الامر الذي يؤدي الى تحررهن تحررا كاملا من
سطوة الرجل .

هنالك عدد كبير من النساء في يومنا هذا ، يستعن بعيزة الاستقلال
الاقتصادي والاجتماعي ، من خلال ممارسة إحدى المهن . والا حادوث
تدور في المجتمعات عن امكانيات المرأة التي تنتمي الى هذا النوع من
النساء ، وعما سيكون عليه مستقبلها . وعلى الرغم من انهن لا يشكلن
سوى اقلية ضئيلة بين النساء فان دراسة اوضاعهن بشكل خاص هو
امر هام بمحد ذاته ، لال المناقشات والمساجلات بين انصار واعضاء تحرير

المرأة تدور حولهن . يؤكد المادون للمرأة المتحررة انها لا تتج في حياتها اي شيء له قيمة او أهمية ، وانها تجد مشقة كبيرة في التوصل الى توازن نفسها الداخلي . اما انصار المرأة فانهم يبالغون في النتائج التي حصلت عليها ويتعمدون عن قلقها وانسحابها في حياتها الجديدة . والواقع انه ليس هنالك ما يدل على ان المرأة لم تغير الطريق القويم ومع ذلك فانها لم تشعر بعد طمأنينة وسلام في حياتها الجديدة : انها في منتصف الطريق ، لان المرأة التي تتحرر اقتصاديا من رابطة التبعية نحو الرجل لا تجد نفسها على الرغم من ذلك في شروط اخلاقية ، واجتماعية ونفسية مماثلة لشروط الرجل . والواقع هو ان الطريقة التي تمارس فيها المرأة مهنتها تتأثر بمجموع شروط حياتها . وهي حين تباشر حياتها كرائدة لا تختلف وواعها نفس الماضي الذي يخلفه القس ورامه ، كما ان المجتمع لا ينظر اليها نفس نظره الى القس ، فالعالم يفتح امامها في شروط تختلف عن شروطه وصفتها كأمراة يفرض عليها أساسا مستقل مشاكل خاصة .

ان الامتياز الذي يتمتع به الرجل ، والذي يشعر به منذ طفولته ، هو ان ميله لان يكون انسانا بشريا مستقلا لا يتعارض مطلقا مع مصيره كذكر . اما المرأة فان المجتمع يطلب منها ان تكون شعبة وفريسة ، لكي تكتمل عناصر انوثتها ، وهذا يعني بالنسبة لها ، التخلي عن مطلبها في ان تكون انسانا حيا يتمتع بالسيادة . وهذا الخلاف الذي يميز بشكل خاص حالة المرأة المتحررة ، فهي ترفض ان تقتصر على القيام بدور الانثى لانها لا تريد ان تنقص من شخصيتها ، لكن تخيلها عن هذا الدور

ينقص من قدرها كأمراة . ان الرجل هو السائل بشري له جنس خاص ، ولا يمكن للمرأة ان تكون بالتسايل فردا كاملا مساويا للرجل الا اذا كانت هي نفسها شخصا بشريا لها جنسها الخاص ، فالتخلي عن نوتتها يعني التخلي جزئيا عن مسايتها . وكثيرا ما ترى ابتداء المرأة يوجهون القوم اليها ، اذا كانت متحررة ، لانها تحبل جملها وزينتها ونوتتها . لكنهم لا يتورعون عن تقديم التصح للمرأة التي تطمح في الاستقلال فيقولون لها : اذا اردت ان تحضلي على المساواة معنا ، توقفي عن طلاء وجهك بالمساحيق ، واطفرك باختلاف انواع الاسبغة . ان هذه النصيحة الاخيرة هي سخيفة جدا بعد ذاتها لان مفهوم الانوثة تعرضه العادات والتقاليد دون ان يكون لها اي مجال للاختيار ، وقد يتطور هذا المفهوم فيلتحق بعض الشيء عن القواعد التي يتبعها الرجل : فطبي الساطي به يصبح السرورال زيا نسائيا . لكن هذا لا يغير في الواقع من طبيعة الاشياء لان الفرد لا يتسع بالحرة في تعديل طراز حياته كما يشاء ولا شك ان قيمة المرأة تقل جنسيا اذا لم تطمح للقواعد المألوفة ، وهذا يؤدي بالتالي الى فقدانها لشزتها الاجتماعية ، لان المجتمع الذي تعيش فيه يأخذ بعين الاعتبار القيم الجنسية ، وتخلي المرأة عن صفاتها الانثوية لا يعني آليا حصولها على ميزات وسلاحيات الرجل ، ولو انها لجأت الى التسكر في زي وشكل الرجل لما استطاعت ان تغير من طبيعتها كأمراة لانها تبقى في مفهوم وعرف الناس امرأة متسكرة . ولقد استقرت الامور على ان الفرد الذي يخالف قاعدة تفرضها العادات والتقاليد يصبح متحررا نائرا على المجتمع وان المرأة التي ترتدي ثيابها بشكل حريب يلمت الانظار ، تكذب حين تؤكد بكل بساطة انها تتسح ميلها الفطري

لا أكثر ولا أقل لانها تعلم بان المرأة التي تسبح ميولها وتقايرها دون الانتفاخ الى القواعد التي استقرت عليها مفاهيم الجنس ، هي امرأة لغربية متسرقة عليه وبالعكس فان المرأة التي لا تود ولا ترغب في الظهور بشكل مشير لحرب تكون قد خضعت للقواعد المشتركة المألوفة . وباستثناء بعض الحالات فانه من الخطأ اختيار موقفه التحدي تجاه العادات والتقاليد ، لان من يقدم على ذلك يستهلك وقته وقوته دون ان يجدوى في قلب الاحيان ، ولذلك فان المرأة التي لا ترغب في صدم مفاهيم الناس والتي لا تريد ان تفقد منزلتها الاجتماعية ، ان هذه المرأة يجب عليها ان تعيش حياة بنية النساء وفي قلب الاحيان لا تستطيع ان تنجح في عملها الا اذا تبعت هذا الاتجاه .

ان المرأة تعلم بان الناس يحكمون عليها ويحرمونها ويغيبون فيها من خلال زيتها وثيابها نفسها تؤهلها منذ البداية لان نظرها يظهر العاجزة : فجواربها تمزق وكعوب اهديتها تتأكل بسهولة وفساتينها ذات الالوان القاتمة تسبخ ومع ذلك فانها مضطرة الى معالجة ذلك بنفسها ، واصلاح ثيابها كي تستطيع ان تظهر بشكل لائق امام الناس . وحين تعود المرأة العاملة او الطالبة مساء الى بيتها فانها لا تجد الراحة بل تضطر في قلب الاحيان الى الانصراف الى تحضير زيتها ومظهرها لليوم التالي ، ولا شك انه يوسمها اذا كانت تحصل على ارباح طائلة ان تتلقى هذه المشاغل المملة للتنمية لكنها مضطرة مقابل ذلك الى ان تظهر بانها أكثر تقيدا فتسبح وقتا طويلا في شراء حاجياتها وفي الذهاب الى دور الخياطة والازياء . وتعرض التقاليد على المرأة كذلك ، حتى ولو كانت عزباء ، بعض الاهتمام بحياتها الداخلية فالوظف الذي يعين

في مدينة جديدة يقطن في الفندق بكل سهولة بينما نسي زميلته في ان
تسكن دارا خاصة بما يتوجب عليها العناية بها وعدم اهدائها .

الا ان المرأة لا تخصص هذه الاوقات الطويلة من حياتها للعناية
بجمالها ومنزلها تلبية لرغبة المجتمع وحسب ، وانما تفعل ذلك لرضاء
لنفسها والشعور على الدوام بصفتها كأمراة . ولانها لا يسكن ان تعيش
بهذوه اذا لم تجمع بين حياة عطلها الذي اختارته مع حياتها كالتى ، هذه
الحياة الاخيرة التي استعدت لها في طموحاتها بمن شبابها ، نفذها املائها
الترسيبية ، انها تريد ان تعرض نفسها وتسخر جميع الناس المحيطين
بها . لقد كان الحصول على بيت خاص بها ، الشكل البدائي من
الاستقلال والتحرر وهي الآن لا تود التخلي عنه بعد ان حصلت على
حررتها في مجالات اخرى لانها تعلم بانها تستطيع ان تأوى الى هذا
البيت حين يتناها القلق والاضطراب في عالم الذكور . امينة على التقاليد
الانثوية ، تدوم المرأة العاملة على القيام بجميع الاعباء المنزلية ، انها
تريد ان تعيش في وقت واحد حياة الرجل وحياة المرأة ، وبذلك تتمدد
مشارفها وتتضاعف متاعها وجهودها .

واذا كانت المرأة تأمل في ان تبقى مشبعة بصفات الانثوية فانها
تود كذلك ان تحتك بالحب الخشن مع اكبر حظ لها في النجاح ، ومهما
تسعت المرأة العاملة بالثروة والشهرة فان مجرد ممارستها نشاطا مستقلا
يناقض انوثتها ، وانها لتعلم ذلك تمام العلم . ان المرأة المستقلة
- وبصورة خاصة المثقفة - تعاني من مركب النقص بصفتها انثى ،
اذ ليس لديها الوقت الكافي لتخصيصه الى العناية بجمالها ، ومهما اتبعت
لصالح الاختصاصيين فلن تكون في ميدان الالاقة سوى مجرد حاوية .

انها تحاول على الدوام ان تحصل على اعجاب الرجل لكنها تفشل في اغلب الاحيان وهذا الفشل يولد في نفسها شعورا بالمرارة والتقص ، فترتكب اخطاء تتناقض مع طموح المرأة في سن اليأس ، فهي تحاول ان تتجاهل قوتها الذهنية كما تحاول المرأة المشرفة على الشيخوخة ان تتجاهل سنها ، فتراعا لولدي ارباب العتيات الصغيرات ذات الالوان الزاهية ، وتبالغ في الكلام باللهجة الصيادية التي تستغرب كل شيء ، وقد تلعب كالأطفال وتغفر كالمصالحير وتترثر دون كفل او ملل .. لكنها تبدو في ذلك كالمثلاث المبتذات ... وانما لتحصن بذلك ونساء من نفسها ، ولذلك تبدو على مظهر الوجه البسيط ، من وقت لآخر لمحات خاطفة من الذكاء الحاد ، فلا تلبث النساء البرهة الممدودة من ان تنقلص . ولا شك في ان الصعوبات التي تلاقيها المرأة المثقفة في الحصول على اعجاب الرجال يعود الى انها ليست قرصة لرغبة اثاره اعجاب الرجال بها فحسب ، ومهما كانت هذه الرغبة قوية لديها فانها لا تثبت من احاسق نفسها ، لانها ما ان تحصن بتسرفها السخيف الغريب حتى تستاء من عبوديتها وتحاول ان تنتقم باستعمال اسلحة الرجال ، فتتكلم عوضا عن ان تصغي وتشرح افكارها بكل اسهاب وتعارض معادلتها عوضا عن المرافقة على آرائهم ، وتحاول التغلب عليهم .

مهما يكن الامر فان الرجال بدأوا يسفون بالشروط الجديدة لحياة المرأة ، على انه واقع لا بد منه . واخذت المرأة تشعر بالراحة بدورها لانها لم تعد محكومة عليها بالبقاء في اوضاع التبعية . ومع ذلك فان هذا النجاح - الذي يشكل منذ الآن قلما محسوما نحو وضعية التوازن - لا يزال غير مكتمل العناصر . فحياتها الجنسية

والعاطفية تصادف حواجز نشئ ، وهي لا تزال تجد صعوبة أكثر من الرجل في إقامة العلاقات التي تربطها مع الجنس الآخر ، على أنه يجب أن لا يتبادر إلى الفطن أن المرأة الناجبة التي لا عمل لها كالأزوجة أو المحطية تستع بانتياز في هذا المجال ، لأن حقوقها هي الأخرى مضمومة لانها اختارت النضال عوضاً عن الاستسلام . إن جميع مشاكل الحياة بشكل جنسها لكن المصائب تجابه المرأة المستقلة بشكل أشد وضوحاً تجد حلاً لها في الموت ، ولا إن المرأة التي تحاول أن تعيش بحرية هي أشد اقساما واضطراباً من الأخرى التي تدفن اولادها وولياتها وتستسلم لصيرها الذي يفرضه عليها مجتمعها .

تحتاج المرأة العاملة التي تبذل الجهود الكثيرة وتحمل المسؤوليات الضخمة ، والتي تعرف معنى النضال ضد مقاومة العالم الخارجي لها ، تحتاج هذه المرأة لا إلى اشباع شهواتها الجسدية فحسب وإنما إلى الشعور بالهدوء والسكينة اللذين تجلبهما الفاضلات الجنسية السعيدة . غير أن هنالك اوساط اجتماعية معينة لا تعترف لها بهذه الحرية وقد تتعرض اذا مارسها إلى فقدان سمعتها ومهنتها ، وحتى في احسن الحالات - حين لا يكون رأي الناس اية أهمية ، فإن المرأة لا تتساوى مع الرجل ويعود السبب في الخلل الحادثين إلى التقاليد والمشاكل التي تثيرها الطبيعة الجنسية الخاصة للمرأة .

يستطيع الرجل بكل سهولة أن يطفىء غمأه الجسدي دون أن يتولد عن ذلك اية نتائج ضارة . وقد طالب في الماضي عدد قليل من النساء بفتح محلات عامة لمن اسوة بالرجال ، وفي إحدى القصص المسماة (رقم ١٧) اقترحت المؤلفة تأسيس بيوت تلجأ اليها النسوة

تصرف عاطفتين الجنسية بواسطة (رجال - ناكس) ، ويظهر ان
مؤسسة من هذا النوع وجدت في مدينة سان فرانسيسكو ، وكان
يؤمها بنات المحلات العامة فقط ، اللواتي كن على غاية السرور لانهن
يدفعن ثمن لهنهن ونسليتهن ، وقد انفلقت هذه المؤسسة نتيجة لضغط
حياة تلك الفتيات . وبالإضافة الى كون هذا العمل خياليا وغير مرغوب
فيه ، فانه سيقتفي في حالة تطبيقه نجاحا ضئيلا ، فقد رأينا ان المرأة
لا تحصل على (التفريخ) الجنسي آليا كما هي الحالة لدى الرجل ،
اما العمل الذي ينحصر في التفتيش عن رفيق ليلة او ساعة في الشوارع
- يفرض ان المرأة تقبل الاقدام على هذا الامر - فانه اكثر خطرا
بالنسبة اليها من الرجل ، لان الامراض التناسلية هي اشد خطورة لديها
كما انها لا تستطيع ان تتلافى الخطار الحمل والولادة الخ .. غير ان
اختلاف القوة الجسدية يشكل العقبة الكدواء في العلاقة من هذا النوع
بين الرجل والمرأة ، فليس للرجل ان يخالف شيئا من المرأة التي يصحبها
الى بيته ، لكن الامر على خلاف ذلك بالنسبة للمرأة التي تسبح بادخال
رجل غريب الى بيتها . وقد حدثني البعض عن قصة امرأتين شابتين
ذهبتا في زيارة خاصة لباريس ، والتنسج بفوائد الحياة ، وبعد ان قامتا
بجولة ليلية في احياء المدينة ، وجهتا الدعوة الى شابين فانتين من حي
مونمارتر لتناول الحساء في بيتهما . وقد سلب الشبان متاعهما في
الصباح بعد ان تعرضتا للعنف والتهديد بالقتل . وقد لمي الى حالة
اخرى تعطينا صورة واضحة عن الخطار مثل هذه المفامرات ، وهي قصة
امرأة في الأربعين من عمرها ، مطلقة من زوجها ، كانت تعمل بجد
واستمرار لاعالة اولادها الثلاثة وابرتها المسنين . كانت لا تزال جميلة

جذابة ولم يكن لديها مطلقا الوقت الكافي لإقامة علاقات اجتماعية مع الناس ، ومع ذلك كانت غرائزها تدفعها الى القيام بعمل ما وكانت تعتبر انه من حقها كالرجل تماما ان تلبس ثداء غرائزها وتطش طامها . وكانت تجول في بعض الليالي في الشوارع مفتشة عن رجل يشج رغباتها ، الا انها فوجئت في إحدى المرات بعد ان قضت ساعتين مع رجل في غاية بولونيا ، ان رفض عشيقها السماح لها بالذهاب الا اذا اصطحبها معها وعنوانها وطب ان يراها مرة ثانية وان يعيش معها على الدوام ، وحين رفضت شرها بنف ثم تركها مشنة الجراح بين الموت والحياة . وقد تلجأ بعض النسوة الى اختيار عشيق يعيش معهن مقابل اعانة والاتقان عليه ، لكن هذه الطريقة لا ترضي اكثر الرجال لتعارضها مع رجولتهم ، كما انه من الصعب على المرأة اذا لم تكن مستعدة ان تفصل عواطفها عن رغبتها الجسدية .

وهكذا نجد ان المرأة المتحررة منقسمة على نفسها بين مصالحتها المهنية ومصيرها التقليدي كأمرأة ، وهي تجد مشكلة كبيرة في الوصول الى وضعية التوازن ، واذا اتيح لها الحصول على هذا التوازن ، فانها تكون قد دفعت الثمن لسلسلة من التنازلات والتضحيات ، وعانت حالات مخيفة من التوتر العصبي العائم . وفي مثل هذه الامور يجب ان نقف عن اسباب افعال المرأة المستر والهيبار اعصابها التي لا تعود حتما الى اسباب فيزيولوجية . وقد تساءل المختصون منذ زمن طويل عن الدور الذي تلعبه البنية الجسدية للمرأة في حياتها ، وبصورة خاصة هل تشكل الدورة الشهرية عائقا امام المرأة في سبيل حصولها على استقلالها وتحريها ، لكن التحقيقات دلت على ان اكثرية النساء اللواتي يتزن

بالثمن ، لا يظن أية أهمية على الدورة الشهرية لأن العنصر المراه
الى عملها وتفرقتها فيه يجعلها تنسى معاذير الدورة الشهرية وتقبل من
اعتبتها ، وهذا لا يعني ان متاعب المرأة الناتجة عن بنيتها الجسدية هي
متاعب خيالية ، بل هي حقيقية كالحالة التي نمر عنها . لكن حالة المرأة
لا تتبع من حالتها الجسدية وانما تتكيف نتيجة لاضاعتها الاجتماعية
فصحتها وبنيتها لا تضربها في عملها حين تجد المكان اللائق بها في
المجتمع بل ان العمل يساعدها على العكس من ذلك في الوصول الى
توازنها الداخلي فيجعلها تنسى متاعبها في فترة مشاطها الهنية .

يجب ان لا تنسب هذه الوقائع والملابس عن ايمننا حين نحاول
ان نحكم على مدى نجاح المرأة في ميدان العمل . فهي تباثر مهنتها
معدبة ففحة نتيجة للاعباء التي تجثم عليها تقليديا بسبب نوثتها . كما
ان الشروط الموضوعية ليست بصالحها كذلك : من الصعب دائما على
القادم الجديد ان يثق طريقه وسط مجتمع معاد له او ينظر اليه نظرات
الريبة والشك . وقد بين ريتشارد رايت في كتابه (الصبى الاسود)
كيفه بعد المجتمع الاميركي منذ البداية من طموح الزنحي الشاب وكيف
يتوجب عليه ان يفاضل كي يرتفع الى مستوى المعاملة بالمثل مع البيض .
كما ان الزوج القادسين الى فرنسا من افريقيا يصادفون صعوبات مشابهة
للسعوبات التي تصادف المرأة حين دخولها ميدان العمل .

تجد المرأة نفسها ياديء ذي بدء في حالة القفر خلال فترة التحرير .
ولقد اثمرت الى ذلك قبلا في الفصل المخصص للدراسة حياة الفتاة
الشابة ، ويجب على الآن ان نعصه بانسهاب . فمن الشاكر ان تتمكن
المرأة خلال دراستها واتناء السنوات الاولى الحاسمة لمعارستها الهنية ،

من الاستفادة الاستفادة تامة من فرص عملها في النجاح لان الامرات النسبية التي نكلمنا عنها تبلغ ذروتها بين سن ١٨ و ٣٠ وخلال هذه الفترة يتقرر مصيرها المهني . انها لا تستطيع ان تصرف الى امور مستقبلها المهني بسبب اشتغالها باور اخرى غريبة عن عملها ولذلك فان مردود عملها يظهر ضعيفا كما ان وجود نساء في نفس مستواها الاجتماعي يعنى بدون عمل طفليات على الرجال يضعف محتوياتها . فبعض الرجال ينتج بعض النساء بالثروة دون بذل اي عناء شخصي الامر الذي يغري النساء العاملات على ترك العمل واختيار الطريق السهلة .

ان الرجل يتبع الضرورة الحثية حين يعمل ويكده ليكسب عيشه ، لكن المرأة مضطرة الى تجديد قرارها بالانصراف الى العمل في كل مناسبة لان الفراء الاستسلام الى الراحة والكسل والعيش في كنف الرجل لا يفتك براودها ، وهكذا فانها لا تضع نصب عينها هدف النجاح في عملها وانما تتردد وتتساءل في كل مناسبة عن ضرورة ما تقدم اليها . وما يزيد في ترددتها ، شعورها بفقدان جزء من اوتيتها كلما توغلت في ميدان النجاح واتهمت في حياتها المهنية . وهذا النزاع المستمر بين الضال للحصول على حريتها المادية ، وبين دوافع الامراء التي تدعوها للتخلي عن هذه الطريق الصعبة والاستسلام الى مصيرها كأمراة يؤثر على مردود عملها ويضعها في موقف العاجز بالنسبة للرجل الذي تسجم شخصيته مع ضرورات الحياة المهنية التي اختارها .

تخلق شروط الحياة المستقلة في نفس المرأة التي تنحو الى ان تكون امرأة كما يريد المجتمع ، مركب تقص شديد ، وتجميلها اوتيتها

على العكس من ذلك تنك على الدوام في كتابها الهنية . وتكتسب هذه النقطة الأخيرة أهمية كبيرة فقد سرحت بعض الفتيان في سن ١٤ : بأن الفتيان هم اشد كفاءة بنا ويعملون بسهولة فائقة لا توجد لديها ، واكثرية الطالبات يؤمن بهذه النظرة لان الاهل والاساتذة يجمعون على تفوق الفتيان . وقد دلت التحقيقات بالفعل على انه رغمًا من تماثل البرامج فان مستوى صف الفلسفة للطالبات اقل بكثير من مستوى نفس الصف للذكور ، وهذا طبعًا باستثناء الحالات الشاذة .

تضاف هذه العوامل وتتضمن وتضف قوة الغناء بنفسها وتجعلها تؤمن بتفوق الرجل عليها فتشعر بالحب والوصية من الدراسة ويتلانس من نفسها الليل الى النضال والاطلاع وتنسى لو تستطيع ان تتزوج فتسهي من هذه الحياة المملة السقيمة .

نتيجة لهذه الاهلية تقع المرأة بسهولة بنجاح بسيط في حياتها الهنية ولا تجد في نفسها الجرأة على بلوغ الراتب العليا فتنبدأ بمزاولة مهنتها بخبرة سطحية وتضع سريعًا الحدود لطموحها ، ويبدو لها في اللب الأحيان ان مجرد توسلها الى كسب حياتها بجهودها يشكل بعد ذاته ميزة عظيمة لها . لقد كان يوسعها ان تضع مستقبلها يد احد الرجال وتسلم الى حياة الكسل والارتقاء ، ولذلك فانها بحاجة الى بذل مجهود كبير منها لكي تثار على عملها وكثيرًا ما تخاف من الذعاب بيها في ميدان الأعمال بسبب شعورها بالضيق من عدم ثقة الناس بها وقدرتها . ان الطبقة العليا الحاكمة في مجتمعاتنا العالي وهي طبقة الرجال تستاء وتعارض منجزه القادمين الجدد من الطبقة الدنيا : فالبيض لا يذهبون مطلقًا لاستشارة طبيب زنجي كما ان الذكور لا يلجأون الى

استشارة الطيبة وبصورة عامة لا يجب الرجال او النساء الوقوع تحت سلطة امرأة ، كما ان رؤساعها في العمل ينظرون اليها نظرة الاستخفاف حتى ولو كانت ذات مقدرة وكفاءة فائقتين . يجب على المرأة ان تحصل دائما على ثقة الآخرين الذين لا يسخرونها ابدا في البدء بل يقولون لها يجب عليك ان تثبي كفاءتك ، الا ان مركب النفس المتولد من عدم الثقة يعكس لديها رهود فعل غريبة تعرقل توازنها في عملها ولجعلها تبالغ في اظهار سطوتها وقوتها كما تفعل النساء الطبيبات .

هناك فئة من النساء لا تطبق عليها هذه الملاحظات لان مهنتهن لا تتعارض مطلقا مع التوتهن بل تساعدهن على العكس في تقويتها كالمستشارات والراقصات والمغنيات وقد يقين خلال ثلاثة قرون حملات لواء الاستقلال والتحرر في وسط مجتمع معاد ، ولا زلن حتى الآن يشغلن مكانة ممتازا ، ان العالمة الكبرى التي تتسع بها هذه الفئة من النساء هي ان نجاحهم المهنية تساعدهم - كما هي الحال لدى الذكور - في تقييم مزايهم الجنسية ، فالمثلة مثلا لا تعاني الحيرة من جراء الاتجاهات المضادة المتناقضة التي وجدناها في حياة المرأة العادية بل تجد في مهنتها على العكس من ذلك تبريرا لجمالها لنفسها لان الزينة والجاهزية تشكل جزءا من واجبها المهني .

الا ان هذه الامتيازات النادرة تخفي وراءها عثرات وفضائح : فعوضا عن ان تمنح المرأة سراتها الترمسية في حياتها الفنية تنجح في التلب الاحيان الى الانغماس في السرات وتقدس نفسها وجمالها ، وهذا يعد من كفاءتها ككفائة لانها تكتفي حينئذ بتأثير مظهرها الخارجي . وتعتقد ان مجرد كونها هي هي كافه لا يرازه وانه لا حاجة لبلد اي جهد جدي .

فتتاح في حياتها الخاصة مساوي، الرئيسية وتبدو مرهوبة بنفسها مفرقة
العسابة ، مثلثة تغير العالم كله مسرحا وهي بطلته .

لوم تعد الفنون التعبيرية في يومنا هذا المجال الوحيد المتفوح أمام
المرأة للحصول على استقلالها وحريتها . فعدد كبير من النساء يحاولن
التوجه نحو مجالات الفنون خلافا كالأدب والفن . إن المرأة تعيش على
عالم من الذكور ولا تتحسس به في شكله العام الشامل إلا من
خلال زاوية خاصة ، فهو لا يبدو لها مجسومة من الوسائل والطاقم
وانما مصفرا للتأثرات والانعطالات ، شبيهة وشعبة السلبية والرفض ،
فلا تحرق المرأة على الاندفاع نحو العالم الحقيقي بسبل تكفي
بالاحتجاج عليه .

لها تشدد من خلال الطبيعة سيرة روحها وتستسلم إلى الاحلام
محاولة ان تصل إلى نفسها وإن تكتشف شخصيتها وهي لا تستطيع
ان تحقق كل ذلك الا ضمن نطاق عالم الخيال ولذلك تشعر بالحاجة إلى
التعبير عن نفسها فتراهما تلجأ إلى الاحاديث الطويلة ومحاولة الكتابة
وتحرير المذكرات الخاصة .

لكن الشروط نفسها التي توجه المرأة نحو الفن الخلاقة تشكل
امامها عوائق يصعب عليها في أغلب الأحيان تخطيها فهي اذا قررت
الانصراف إلى الكتابة والرسم لامتلاء فراغ حياتها ، نعت حينئذ
محاولاتها لأدوية ولوحاتها الفنية - (نتاج النساء) وهذا يعني انه
انتاج متوسط لا يبلغ مطلقا مراحل الاندفاع . والواقع ان المرأة تصرف
إلى الرشوة والقلم في فترة من اليأس لتعويض الفراغ الحاصل في
حياتها . لكن الاوان يكون قد فات فلا يصبح حينئذ سوى هاربة في

فنها لا محترفة وحتى لو تيسر لها ان تبدأ حياتها الفنية او الادبية وهي شابة من النادر ان تعتبر فنها عملاً جديداً ، وكما تعودت في سفرها على الخداع والتزييف والمداعبة فانها تعمل نفس الشيء في حياتها الفنية فتكتفي بالمظهر الخداع وتعمل للمحتوى الابداعي الخلاق .

من الطبيعي جدا ان تسمى المرأة للخلاص من هذا العالم الفني لا يفسها وتجاهلها لكنه ما يدور للاسف انها لا تجد في نفسها الجرأة للتعبير عن شخصيتها كي يفعل الرجال الكبار امثال (الكار الان بو) .
وعنالك اسباب عديدة تبرر هذا التصرف لان اثاره الاعجاب تحتل مركز الثقل في حياتها وبنائها الخوف دائما من ان يكف الرجال عن الاعجاب بها كأمراة اذا صرفت الى الكتابة . ان الكاتب الحقيقي يتصف بقول الصدق بصراحة تقرب من الفضايح في بعض الأحيان ، والجديد يعتبر دائما مثارا لقلق وتخوف الناس ولذلك فان المرأة التي لا تزال منهشة مزهوة بقبولها في عالم الفكر والن الذي هو عالم الرجال ، تبقى عجلة منكشة على نفسها لا تجرأ على ابتكار شيء جديد وكأنها تسود الحصول على القفران بسبب اقتحامها ميدان الفن بتواضعها .

ان الفن والآداب والفلسفة هي محاولات لاقامة العالم على دعائم الحرية الانسانية ، الحرية البدعة الخلاقة ، ولا شك انه من الواجب على من يدعي المساهمة في مجالات الابداع ان يحرر نفسه قبل كل شيء من وطأة العادات والتقاليد والثقافة ومن المعترف به ان القيود التي تفرضها التربية والعادات على المرأة تعد كثيرا من قدرتها الابداعية .

لا شك ان الفتاة تخرج لوحدها في هذه الايام وتساخر وتنتزه

منفردة في أي مكان يروق لها لكنها اوضحت من قبل كيف يكون
الشارح عدائيا لها ، فهي كل مكان ترمقها العيون وتتظرها الايدي ،
وسواء تعامت في مشيها ام سرعت الخطى ام اشعلت لسانها تنبع على
سطح احد اللقاعي او ذهبت الى السينما فانها بحاجة الى الظهور بنظر
الحدس لكي يحترمها الناس .

كل شيء يدعوها الى الاستسلام لسيطرة الآخرين وبصورة خاصة
في ميدان الحب . الا انه يحدث ان يلعب الفشل في هذا الميدان دورا
هاما في حياة المرأة : فانزول اميلي بروتي هذا الذي اتاح لها كتابة
قصة عظيمة عميقة لانها لم تكن تنتظر المساعدة الا من نفسها لتمام الطيبة
والقهر . وروزا لوكسمبرغ كانت قييعة لدرجة لم يكن هنالك ما يدفعها
الى عبادة نفسها فتصبح فرسة للرجال ولذلك لبغت منذ عدايتها وكانت
على الدوام روحا ومشعلا للحرية .

ان الرجال الذين تدعوهم الكبار ، هم هؤلاء الذين خطوا على
كتافهم بطريقة او بأخرى تحمل العالم واستطاعوا ان ينجحوا في ذلك ،
الامر الذي لم تقعه اية امرأة في وقت من الاوقات . ولكني بنظر الانسان
الى العالم كأنه عالم ، ولكني يستطيع ان يجد في نفسه الكفاءة لتحمل
مغبة اعماله واخطائه ومنجزاته ، يجب ان يكون متصيا الى طبقة اصعب
الاستيوار ، الى طبقة هؤلاء الذين يسكنون زمام القيادة لوحدهم :
الرجال . لقد تجسد الانسان حتى الآن في صورة الرجل لا في شكل
المرأة ، ومن المعروف ان هؤلاء الاشخاص الذين يريدون لنا كمثل اعلى
والذين نسبهم المبالغة ، هم هؤلاء انفسهم الذين حاولوا ان يلبسوا
بواسطة حياتهم الخاصة مصير الانسانية جمعاء . هل كان بإمكان

(فان خوفاً) ان يولد امرأة ! وهل كان بإمكان هذه المرأة ان ترسل في بعثة الى بلاد (البورتاج) تتعر بطرس وشقاء الانسان وكأنها جريسة ارتكبتها بنفسها ! وهل كان يوسعها ان ترسم هذه اللوحات العبقريّة الرائعة ! لا اعتقد انه كان يوسعها ان تفعل ما فعله (فان خوفاً) ، وهذا دون الاخذ بعين الاعتبار طراز حياة الفنان الخاص والعمارة وتردده على المقاهي والمجلات الموسمية ، كل هذه الاشياء التي كانت تغذي فن فان خوفاً التي لا يسكن للمرأة ان تقدم عليها .

مرة اخرى تعود للقول بان ضعف المرأة لا يعود الى اسباب فطرية في طبيعتها ، وانما الى حالتها العامة التي يفرضها عليها المجتمع منذ حداستها حتى اواخر ايامها . وكل ما يقال عن انها لا تتفتح بالفكر الخلاق المبدع . ينبع من خيال اعداء تحرر المرأة .

لقد بدأت تباير ولادة المرأة الحرة تلوح في الافق ، وسيكون بوسعها حين تحصل على حرمتها التامة ان تثبت بانها لا تقل قدوة وابداناً عن الرجال .

وقد لا يكون اكيدا ما يقال بان (عالم افكارها) سيختلف عن عالم افكار الرجال ، لانها تستلهم بهم حين تحاول الحصول على حرمتها ، لكنه اصبح من المؤكدة ان المجتمع كبح جناح امكانياتها حتى الآن وضيع على الانسانية نتاج عبقرتها وديونتها ، ولا شك ان الوقت قد حان ، في سبيل صالحها وصالح المجموعة البشرية ، لكي نسحب حرمتها لتجرب عبقها في الحياة .

الثانية

يقول (جول لافورغ) :

«لا تربطنا بالمرأة أبدا رابطة الأخوة» . فقد جعلنا منها ، بالوصول
والفساد ، كائنات منعزلة ليس له من سلاح سوى سحره الجنسي .
الواقع ان الرجال والنساء ليسوا راضين عن بعضهم بعضا في
يومنا هذا . ولكن المسألة هي ان نعلم فيما لنا كانت هناك لغة أصلية
تحكم عليهم بالتخاسم والتنازع او ان الخصومات التي تفرق بينهم
لا تعبر إلا عن لحظة انتقالية في التاريخ الانساني .

لقد رأينا ولم ما جاء في الأساطير ، ان ليس هناك سب
فيزيولوجي يفرق بين الذكر والانثى المبدأ الدائم لانها من جنس
متساوين . ان الانسانية ليست نوعا بل هي سيورة تاريخية . وهذا
يكن سوء الفية كثيرا فمن المستحيل اكتشاف خصومة ذات طبيعة
فيزيولوجية بين الانثى والذكر البشريين . لذلك يمد بعضهم الى اعتبار
وجود هذا النزاع في ميدان متوسط بين البيولوجيا وطب النفس اي
ميدان التحلل النفسي (فرويد) ولكننا نينا ان الآساء لا تجري على
الصعيد الجنسي ولم يد لنا قط ان العزوة الجنسية تعدد مضى
انسانيا وانها تقدم بذاتها مفتاحا يفسر السلوك البشري .

ان اللجنح الذي وضع الرجل تشريعاته وفيه يعتبر المرأة اقل من الرجل . ولا يستطيع المرأة انهاء هذا النفس الا بتخليم حقوق الرجل ، لذلك تحاول ان تسيطر عليه وان تناقشه وان تنكر حقيقته وفيه . انها بذلك لا تعمل سوى الفخاع عن نفسها . هذا النفس لا ينجم عن جوهر ثابت او قدر سيء بل هو مفروض على المرأة فرضا . وان كل المستطاهات يخلق حالة نزاع . والكائن الذي تتزعج منه سفة الجوهر لتتفق به سفة التبعة والالعاق لا بد ان يحاول استرجاع سيادته .

اما اليوم فتأخذ الحركة شكلا آخر . فللمرأة لم تعد تحاول جر الرجل الى الجسود بل تحاول الهروب الى عالم الارتفاع والسوء . ولكن يطيب للرجل ان يبقى السيد المطلق والكائن الثغور بالجواهر ويرفض ان يعتبر رفيقته مساوية له .

لم تعد الحركة إذن بين افراد ينحس كل منهم في اطلاقه بل ان هناك طبقة ذات مطالب تهب الى النضال فتستمر عليها الطبقة ذات الامتياز . نحن الآن امام حريتين نراحتين الى السوء والارتفاع يسود بينهما الخصام بدل التعارف والوثاق .

تحاول المرأة «الاشي» يجعل نفسها متاعا وفرصة سلبية ، ان تعيد الرجل بالرغبة التي تشربها في نفسه . وعلى العكس من ذلك ترفض المرأة «المحررة» السلبية التي يدعي الرجل فرضها عليها . ولكن المرأة «الحديثة» تقبل قيم الذكور وتؤكد نفسها كشبهة لهم .

ان هذا الطلب مشروع ما دام يعبر عنه بتصرفات ملموسة . الا ان كثيرا من النساء اللواتي يرددن ان يتبين بنجاحاتهن انهن مثل الرجل ،

يشهدون أيدي الرجل عن طريق الجنس ، الذين يلمن ضمن نظريتين : فمن
بطلان بالأحترام التقليدي ، وباعتبار جديد أيضا ، معولات على سحرهن
القديم وحقوقهن الجديدة ولكن الرجل أيضا لا يظفر من مثل هذا
الازواج . والحقيقة ان الصراع بين الرجل والمرأة لا يمكن ان يكون
وانجح العالم لان المرأة لا تتصّب امام الرجل على اعتبار انها شخص
ولكنها كمناع ، كغيره له حياته الشخصية .

وسيدوم النزاع طالما لا يتصرف احدكما انه تسيه الآخر ونظيره .
ولذا كان من الصعب تعظيم الحلقة العاسنة والفتوة القارية لذلك لان
كل من الجنسين هو في نفس الوقت شعبة الجنس الآخر وضعية
نفسه . وليس من الصعب اطلاق الاتفاق بين خصين يتنازعان في
حريتهما الصرفة ولا سيما ان هذا النزاع لا يقيد احدًا . الا ان تعهد
هذه القضية تأتي من كل فريق هو في نفس الوقت لسريك خصه . .
لقد رأينا لماذا استعبد الرجال النساء في الاصل . لقد كان الغطاشي
قيمة الانوثة مرحلة ضرورية في التطور البشري ، ولكن كان بالامكان
ان يسود التعاون بين الجنسين . ان الانسطهاد يفسر بزيادة الكائن الى
الغروب من ذاته والتخلي عن نفسه للآخر في سبيل هذه الغاية ، وعلى
هذا اليوم توجد هذه النزعة ضد كل الرجال .

اذا ما حررت المرأة فالتنازع للرجل ولكنه يخشى ذلك بالذات
ويصر على التعميمات التي تستهدف ابقاء المرأة في الاعلال . ولقد رأينا
كيف يجري اغتداء قيود الاحياء الثرية الملتصقة تحت ستار شعري ، بل ان
هناك رجالا كثيرين يحاولون قناعتهم ان المرأة تتمتع بامتيازات .
والحقيقة ان المرأة تتمتع بامتياز عدم المسؤولية . ولقد رأينا ان ثرية

المرأة بقصد منها سد طريق الثورة امامها وان المجتمع كله يتكلم عليها
لا يتخفى بقم العيب والتضحية ، وهي تسبها لرضي بهذا التكلم لانه
يبدو الى اتاج طريق السهولة . وتخطيء المرأة خطأ كبيرا اذ تخضع
للانفراء ولكن الرجل هو آخر من يعقل له ان يأخذ ذلك عليها لانه هو
نفسه الذي يفرجها ، ان كلا من الجنسين يعتقد انه يبرر نفسه حين يصد
الى الهجوم الا ان انطواء الصدغ لا يبري الاخر .

لا يجري التبادل في علاقتهما بين عرضين لهما نفس الكيفية ،
ويبرز عدم التساوي هذا في ان الوقت الذي يقضيه معا ليس له نفس
القيمة بالنسبة الى الشريكين . فالرجل لديه دائما شيء آخر يعلقه
اما المرأة فتحاول التخلص من وقتها . ولكن يستحيل تطبيق العدالة في
كثف الاعدالة : وفي الحياة كثيرا من الاحوال التي ليس لها حل مرض
لانها تتعين بشروط هي دائما غير مرضية وان البلاء ناجم عن وضع يصحح
امامه المسلك الفردي عاجزا كل المعز فلتسبح للنساء بكيان مستقل
والمصبح بإمكانهن التفضل في الحياة لينتزعن معيشتهم ، كما تظن
تبعين ونوعية الرجل ايضا .

ولا ينبغي الاعتقاد ان من الكافي تعديل وضع المرأة الاقتصادي
كينا تغير . هذا العامل كان ولا يزال العامل الاساسي في تطورها
ولكن طالما لم تنجم عنه النتائج الاخلاقية والاجتماعية والثقافية التي
يشر بها ، فلا يمكن للمرأة الجديدة ان تظهر ، ولكن لذا افترضنا
مجتمعا تحقق فيه مساواة الجنسين تطلقا فلتسبح لان هذه المساواة
تؤكد في كل فرد .

ان اعداء الذكور لا يبدو كإنتياز الامراء الا في كنف نظام يتأمر

بمجموعه اثبتت سيادة الذكور ، والطيفة ان الرجل مثل المرأة مكون من جسد اي ان له صفة السلبية وانه يتأثر بالتوجع ويخضع للشهوة . وليس من شك في اننا اذا ايقنا طبقة ما في حالة النفس بقيت ناقصة ، الا ان الحرية تستطيع تحطيم هذه القيود . فلنعت المرأة مسؤوليات قائما تهض بها . وان الاحوال الجديدة تنشأ احياء من ثورة الفلسطينيين وحياء من تطور الطبقة ذات الامتياز . هكذا انظر الرجال في مصلحتهم بالذات ، ان يحرروا المرأة تحريرا جزئيا .

وطى كل حال سيقي دائما بين الرجل والمرأة بعض الفروق . فعالم المرأة الجنسي ، ما له من وجه خاص ، لا بد انه سيحدث لديها حساسية خاصة . وان علاقاتها بجسمها وبجسم الذكر وبالطفل لن تصبح ابدا مطابقة تمام التماثل لعلاقات الرجل بجسمه وبجسم الانثى وبالتلل .

ان تحرير المرأة يعني رفضي تمييزها بالعلاقات التي تقيها مع الرجل ولكن لا يعني ابدا انكار هذه العلاقات . وان تعطف علاقاتها المتبادلة الاعراب التي يحدثها انضمام الكائنات البشرية الى فئتين منفصلتين (الرجعية ، الامتلاك ، الحب ، العلم ، الفاعلة) ، بل على العكس ، حينما يلغى ، استبعاد نصف الانسانية وكل مجسوة الرياء الناجبة عنه ستظهر الانسانية منراها الصحيح وسرى الزوج البشري ووجهه العاطفي .

المفردات

الكتاب الأول

5	المقدمة
17	القسم الأول
18	الفصل الأول - معطيات علم الحياة
21	الفصل الثاني - وجهة نظر علم التحليل النفسي
24	الفصل الثالث - وجهة نظر المادية التاريخية
27	القسم الثاني - نظرية تاريخية
29	القسم الثالث - صورة المرأة

الكتاب الثاني

77	مقدمة
79	القسم الأول - مراحل تكوين المرأة
81	الفصل الأول - الطفولة
114	الفصل الثاني - الفتاة الزراعية
117	الفصل الثالث - التمرد الجنسي
124	الفصل الرابع - المسابقة
129	القسم الثاني - اوضاع المرأة
161	الفصل الأول - المرأة المتروكة

٢١١	الفصل الثاني - الإم
٢٤٢	الفصل الثالث - الحياة الاجتماعية
٢٥٩	الفصل الرابع - مؤسسات ومخططات
٢٧٢	الفصل الخامس - من النضوج الى الشيخوخة
٢٨٧	الفصل السادس - وضع المرأة وطبائعها
٢٩٥	القسم الثالث - تبريرات
٢٠٧	الفصل الاول - عاصفة ذاتها
٢٠٠	الفصل الثاني - العاصفة
٢٠٢	الفصل الثالث - العاصفة
٢٠٥	القسم الرابع - نحو تحرير المرأة
٢٠٧	الفصل الاول - المرأة المتحررة
٢٢٥	الخاتمة

